الشَّامة
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني
دعاء صادق حسين

الشامة

رواية

دعاء صادق حسين

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: الشامة

المؤلف: دعاء صادق حسين

تصنيف الكتاب: رواية

تنسيق وتصميم غلاف: محمود كمال

المقاس ١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-23-1-260222

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى كل من لم يرافقني في رحلتي.

إلى كل من رافقني في رحلتي...

شكراً لكم جميعاً.

لقد جعلتم منى شخصاً أفضل.

شكر خاص لإنساناً موجود بروحه الرائعة وبتوجيهاته السابغة...

أستاذي الكريم...محمود كمال.

شكراً لأبى... لأنه الصانع الأول لتفعيل الضمير في نفسى.

والشكر الأخير لشخصيه تسللت كشعاع الشمس وقت الشروق، عسى بها شروقي.

.. وليد الدعاء.

المقدمة

أنت الوحيد الذى يستطيع أن يوقفه...الصخب.

كل شيء في هذه الحياه له صوت مختلف ومحدد، يبقى العقل منشغل بتلك الأصوات حتى تصل إلى ذروة الجنون...عند حد الغضب.

فجأة يصمت كل شيء.

فى الحقيقة هو لا يصمت ولكنك سمحت لعقلك للإنصات له تنازلاً عن تلك الأصوات...وهو يحاول استماع الصمت.

للأسف ليس كل منا يستطيع سماعه إن له طقوساً خاصه... وفي خضم الضجيج ستسمعه.. إن أردت!

أنت موهوب بالفطرة. تظن أنه درب من الجنون لكنه...التعمق.

وهل للصمت صوت نستطيع سماعه.

يحتاج هدنه من الحياة ...

يحتاج لحظة هدوء..

يحتاج وسادة سلام تسند أحلامنا المتعبة...إلى غيمه هادئة تغمرنا بالسكينة.

ليس بالسهولة أن تدرك ذاك الصمت، ولكنه ليس بمستحيل..

وليس كعادة ما تسمعه..

إنه كرائحة المروج، الحرية، التحليق نحو السماء...أو سكون الموت وأنت على قيد الحياة.

إذن أنت لست شخصاً عادياً ...قد تتوقف روايتي عندك أو تنساب بين يديك كالماء.

الميراث الذى نعرفه هو ميراث الأموال، والممتلكات، وحتى المقتنيات؛ لكن الذى لا ندركه...أن كل شيء في هذه الحياة يورث...حتى الأحزان.

انتبه لمقتنياتك الثمينة، وانتبه أكثر للموروث.

حلقة مفرغه إن استطعت الخروج منها فهو جلّ ما فعلت.

ممكن أيضاً أن ترث الحكمة، و الحكم، وجميع الطاقات، و تكون محملاً بنهر من الأضواء . وإن لم تستطع حملها أصبحت كثقل الذنوب.

آن الاوان للتقرب من تلك الأحمال و التعرف عليها من قريب، قد يصبح لديك أحزان و لعنات و لكنها في الحقيقة...هبات.

يتوجب على كلاً منا أن يترجم ذاته ومشاعره ليصبح حراً.

القلب لا ينخدع بسهوله... كل المغريات التي حولك مخادعه، تجعل العقل مستحوذاً عليه لأنه أهوج يتتبع الحواس.

أما القلب يتتبع الإحساس والحدس، لم تسمع له صوت أو ترى معه حرب.

ومن يريد التعرف أكثر إلى هذا القابع بين ضلوعك والذي لا يكل عن الصراع لأجلك تحسبه ضئيل، لكنه في الحقيقة عالم قائم بذاته كل شيئاً فيه يحتويك وأنت لا تشعر. يستطيع السيطرة فقط... بنبضه.

تتبع نبضات قلبك فهي الأصدق.

زهره...

فتره من العمر...بعد الوعى بقليل تدخل ساحة المعركة ...ما زلت صغيراً لكنك ناضج. سوف تخوض المعركة بكل مستوياتها ..تزداد صعوبة كلما تتقدم في الوعى.

ليس الأمر شاقاً كما تعتقد، إحساسك بأنك وحيد هو شيئاً مرهق حقاً وهذا يشعرك بالإنهاك.

لولا المرور بهذه الصعوبات لن تجد لذة الطريق كأنها أفعوانيه طيبه، كلها بُصلات لما سيأتي بعد...والمدهش أنك تجد فراشات ملونه في تلك الحِقبة المتقلبة إنها فقط لإكسابك الثبات والاستقرار، ولترشدك إلى الطريق الصحيح، ولتهدئ من أنفاسك المتهالكة. حقاً ...مؤلمة، وجميله.

استبصر بقلبك.. وتقريباً أنك ستعشق تلك الطرقات!! في النهاية.

لا تقلق ستظل معك حتى وإن أردت العودة، وبكل أسف ستكون ضائعاً.

مخيف أليس كذلك!! تأكد بأنها حمولتك فتلك صعاب موروثه من عائلتك ...هل تستطيع حملها!

هل تظن أن هذه الصغيرة ستتحمل هذا العبء!

قبيل الغروب بقليل.. صوت الموج الهادئ، وحمرة السماء، وقرص الشمس الذى ينحني للمغيب.. يتراقص هذا الشعر مع نسمات الهواء يداعب وجنتها، وتلك الشامة الملتهبة بجانب الحلقة الذهبية المعلقة في أذنها، وهى تضع يدها لتلملم بعضاً من شعرها البرتقالي الداكن الذى يحركه الهواء ويجعله صاخباً...وهى تنظر لأولى خطواتها على تلك الرمال الملساء الناعمة الذهبية. رائحة النسيم مختلفة... تدخل في القلب رغماً عنك ولا تستطيع منعها...إنها لتطهير أنفاسك.

تتلمس الرمال التي هي بعضاً من فتات الذهب على فتات من الفضة مخلوطتان ببعض اللؤلؤ المتناثر هنا وهناك. تتوهج الشامة أكثر.. حان موعد الرحيل...هنا لك فيه ما تريدين.. بشرط أن تلتزمي بقواعده...النقاء، الطهارة، السمو. إن خلت

منهم واحده.. عليك بتلاوة الترانيم ليل نهار حتى تستعيديه.. تتأمل المكان جيداً.. نخيل جوز الهند أوراقها متهدله تلامس موج البحر معلقة بها أرجوحة تسبح في بحر السماء نجوماً تكاد تحادثك، ومركباً أبيضاً مصنوع من بلور.. ذاك مستعداً للترحال دوماً إن أردت الرحيل أو الراحة. تحفظ المكان في ذاكرتها الصغيرة تمشى لتشعر به أكثر. كل شيء هنا لك ما دمت تتمتعين بصفاتك المثلى الباهظة الراقية، والعالية السمو.. وقتما يحين وقت الاختبار ونحن نعلم أنه متعب، وشاق.. ستجدى ملاذك وكل ما تحتاجين إليه هنا!! وقتما تريدين التخلي عن مشاكلك الخبيثة.

ستجدى ما تتمنى... إن على العهد بقيتي!!

كاد كأنه حلماً...أم ...حقيقة.

هذه التقاليد العمياء كالسيوف على رقابنا تباً لها...هل تستطيع كسرها! يمكنك أن تعيش في سلام ولكن احذر!! ليست كل القوانين تُخرق وليست كل العادات مضره...

يجب أن تستبصر.. يجب أن تستخدم الصبر، والحكمة.

هذه زهرتي وبالتأكيد ليست مزروعة في أصيص أو موضوعه في مزهريه. إنها فتاة جميله باتت مولوده من اسبوع، كل شيئاً فيها جميل باستثناء تلك الشامة إنها كبيرة بعض الشيء، لا أعلم هل زادتها جمالاً أم قبحاً.

لسنا ممن يدق (الهون) للمولود الجديد. لكن أبى يفعل ما توصيه به والدته أن يذبح (عقيقه)عندما يولد طفل في البيت.

كان منتظراً أن يأتي ذكراً.. لكنها مشيئة الله جاءت أنثى، وهى حقاً جميله مثلما قالت الجدة، إنها تشبه والدتها كثيراً...بشرة بيضاء وشعر برتقالي وعينان بنيتان.

لكن أمي تنزعج من طاعة زوجها لأمه.

تأتى العائلة من هنا وهناك ويصبح البيت مليئاً بالأطفال والطعام وأطباق كبيره تهدى للجيران.

مازال البيت مليئاً بالخيرات أكثر مما فيه من الألم.

* * * *

جدتي...

فرد من أفراد العائلة عندها كل البصمات، والحركات، والسكنات الذي يحملها كل من حولها، كالصندوق الأسود الذى يحتوى كل الأسرار داخله، دون التعبير عنها أو المسائلة فيها، بالتركيز على نظراتك أين تذهب، وعلى خطواتك أين تقف، صوت فرقعة أصابعك، ومضغ طعامك، ومع ذلك تقف بعيداً حيث لا يراقبها أحد، هادئة ورصينة، مبجله... لا يرد لها طلب ولا ترفض لها كلمه.

جدتي من هؤلاء البشر السماويين والحمد لله إنها كذلك رفيعة المستوى، محنكة، ومتحدثة، وتفقه في الدين كثيراً. اهتم والدها بتعليمها هي وأخواتها الثلاثة الذكور ...كانت أكبرهم وكذلك أولادها.

تزوجت في تلك الفيلا في حي (مصر الجديدة) راقي هادئ تعلوه الأشجار وتكثر فيه رائحة الياسمين، به سكينة وسلام مثلما شجرة الياسمين الخاصة بجدتي ناريمان

هي حقاً جميلة بلا مبالغة...من قلبها إلى لباسها.

جدتي من (اسطنبول) جينات الرقة والجمال: طويله، وأنيقة، ودبلوماسية، ذات عقل مخضوب بالمسؤوليات، وقلب يحتوى الجميع...لولا جدتي لصار العالم كالجحيم.

لها غرفه كبيره في الطابق الأول عند المدخل، تطل على حديقة المنزل. تحب جدتي الجلوس في شرفتها المليئة بالأزهار...تشبه جناحاً فاخراً في غرف الفنادق الراقية بها كل متطلباتها وهى تكتفى بها عن العالم بل العالم يوجد بها...مكتبه بها مقتنياتها الخاصة، كتبها الثمينة وعبق الماضي ...ذكريات لم تُنسى. وخصوصاً صندوق في أخر الغرفة بجانب السرير، بنى مزركش بالفضة لا أحد يجرؤ على لمسه. وأهم شيئاً في هذه الغرفة سجادة الصلاة والمصحف ... وموقداً صغير لصنع القهوة.

جدتي لها ملامح خاصه شعر بنى يغزوه البياض، وعيون مثل لون الغروب مضيئة بسحر الألغاز، والتشويق. لم أعلم هل أنا فقط من يشعر بذلك الجمال.

لا تنظر جدتي أبداً إلى ثوبك، أو ثمن عطرك، أو مكانتك الاجتماعية. هي تنظر إلى قلبك هل هو صالح! فمن هنا تبدأ في معاملتك، وصدقني لن تلتمس لك أي عذر إذ لم تكن صادقاً معها..

عندما يضيق بنا البيت، وغُرفنا، والحياة.. نذهب إلى غرفتها نجلس تحت قدميها، ونستمع لصوتها يتردد في أذاننا ليهذب تلك الشوارد التي يحملها جسمنا الغض من السلبيات.

روحها تحوطني تبعث في قلبي الطمأنينة والهدوء ...نقبل يدها كما يفعل أبى ونتحدث حتى الإفطار.

عندما تدخل باب الغرفة حتماً ستنتقل إلى بلد العجائب، مرتبه ونظيفة إلى أبعد حد كأن بها عشر خادمات.

تخرج من صحبتها منتشياً وجديداً، مكتفياً، مستعد للخوض في المجهول دون خوف تثقل روحك وتبنى داخلك كياناً لا يهزم.

تلك الفيلا الكبيرة كل شيئاً يعود فيها للعادات التركية: كالسجاد، ونظام المطبخ، والنجف وبعض التحف...حتى رائحة الطعام.

بيت العائلة: أبى وأمي، وعمى وزوجته، وأنا وفرح، وناجى ابنهما...منذ وفاة جدى رحل عمى إلى اسطنبول بحجة أنه يريد الاستقلال ولكنى وفرح لم نصدق ذلك.

فرغ البيت وصارت جدتنا ملاذنا الأخير. رغم فارق العمر لكننا نتواصل بشكل جيد.

وفى يوم من الأيام سمعنا كالعادة صراخ أمي وأبى، ولكنه اليوم كان عالياً ومريعاً فقد علمنا أن أمي لديها (نونو) حاملاً بطفل، أحقاً!! وخرجنا مسرعين من غرفة جدتي لنستمع أكثر.. لم يعيرا اهتماماً لنا.

نظرنا لبعضنا أنا وأختي بضحكات خفيه، نضع أيدينا على أفواهنا نكتم الفرحة ونخفض صوت سعادتنا.

قالت فرح:

ـ بجد ده.. قالتها في دهشة وسعادة.

ردت عليها نور في حزن:

- ليه ماما مش عايزه النونو، صغير وجميل كده.

- مش عارفه حاسه إني هحبه زي ناجى، يا ريت ماما تجيبه للبيت.

وفى نفس الوقت تقطع حديثنا الطفولي الهادئ بصراخها الحاد واعتراضها الدائم..

ـ أنا مش هسيب جسمي يبوظ تاني، وشكلي قدام الناس هيكون إيه. وهى تشير إلى بطنها وكأنه يبدو كبيراً جداً، وازاي هسافر وأعرض تصاميمي وأنا في الوضع ده.

يرد عليها أبى بانفعال شديد وصوت تهديد:

ـ أنا عايز الطفل ده يا آمال، ولو فكرتي تعملي فيه حاجه هتشوفي أنا هعمل إيه.

تنظر في عينيه وجبهته اللتان تعلو فيهما النار. يمسكها من يديها ويحكم قبضته، وهى تعلم هذه النظرة؛ إن أبى لا يبالى أحياناً لكنه عندما يرغب في شيئاً منها.. تبدأ نبرة الصوت في التحول ولا أحد يستطيع أن يوقفه أن ذاك.

عندما رأت أمي هذه النظرة استسلمت وانقلبت كالقطة مثلما تقول عنها جدتي دائماً...وقد أومأت برأسها أنها موافقه.

(وما أدراكم ماذا فعلت أمي من وراء أبى لإجهاض هذا الجنين!).

كنا صغاراً.. نحمل ملامح البراءة والطفولة، جيناتنا مصريه يغلب علينا الطابع التركي...(فرح) تشبه أمي... شعرها أسود، وبشرتها قمحيه، وعيناها بنيتان، وجسدها ضئيل. هي الكبيرة ويظن الناس أنني الأكبر، ذكية هي تحب التكنولوجيا والحسابات، وخصوصاً تصاميم أمي. هي انطوائية وكتومه، ولها نظام خاص في الثياب والطعام، وأعتقد أن فعلها هذا إنما هو نتاج إهمال أمي أحياناً بل دائماً.

أما أنا فأُشبه والدى قليلاً.. من ناحية العقل والجسد والجدية، فأبى طويل القامه، وأبيض البشرة، وشعر فاتحٌ ناعم. فقد أسماني نور على اسم زوجة عمه الذي كان يحبها كثيراً.

أنا أحب كتابة القصص، وأحب أن أصبح روائية ...ولى موقع على صفحات التواصل الاجتماعي، وبعض الروايات القليلة.

آمال...

هي رغبة ملحه لتصل إلى ما كنت تريده و تأمله.

لكني لدي رأى أخر، ليست كل الآمال عليك تحقيقها.. حيث توجد آمال كاذبه.

(آمال هاشم) مصممة أزياء مشهوره...تحب السيطرة، وتحب أن يكون لها نفوذ. على قدر من الجمال، تحب الظهور بمظهر جذاب مع عطراً عالمي، تشتهر بتصرفاتها الغريبة. ولها أيضاً مصنع لتفصيل الأزياء.. أسسه لها زوجها.

والدها (هاشم سليم) يعمل في مجال التصميم أيضاً ذو صوت أجش،وأصلع. قصير نوعاً ما، وسمين بعض الشيء ...يرتدى الملابس الأنيقة، ودائماً ما تجد معه سيجار.

تعدى الثامنة والستين من عمره، أرمل وأناني، ومادى إلى أقصى حد.

آمال تكتسب من والدها بعض الصفات. المال وسيلتها الوحيدة لتحقيق ما تريده.

وبصفة أن زوجها هو (ماجد خورشيد) صاحب شركة الاستيراد والتصدير في مصر، وأخوه رؤوف يديرها من اسطنبول. فإن عائلة خورشيد لها سمعه كبيره في كلا الطرفين. يسهل توريد مصنع سليم إلى هناك، وبالتالي يعمل حساب كبير لماجد.

يقول سليم بصوته الأجش الغليظ:

ـ خلصنا التصاميم، المصنع جاهز. امتى هنبتدي نبعتها.

قالها وهو يجلس على الكرسي أمامه، يشعل السيجار من قداحه على مكتب ماجد.

فرد ماجد:

ـ في أي وقت انت عايزه يا سليم، انت عارف إني مش بتأخر علي حاجتك أو حاجة آمال.

أومأ سليم برأسه وهو يقوم وينظر إلى النافذة وينفث الدخان..

ـ أنا عارف إنك بتسمع كلامي دايماً يا ماجد، وعايزك تسمع كلام آمال المرة دي وطاوعها...انتوا عندكوا اتنين وكده كفاية.

قام ماجد من مجلسه بغضب، وضرب رأس المكتب بكلتا يديه وقال بصوت غاضب:

ـ سليم...اللي بيني وبينك شغل وبس. حاجتي الخاصة أرجوك ما تدخلش فيها، أنا راجل البيت وجوزها، وعايز الطفل ده ولو في أي خطر على حياتها كنت وافقتها

على أي حاجه. وبايدي ألغى كل حاجه انتوا الاتنين بتعملوها، وأخر مره تتكلم معايه في حاجه غير الشغل.

أطفأ سليم السيجار وأخذ يكرر طبعاً طبعاً الشغل وبس. وشرع في الخروج من المكتب خوفاً من تضرر أعماله المادية مع خورشيد.

بيت سليم...

هرع على الفور إلى فيلته بالزمالك. جرت آمال واستقبلت والدها لتعلم ماذا قال زوجها. ومن ثم قال لها:

ـ مفيش فايده هو عايز الطفل، وأنا كمان...شغلي هيتأثر يا آمال لو طاوعتك.

يجلس على كرسي الصالون ويقول بصوت متهكم:

ـ روحي لبيت جوزك واسمعي الكلام بلاش عناد، وهما كام شهر وهترجعي زي الأول وأحسن.

لم يعبأ والدها بما في ضميرها، أو يسألها عن مخاوفها. أطفأ السيجار وصعد على الدرج وهو يخلع الجرافات والساعة..

ـ الغدا إيه النهاردة أومال.

ليس لديها حيله ...تفعل مثلما فعلت والدتها من قبل؟ لم يهنأ لها بال إلا وقد أرهقت نفسها بالإجهاض...وكأن هذا الكون لن يستسلم حتى يولد هذا المولود حتماً.

مع كل تلك المحاولات. حتى قال الطبيب...ستموتين إن فعلت شيئاً أخر.

كانت آمال في حيرة...يجب أن تجهض هذا المولود. لا يجب أن يأتي إلى الدنيا وإلا ستموت هي.

لا أحد يشعر بها. ولا أحد يعلم بما في نفسها...ما زالت يانعه وناجحة.

قال الطبيب:

ـ بلاش حركه من فضلك يا مدام آمال لو سمحتي أنا مش هقدر أعمل حاجه تاني انتي أخدتي أدويه بما فيه الكفاية أرجوك هو اسبوع واحد استحملي من فضلك.

إنها على حافة الموت ماجد هو السبب كان يجب أن يموت هو قبلي لا يشعر بالرعب الذى فيه الان يوصني الطبيب أن أصبر على أجلى.

ثم تدخل في غيبوبة وتلد دون أن تشعر. تستيقظ وبجانبها أجمل مولوده في المنزل.

تقول جدتي:
ـ سبحان الله ...ربنا مش بيتعاند، قادر على كل شيء أنا عارفه إن المولود ده خير للجميع.

ساعات قليله وستعود أمي إلى البيت ويعود معها الطفل الجديد. كم نحن متشوقون لرؤيته. طلبنا من (دادا زينب) أن تضع معنا زينه وبالونات وطعام ومشروبات سنصنع لهذا الطفل حياه كما جاء لنا بحياة.

أنا (نور خورشيد) أسكن مع زوجي مصطفى في الرياض. فلسطيني الاصل عاش بمصر أكثر من بلده الأم. أستشهد والده هناك وأتت والدته مباشرة إلى أبى، من قبل صديق لديه، وأسكنها معنا وصارت أماً أخرى لي ولأختي. هو الان معيداً في جامعة الرياض. ابى يحبه كثيراً هو من رباه أيضاً.

أفتقد بيتي في مصر وخصوصاً جدتي. يعلم مصطفى مدى تعلقي بهم فهو يوفر النقود دائماً للزيارات المفاجئة.

الفصل الأول

الطفل الجديد

اتصلت جدتي للاطمئنان على أمي...

- إيه الأخبار يا ماجد. طمني آمال كويسه.

- آمال تعبانة شويه مش هنخرج النهاردة، ممكن على بكره إن شاء الله.

- تيجوا بالسلامة يا ابنى ربنا معاكوا.

جدتي قلقه ولكن قلما يظهر عليها الاضطراب أو الخوف. ولكنا أنا وفرح كنا في غاية السعادة والقلق في آنٍ واحد. لم ننم ظل البيت فارغاً منذ سفر عمى.

أخيراً وصل أبى في منتصف الليل. علمنا أنه لن يأتي بالطفل. سمعنا صوت السيارة، ونزلنا لرؤيته. أنار أبى أضواء الفيلا كلها وهو مبتسم وسعيد صنع ضجيجاً عالياً.

لم نعهد أبى منذ فتره بهذه الفرحة. وجدناهما قد وصلا ...ودخل أبى إلى غرفة والدته للاطمئنان عليها وينظر هل مستيقظة للفجر. ونحن نتفحص الطفل ونسأل أمي...أهو ولد أم فتاة؟ ردت أمي في تعب واستياء:

ـ بنت زيكوا.

جاءت دادا زينب، وحملت الطفلة وقالت:

ـ بسم الله ما شاء الله، زي القمر...اسمها إيه يا هانم.

نبتسم وننظر إلى الطفلة في حنان ورقه. ردت أمي بامتعاض:

ـ اسألي البيه هو عارف.

تركتنا أمي وصعدت إلى غرفتها وهى تدوس بقدميها لتكتم الفرحة في صدورنا، وتغلق أبواب السعادة في وجهنا، وتشع سواداً في بيت أمانينا وتكتف بحبال اليأس أي ذره للحياة فينا...حتى نكون متعطشين للبهجة ولا نجدها.

حتى جاء أبى وبيده جدتي...تلملم الصقيع الذى حدث في تلك الحظة وهى تنظر على أمي وهى تصعد وقد استوعبت الأمر فقالت مبتهجة:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم زي القمر أهي وباين عليها طيوبه.

تحملها جدتي وتباركها بآيات القرآن وتمسح على قلبها وألبستها عقداً ذهبيا به آية الكرسي. تتنهد جدتي ولا أعلم لماذا!! هل لأن الأمور بخير؟ أم هي سعيدة لوجود تلك الفتاة التي أحببناها وستملأ علينا الفيلا بدلاً عمن ذهبوا!

مبيعات لعملها...

هذا فقط ما كنا نتحصل عليه من والدتنا، بعض الصور تحمل ذكريات جافه ليس بها حنان. لا نشعر بطعم الامومة...قلوبنا جوفاء ولكنا اعتدنا ذلك. كان أبى يخلق دائماً جواً من الود والألفة بيننا، بينما كانت جدتنا تربّت على أرواحنا وتعلم أن أمي مقصره لكنها لم تنبت ببنت شفه عليها بالشر أبداً. بل علمتنا الاعتماد على أنفسنا وحب كياننا...جدتي متمكنة في تطويع العقل الباطن وتغليفه بالحب والطمأنينة.

استعجبت (دادا زينب) من فعل أمي، ثم تداركت الأمر. سأل أبى عن أمي..

ـ الله ...فين آمال! ماما راحت فين؟ وهو ينظر إلينا باستغراب.

ردت الدادا:

ـ طلعت أوضتها يا أستاذ ماجد. تحب أحضر العشا؟

فكر أبى لبرهه، وقال:

ـ ياريت، وآمال تأكل برضه هطلع أجيبها وأجي.

دخل الغرفة واقترب منها وأحب أن يضمها إليه... وقال بصوت منخفض:

- آمال ...آمال نمتى! تعالى كلى معانا لقمه.

- لا أنا تعبانة وهنام. وهى تدفعه عنها بكتفها.

صمت برهه ليستوعب ماذا تريد، ثم قال:

- وزهره مين هياكلها وهياخد باله منها هي محتاجه لمامتها. يلا يا حبيبتي قومي معايه..

اعتدلت آمال على سريرها وقالت بتعب وعصبيه:

- ماجد...أنا سمعت كلامك لحد ما كنت هموت. البنت اللي كنت عايزها عندك أهي، وزينب معاها تأكلها وتشربها.

وأكملت حديثها بضحك وتهكم وأمك...تربيهم عادى. أما أنا سيبنى لشغلي وبس.

ظن ماجد أنها متعبه من الوضع. فقال لها:

- ريحي جسمك ونامي شويه. وقد وضع عليها الغطاء وأطفئ الضوء وأغلق باب الغرفة، وأغلق قلبه تماماً.

بنات والدنا...

مر وقت طويل لم نكن نعلم أن أبى وأمي لا يلتقيان. أو أن أبى كان شبه مخدراً، لا يعلم شيء. وصار طبعه الصمت وبعض الوحدة. البيت ظمأن للحب...ونبع الحب فارغ، ولا يعيش الانسان على بدائل... فيكون مريضاً غير مكتمل. ثمة غصة في حلقنا...تتعب أرواحنا... الخواء الذى فعلته بنا هذه السيدة ...كبير.

جميل البيت في أبهى زينه...أصدقائي أنا وفرح من المدرسة قد حضرن لم نكن لنذهب إلى المدرسة إلا في امتحانات أخر العام كما تحب أمي (بناتي يقعدوا في البيت يدرسوا هم مش زي أي حد) بالمعنى الصحيح مقطوعين عن أي أحد إلا بعض المدرسات اللاتي يأتين للدروس وانتهى الأمر.

كان عمى رؤوف هو من يتصدى لأمي إنه جريء وعادل، وعصبي بعض الشيء، وأمي تعمل له حساب وتخشاه. لكنه لا يحب العيش في مثل هذه الضغوط.

وخصوصاً أنه كان يخاف على مشاعر زوجته ووالدته ومشاعر أبى أيضاً. وقد عرض على جدتي الذهاب معه لكنها رفضت أن تترك منزلها وتتركنا بمفردنا.

لكنها في الحقيقة كانت تعلم لاحقاً أشياء لم تخطر لنا على بال.

قالت آمال وهى تقترب من ماجد في تصنع، وفى ابهى صورها ورائحة العطر الطاغية:

ـ إيه رأيك في الحفلة! جميله مش كده. عجبتك! عملت كل حاجه مظبوطة بالملى عشان صافيناز تحس إني أفضل منها بكتير وكمان جوزي مكلف الحاجات دي كلها عشاني بعد كده مش هتقدر تتكلم معايه...دايماً هكسبها في الشغل وفى البيت.

وكان رد ماجد الصمت نظر لها نظرة لامبالاة كأنه يقول (بيت إيه اللي واخده بالك منه ده.) وكأنه انتبه حينما قالت له:

ـ إيه رأيك في عماد ابنها. رجل أعمال قد الدنيا ووسيم وشيك وغنى أعتقد أي بنت تتمناه. عملت الحفلة دي كلها عشان يشوف زهره.

وظن ماجد أن زوجته أصابها الجنون وقال بصوت عالي...يناظرها باستغراب:

ـ زهره. زهره إيه يا آمال. مالها ومال القصة بتاعتك دي.

قالت آمال وهى تلوح لإحدى الكاميرات وتبعث قبله من بعيد في الهواء...بفكر في عماد لزهره. يتجوزوا ويسافروا على باريس، وكمان لما صافيناز تعرف إن بنتي مع ابنها تعملي حساب أكثر.

قال ماجد وهو يضع فنجان الشاي على البوفيه:

ـ أنا كنت فاكرك هتكلميني على فرح مش زهره. زهره لسه صغيره. وهو ينظر إلى ابنته، وأكمل حديثه...فرح كبرت وبقت عروسه هي أولى. وبعدين سفر إيه اللي بتقولي عليه ده.

ردت آمال سريعاً:

ـ فرح لاء. قصدي دماغها ناشفه وهترفض، وبعدين أنا محتاجاها. وقد ظهرت على ملامحها القلق. فرح بتخلصلي شغلي ومهمه بالنسبالي. زهره أحلى، وبعدين عماد باين إنه معجب بزهره أكتر. وهيحبها.

رد عليها بتهكم وضحكه سمجه:

- هو لحق. وانتي بقى همك البنات فبتخططي بقى وتحطينا تحت الأمر الواقع.
أطلق ضحكه مصطنعة وقال:

- مش موافق طبعاً. وتركها وذهب.

ذهبت خلفه تجذبه وتوقفه بمسك ذراعه وقالت وهى تجز على فكيها...وتكتم صوتها:

- أومال عايز تجوزها لشحات، وتسفرها معاه زي بنتك نور. من غير ما تاخد حتى رأيى مش هسمح إنك تعمل كده تاني.

- أنا أبوهم وأدرى بمصلحتهم يا آمال. ماتنسيش ده.

- وأنا أمهم يا ماجد.

استدار إليها وجذبها بكل قوه وقال:

ـ وانتي كنتي فين السنين اللي فاتت دي يا ست هانم ...انتى حتى متعرفيش بناتك عندهم هدوم إيه ولا بيحبوا ياكلوا إيه، ومذاكرتهم ولا صحابهم حتى . انتى مش عايشه معانا يا حبيبتي.

انتبه الحضور لصوته العالي...حتى انتبهت آمال

وأطلقت ضحكه مضمونها (كل حاجه تمام خدوا راحتكم بنهزر). وكالعادة...

بعد كل مناسبه تطلق أمي العنان الى شيطانها المتخفي كي يدمر كل شيئاً حتى لا يستريح أبى، ويعلن انسحابه من المعركة خاسراً.

لم يعد أبى يهتم بشيئاً أخر سوى جدتي، لا صوت عالي ولا مشاحنات. يريد الهدوء وأمي كانت تضرب على تلك الناحية فأبى يحب أمه كثيراً.

في مثل هذه الأثناء ترتب آمال مواعيد بين زهره وعماد، وتحكى زهره لفرح كل شيءاً تقريباً فهي بمثابة أمها الروحية حتى أنها شجعتها على أن تلتحق بكلية الفنون بدلاً من كلية التجارة التي أرادتها آمال لها. قد صنعت لأختها عالم حرمت منه هي.

* * * *

الحلم...

يقول الصوت...كل شيئاً هنا ملكك وملاذك إن كنتِ على العهد باقيه.

تستفيق على صوت العهد وتنظر حولها وتتسائل...أحلمٌ هذا أم حقيقه. تبقى منتبهة لفتره تسترجع الذاكرة وتتأمل تلك الأصوات.

الموروث الذى تحمله أمي ولم تستطع التخلي عنه كانت من الممكن أن تواجهه ولكنها أكملت به طريقها ...لم تتحلى بالشجاعة لمواجهته أغرتها الماديات فتعلقت بكل شيئاً إلا روحها.

الفيلا كلها في حيره دائمه طالما تفعل ما يحلو لها. عندما يحين وقت الغضب نذهب لغرفة الإيواء الأولى عند جدتي محظور على أمي دخولها .لم يمنعها أحد لكن هي تحذر من الاقتراب منها أساساً .

عندما ترتل جدتي القرآن ونحن تحت قدميها نجد أطيافاً لا نعرف لها شكلاً جدتي تحبها وتلك الأطياف تحبنا لا نسمع لها صوتاً لكن تنشر الأمان، والهدوء على البيت بأكمله. وكأن الغرفة مقبرة للسواد الذى تحمله أمي.

العناد والهوى أحياناً يصبحان أقوى من الحق ولأنك تعودت على وجوده والإنصات له فقد ضربت بالروح عرض الحائط وهنيئاً لك بنفس سوداء وجسد خالي من المشاعر والأحاسيس وسحقا لمن حولك تجعلهم كالتراب.

معنى القوة...

فرح وزهره مشغولتان بأعمال أمي على الحاسوب لوقت كبير. أما أنا سيدة القصر بعد أن طردت أمي دادا زينب من الفيلا مازال أبى يهتم بها كأنها معنا كان ليرضى أمي لئلا تعبث بذاك الهدوء الذى يوفره لجدتي.

يجلس أبى وقتاً طويلاً في غرفة المكتب، أو عند قدمي والدته. أصبحت الان مشغولة بالمنزل وبإطعام جدتي. كنت أكلم مصطفى يومياً وأحكى لجدتي عن تلك المحادثات لم يكن لدينا أحد إنه يستعد للسفر إلى السعودية. إنه شهمً يراعى والدته وأخته. حتى تزوجت أخته ليلى واطمئن عليها. كان يذهب بسيارة أبى إلى حيث يأمره. محنك، وذكى. والعجيب أنى لم أعلم من أين اكتسب سمرته هذه. يعجبني أسلوبه فهو غيور وظريف، لبق ومخلص، والمهم أن أبى يحبه مثل ابنه تماماً. هذا النيق يبعث لي الورود أحياناً وقطع الشوكولاتة الداكنة وأشياء أنا لا أعلم من أين عرفها عنى. تنتابني السعادة وأشعر بالحياة عندما يتواجد حولي قاصداً هذا كأنه يملئ قلبي دائماً بالأمان. إنه عوضاً للفراغ الذى تغرق فيه روحي. أحمد الله أنه فعلاً بجانبي، أتمنى لفرح أن يمتلئ. قلبها هي الأخرى مثلى...بالحب.

مكالمة مصطفى وهو يتصل بي من السعودية...

- وحشتيني ...الوقت من غير ما تكوني معايه صعب جداً. إن شاء الله قريب تكوني معايه.

- ربنا يسهل انت عارف ماما صعب توافق بسهوله. تقول ونبرة الصوت مليئة ببعض اليأس.

يدرك أفكارها بتفاؤل ويقول:

ـ إن شاء الله توافق ونعمل أحلى فرح كمان.

وتنتهى المكالمة على خير. إنها حقا قصيره لكنها مطمئنه يعمل بعملين ليوفر لنا حياة مرفهه.

تحكى جدتي أشياء لوالدي أثناء العشاء...يقطع الفاكهة ويطعمها بعضاً منها ويأكل معها ويتسامران ...ثم يرن جرس الهاتف المحمول، يلتقط أبى الهاتف ومن ثم يرد قائلاً:

- رؤوف ...أهلا أهلا ازيك يا حبيبي أخبارك إيه .تغير صوت أبى وتهلل وجهه بالفرحة منذ زمن لم نكاد نراها .يرد عمى بصوت مسموع :

- الحمد لله بخير. عاملين إيه وازاى أمي صحتها كويسه دلوقتي.

- ماما معاك أهي هتكلمك بنفسها.

- ازيك يا حبيبي. عامل إيه.

- ازيك انتي يا أمي. يقولها باشتياق كأنه يبكى. أنا هموت وأترمى في حضنك والله أنا جايلك قريب إن شاء الله.

- بعد الشر عنك يا حبيبي تيجي بالسلامة تنورونا وتأسونا.

- ليكي عندي مفاجأة لما أجي هتعرفيها.

- تنور وتملا الدنيا هنا انت ومراتك وناجى حبيبي. يرد أبى ويقاطع الحديث بعفويه ويقول أيوه يا عم جاي مصر أهو وهو يضحك...وكأن قطعة من روحه تم استعادتها. ثم أردف عمى:

- واحتمال أطول بقى المرة دي. صمت أبى برهه ثم شعر بشيئاً لكنه تجاوزه قائلاً:

- غريبه مش عوايدك يعنى.

- لما نتقابل هحكيلك.

- طب مش عايزنى أحضرلك حاجه لحد ما تيجى؟

- ما تشغلش بالك العمليه سهله والله.

- طب والشركه مين فيها دلوقتى.

- انت ناسي إن ناجى ماسك الشركة كلها دلوقت ولا إيه. ايدى اليمين يا حبيبي.

- إذا كان كده تبقى ادلع انت بقى شويه. ويضحكان هما الاثنان ويقول كل منهما للأخر في رعاية الله وينتهى الحديث ثم لا ينتهى القلب عن التقلب والتفكير.

أضحت جدتي تأكل بشراهة وكأن حالتها تحسنت لأن رؤوف عائد إلى المنزل.

أحب وجود طنت ريم زوجة عمى ...إنسانه نقية، وهادئة وتحبني أنا وفرح جداً ليت تلك الأيام تعود ثانية.

* * * *

الوحمة(الشامة)

انطلقت نحو فرح للطابق العلوى بعد تلك المكالمة، أخذ أنفاسي بلهفه وسعادة وأبلغها:

ـ فرح فرح وفتحت الباب على مصراعيه وقد تلعثمت بالكلام عارفه مين جاي عندنا الاسبوع الجاي!

ردت وقالت وهى تنظر إلى بسخريه:

ـ ماعرفش طبعاً.

قلت لها بحماس:

- عمى رؤوف. وأنا أصفق وابتسم، وعيناي نصب عينها ، لا أعلم ما يدور بعقلها ...لكنى وجدتها وقد ردت الروح إليها. أيضاً ثم قالت وقد اهتمت بالحوار، واعتدلت أمامي:

- وناجى جاى معاهم؟!

- ماعرفش. وأنا أستدير وأجعلها تشتاق لكلامي... أكيد هيجي هو كمان عايز يشوف نانا، أنا حاسه إنهم ممكن يرجعوا يعيشوا معانا هنا تاني. ياريت على الأقل هيخف النكد هنا شويه.

- لاا، معتقدش. قالت وهى متعبه ويائسة جلست على الكرسي كما كانت، وتراجع الفرح من عينيها، ولكنى بعثت الأمل فيها من جديد.

- المهم إنهم راجعين وهنشوف طنت ريم ونقعد معاها زي زمان.

تناولت فرح الفأرة وبدأت تبحث في الحاسوب عن الصور القديمة وقالت:

- طنت ريم هتتفاجئ لما تعرف إني لسه محتفظة بالصور دي على الرغم من إن ماما بوظت أغلبها. وقالت كلامها بانكسار. ضممتها بحنان بين ذراعي، وقلت لها:

- مش المفروض منك إنك تصلحي اللي ماما بتعترض عليه وتبوظه عمد، عيشي حياتك وبطلى خوف منها وقلق أنا خايفه عليكى انتي.

فى هذه اللحظة استيقظت زهره من نومها مفزوعة وجرينا عليها وهى تقول:

- لا لا بلاش والنبي. وظلت ترده وهى تبكى. استفاقت، ومسحنا وجهها بالماء.

ضمتها فرح إلى صدرها، وقالت بصوت هادئ مليئاً بالحنان:

- مالك في إيه خضتينا عليكي، نفس الحلم بردو!!

- اه نفسه حد بيخنق ماما، وهي تضع يدها على شامتها. قد علمنا نحن الاثنان أن وقت اشتعال الشامة هو وقت اشتغال السحر...تبدأ الكوابيس المستمرة والقلق. لكن هي لا تعبأ بما يحدث لها، إنها قلقة على أحدهم، وتريد أن تعرف لما كل هذه التحذيرات في الأحلام؟ ولما تلك الشامة البنيه تنقلب إلى حمراء ...حمراء قانيه، ومن هو الشبح الذى يطارد أمها بين الحين والأخر. لم تجدى نفعاً تلك العلاجات والكريمات التي تضعها على تلك الشامة الغضبى.

كل شخص منا أتلفه حبيب. أنت تعيش متماسكاً حتى تكتشف أنك تعيش على هامش حياة أحدهم. فتأكد أنك تراعى مشاعرك كما تراعى مشاعر الأخرين. فقد تتأذى وأنت تظن أن أحبابك بخير هو أهم شيء ... بينما أنت تتمزق من الداخل. لملم أشلائك واستعيد قوتك فأنت حقاً ذاهب إلى ...الحرب

لماذا فرس في وسط الصحراء؟!

هذه المرة كانت إلى صحراء.. نفس ملمس الرمال باختلاف الجو الدافئ ولا شيء بعد سوى كثبان رمليه هنا وهناك على مرمى البصر. ثم سمعت من ناحيه اليمين صوت صهيل ...فاندهشت! لما يوجد فرس في وسط الصحراء؟! فاقتربت إليه إنه يعلم من أنا ولا أعلم من هو، انني ولأول مره أراه. أخذ يتودد إلى ويصهل كأنه يحكى عن مغامراتنا معاً. لا أتذكر شيئاً. لكنى أحببته. قوى ورقيق لونه أدهم لامع كخيوط فضيه تسترسل على بشرته. يعلم أنه رائع فيتبختر ليظهر جماله، نظيف جداً على الرغم من أنه يعيش بالصحراء. نظرت خلفي وتفاجأت بالسايس ...فتراجعت قليلاً، لم أعلم مسبقاً من هو إلا أنه عرفني بنفسه على الفور قبل أن أخرب نظام الهدوء هنا. إنه يشبه أحداً ما. في الحقيقة.. لا أتذكر!! ثم قام بصوت صفير فوجدت فرسة على عكس ذاك الحصان ناصعة البياض شهباء تأتى من السماء لها جناحين، وتطير لتأكل. ومن ثم رأتني حتى أخلت هي بنظام الهدوء هذا وصهلت كأنها تقول (لا تلمسي حبيبي.) إنها غيورجداً. حتى هدأها السايس فرمقتني بنظره أقشعرت فيها أوصالي.

ثم أصحو من النوم متعبة.

تتوالى الأحلام وأنا أنسقها في عقلي... والسلام.

نور...

كنت دائماً أشعر بالخوف من الخارج ...البيت يكفى؛ ولكنه في الحقيقة ينقصه بعض الأمان.

صوت الرعد، صوت حفيف الشجر، الهواء الشديد، وحتى خطواتي على الأرض الخضراء. لا ينفك يذهب الخوف من عقلي.

زرعت تلك الآمال أشواكاً حول قلوبنا وأرادت أن تسيطر على مجرى دمائنا بصفتها الأم أو الألم. (ليس كل ما تراه وتشعر به هو حقيقة مسلم بها.. تتبع قلبك

دائماً وأترك له مساحة كي يشرح لك الوضع برويه ...إنه البوصلة التي تحتاجها لتعرف طريقك).

يجب أن تتخلى عن ورثك السيئ، وهذا ما كنت أحارب لأجله. لا أريد أن أرث من أمي تلك الشعوذات، والإرهاق، والاستنزاف الروحي، ولا أريد أن أورثها لأحد ابنائي بالطبع. كنت أساعد أختي في ذلك أيضاً.

كنا مكسورين من الداخل ولا نستطيع التواصل مع أنفسنا حتى نستطيع التفاعل مع الأخرين على الرغم من الحفلات التي تدبرها أمي بين الحين والأخر.

حيث أنك نويت التغيير...يبدأ على الفور دعمك، يبعث (الله) الإسعافات الأولية، تمهد لك الطريق لن يبقيك منتظراً...ملائكة تنثر الورود على طول الطريق، وتهذب أنفاسك اللاهثة، وتضمد جراح الروح المتهالكة. إذن مرحباً بالتغيير. ومن ثم تملئ ذلك الفراغ بالنور.

هوايتي الكتابة، والبحث في ذلك العالم المجهول لأصل إلى هويتي الحقيقية، وأكثر ما كان يثيرني هو حكايات جدتي عما فى ذاك الصندوق.

ثمة داعم صغير حاضر غائب شديد الخفاء وهذا أخر المطاف، هدية السماء...يظهر فقط عندما تتم تصفية وتنقية الروح تماماً حتى تصبح كالزجاج.

*** * * ***

زواجي...

مر وقت طويل لإقناع أمي بزواجي من مصطفى. هو ذاك الشخص الذى إذا حضر أحضر السرور معه. بعد شراء أشياء المنزل التي يشتريها لنا اسبوعياً... يأتي ببعض الحلوى والورود. شخص مفعم بالعطاء والحب، يستطيع رسم الابتسامة أينما حل، يضحك بشده، وتضحك والدته أيضا وتقول له بنبرة حاده:

- مصطفى. خليك محترم ومتربى، ووطي صوتك. يضع يده على فمه ويلملم صوت الضحك، لكن أبى يمر علينا ويربت على ظهره ويقول:

- أنت غالى عندي، زي ابنى تمام، طالما مابتزعلش حد منهم.

أبى من رباه، هو حقاً يحبه. ويعلم أنه يحبني،

تتركنا دادا زينب، تذهب لتعد لنا الطعام. كانت هادئة، ونظيفة، وسريعة في عملها...تعلمنا منها الكثير. وكنا نشعر أحياناً أنها أمنا. تعد لنا أطباقا فلسطينية

تذكرها بمكانها الأصلي، كل منا يبحث عن أين ذهبت روحه؟!

زهره...

سافرت أمي كالعادة قلما تكون موجوده. وهذه المرة بالتأكيد مختلفة...

عادت ليلاً، كنا نحضر طعام العشاء بعد أن صممت على رحيل ماما زينب من الفيلا نهائياً، بعد محاولات من والدى ليستبقيها.

جلست معنا على المائدة، حكت بصوت حاد وعالي عن رحلتها التي لا نريد أن نعرف عنها شيئاً، لم ينتبه أبى لكلامها، وقامت جدتي وأنهت طعامها، ومن ثم أدركت أن نور ليست موجوده...نادت عليها ، ثم نظرت في وجوهنا. وتوقفت عن مضغ الطعام، ابتلعت ريقها، ونظرت إلى أبى وقالت:

ـ انت عملت اللي في دماغك بردو. وكأن شيطانها أخبرها بما حدث. فين نور...فين بنتي.

لم يعبأ أبى بما ستقوله أو تفعله. مازال صامتاً. أخذت تضرب بالأطباق على المائدة. أشار أبى إلينا أن نذهب إلى غرفة جدتي. وبدأت أمي بالهذيان والسب وقالت:

ـ أنا اتأخرت عشان محدش يجوز بنته من غير أمها، لاء وإيه هي كمان وافقت واتجوزت وسافرت والأنيل إنها رضيت بابن الخدامه كمان. أودى وشى للناس فين. ومكانتي بينهم ولما يعرفوا إني جوزت بنتي في السر لابن الشغاله هيخلوني مسخره بينهم.

أخذت تدمر الأشياء حولها. هي من اضطرته لفعل ذلك. فقد كُشف ما الذى أرادت فعله.

جذبها إليه وشدد في قبضته. وقال بصوت هادئ وعميق، ومخيف:

ـ أنا هنا راجل البيت، وقد صفعها على وجهها فسقطت مغشياً عليها وأنفها ينزف. لقد تركنا أبى وأخذ سيارته ورحل.

البيت عباره عن ساحة معركه، كله خرب بفضل أمي.

ذهبت بها إلى الأعلى لأضمد جرحها فقد شقت شفتها أيضاً، في الحقيقة كانت الصفعة شديده وما إن لبثت لبعض الوقت وخلدت إلى النوم.

ذهبت إلى غرفة جدتي اطمأن على أبى هل أجرى اتصال.

بعد فتره ليست بالقصيرة سألت جدتي عن أبى. أجابتها فرح:

ـ زمانه جاي يا نانا، حاولي تنامى شويه وتريحي. وأول ما يتكلم هصحيكي على طول.

ـ مين هيجيله نوم دلوقتى، ومامتك تعبانه هي كمان.

يعترى جدتي حزن وضيق مما تفعله أمي، ولكن كل شيئ بأوان المهم لديها الان هو الاطمئنان على ولدها.

* * * *

مفترق طرق

سهرت جدتي طوال الليل. اتصل أبى أخيراً. أبلغ فرح أنه بالمشفى.

ـ تعالى وقولي لماما إني سافرت وأنا كويس.

لكن فرح كعادتها سريعة التأثر، وقد بالغت بالأمر وقالت:

ـ في المستشفى!!!

وقد سمعت جدتي أنه بالمشفى حتى سقطت مغشياً عليها. في لحظة دخول عمى رؤوف. حمدت الله أنه هنا قد جاء بالوقت المناسب.

ـ عمى نانا تعبت وأغمى عليها.

لم يلبث أن حضرت الإسعاف ومكثت بالمستشفى. ثم علم أبى أن جدتي معنا، وحضر هو الأخر على الفور.

ستجرى علاجاً طبيعياً لكى تزول الجلطة شيئاً فشيئاً. لم يكف عمى عن البكاء،

ـ إيه الحكاية أنا لسه مكلمها امبارح وكانت كويسه ...مالها أمي مالها.

حينها دخل أبى وارتمى في أحضانها هو الأخر وقال وهو يبكى كعمى:

ـ أمي. أنا أسف والله أسف.

تحركت يدها نحو رأسه تحتضنه وتقول بصوت خافت متعب:

ـ متخافش أنا كويسه، المهم انت بخير، واطمنت عليك.

كأنها تضمد جراح قلبه، ثم ضحكت وتمتمت:

ـ ربنا يخليكوا ليا، وارتميا هما الاثنان على ذراعيها كأنهما الصغيرين اللذان تعهدهما.

وقلبينا نحن الاثنتان يحومان في ضياع الفراغ، لا نملك قلباً، كأننا في حالة فراق. وارتمينا على جراح أبى علها تلمسنا بشفاء.

* * * *

المكتب...

ظنت آمال أن ما تفعله هو الصواب، كانت متصوره أنها تضعه تحت الأمر الواقع وقد يلغى ميعاد الزفاف أو يؤجله لأجلها، ولكن حدث العكس.

بالغت في ردود أفعالها لتكون هي سيدة الموقف ولكن قد فعلها وأتم الفرح بدونها. غالبًا. لن تستسلم إلا عندما ترد الصاع صاعين وبالاضافة تنتهى من تلك الفتاه. دائماً، كما تفعل في كل مره، لكن هذه المرة ستنجح.

رؤوف ...فتح باب المكتب عنوه ودخل على أخيه. وقال بكل شده وعصبيه:

- انت ازاي موافق على المهزله دي، آن الأوان أن يصفع أخيه صفعة توقظه، تجعله يدرك ما يفعله وأردف بعد أن هدأت نفسه قليلاً.. وبصوت حنون:

- انت مش ماجد اللي اعرفه، مالك أحكيلي أنا أخوك هتتكلم مع مين غيرى. اسمع ...أهم شخص بالنسبالى دلوقتى هي أمي، فاهم يا ماجد.. طلق آمال أرجوك، قلنا كده من زمان، وخليتها تركبنا كلنا.

ظل ماجد يستمع لكلام أخوه:

ـ آمال سببت متاعب ليك ولشغلك ولبيتك ولأمي وللبنات ، باقي عليها ليه قولي، رد عليا.

وهنا انتبه لماذا تحدث هذا الدمار من بعدها، ولماذا!!

يجب أن ينتبه. يجب أن يستمع لأخاه. لم يستطع منعه ولا حتى الاعتراض على رإيه . بالطبع هذا ليس حباً على الإطلاق. إنه استنزاف من نوعاً خاص.

- حاضر يا رؤوف. اطمن؛ وهو يجلس على الكرسي بمنتهى اليأس والحيرة.

- ماشي يا ماجد. أنا قلت أعدى عليك قبل ما أطلع على المطار، ريم وناجى وكريم زمانهم على وصول.

رمق أخوه قبل أن يخرج من المكتب وجده يضع عينه على النافذة وقد شرد، فهو يعلم أن هذا الموقف قد حرك مشاعره لتستفيق. تركه يفصح عما في داخله في صمت يبحث عن أحاسيسه المشتتة، عسى أن يصل إلى حل يرضى الجميع.

لم تكن النافذة هي من ينظر إليها إنما ينظر من خلال روحه. عساه أن يكتشف أشياء من الماضي الذى تحطم. كان لابد أن يترك مساحة لقلبه كي يتحدث. ظل ماجد يعيد التفكير حتى أصبح عادة لديه. والأيام تصحح المواقف. وكأن رؤوف يرمى الحصى في البركة الراكدة ويحرك ما كان راكداً. بعض الأرواح يقدمون لك السعادة في كوب مليئاً بالأشواك.

* * * *

الفيلا...

يعود كلاً منا إلى أمه غالباً (فربما يكون لك أماً لا تعرف معنى الامومة مطلقاً). كلما دخل ذهب إلى غرفة أمه أولاً ومن ثم إلى أي مكاناً أخر، ولكنه فوجئ أن آمال قد أشرفت على إعداد الطعام، وتهيئة المكان للضيوف. وقد استقبلته جيداً (بعد تلك الصفعة التي لن تكسرها) وقالت:

ـ من زمان ما شفتش ريم وحابه إنها أول ما تيجي تلاقى كل حاجه متغيره، إيه رأيك.

نظر إليها في تعجب واستنكار ظناً منه أنها عادت إلى سابق عهدها وقد خلخلت ووشوشت على ترتيبه العقلي فتتدخل سريعاً لتسيطر على وجودها وتلعب على المشاعر الطيبة التي لديه.

*** * * ***

ريم...

يغلب عليها طابع النبلاء. عاقله هادئة، ورصينة. ذات حجاب تركى أنيق، ورقيق. ملامحها دقيقه وكلامها بسيط.

بدأ القلق يسيطر على آمال، وبدأت تهمهم في نفسها سأسحقها. ردت ريم:

ـ ازيك يا آمال. فاتت مده كبيره ما شفناش بعض.

أرادت آمال أن تقوم بدور المرحبة، والأخت الشقيقة لتأخذها بالأحضان، ولكن مدت ريم يدها واستوقفتها لكى لا تتعدى حدودها معها، ولا تبارك ذاك التمثيل المبتذل الذى تفعله. وفى الأخير دخل ناجى ومعه ابنه الصغير كريم. فقد صار أباً طويل القامه وبجسد ممشوق يشبه والده بشكل كبير.

منذ ذلك الحين لم تلتقى الأطفال، صاروا كباراً، وظهرت على الوجوه دهشة من تعب السنين. دخلوا جميعاً غرفة الجدة ليسلموا عليها، وما لبثت أن جاءت فرح

بصينية العصير، وما أن رأت ذلك الصغير فرحت كثيراً... نظر إليها ناجى وهى تداعب ابنه وتمنحه قبله وهديه، وقد تعالت صوت الضحكات عندما سألها...بصوته الصغير:

- حضرتك اسمك إيه!!

- اسمى فرح. وانت اسمك إيه!!

- الله. اسمك حلو أوى أوى يا طنت، بس أنا نسيت أجيب لحضرتك هديه. ونظر إلى والده.

أومأ ناجى بابتسامة، وقال:

- حاضر يا كريم...الهديه اللي تختارها طنت فرح هتتجاب فوراً.

- طنت.. حضرتك بتحبي إيه، الشوكولاتة ولا الأيس كريم؟

ضحكت فرح وقالت بحنان:

- أنا عايزه أقولك على سر.. خفضت صوتها قليلاً وقالت...أنت أجمل هديه عندي. إيه رأيك بقى. قال لها على الفور وبصوت عالي مندهشاً:

- أنا أحلى من الشوكولاتة.

ضحك الجميع وأخذت الصغير بين ذراعيها وضمته بشده، وقالت:

ـ أحلى بكتير، ولو جيت معايه دلوقت هتأكل أحلى أكله أنا عملتها علشانك، يلا بينا.

أخذته معها على السفرة، وناجى يتابعها بعينيه المعجبتين...ويقول في نفسه مر وقت طويل لكى نعود إلى نفس المكان مره أخرى! لم يتغير به شيء. نفس الالوان، ونفس الرائحه.

ذهبت زهره خلفها وهى تقول لها:

- فرح إيه اللي ماما حطاه في طبق بابا ده. ولم تنتبه فرح وبدأت بتحضير الأطباق بعد ما سمعت أمها تقول بصوت منخفض...بتهكم واستهزاء:

- ناجى إيه ده اللي هتشوفيه، أبو عيل ده، خلصي اللي بتعمليه و خلى اليوم يعدى على خير.

خرجت آمال ومعها اطباقاً تضعها على السفرة. قالت فرح بصوت خافت لنفسها:

ـ أنا مش فاهمه ليه ماما بتكره الناس دي وإحنا ما شفناش منهم إلا كل خير.

السفرة معده. ذهبت فرح لإحضار الضيوف. ومن ثم الحوار الدائم على الغداء صوت آمال وهى تشرح الوصفات، والتعب لتحضير ذلك الطعام، وخصوصاً أنها طردت زينب. قاطعها ماجد بصوت عالي:

- اتفضلى يا أمي. لاحظت آمال أنه لم يثنى عليها، فأردفت قائله بابتسامه مكيده.

- بصفة انكوا متجمعين عندي ليكوا خبر جميل. النهاردة هيجي عماد يخطب زهره.

لم يستطع ماجد ابتلاع ريقه، ولم يستطع أن يقول شيئاً. قد سمع فكرتها من قبل لكن لم يخطر بباله أنها ستنفذها. لقد تذكر كلمة أخوه، ولم يرد أن يفعل شيئاً أخر يؤذى والدته. وبالطبع رد رؤوف:

ـ والله ...منا كنت معاك في المكتب ما قلتليش ليه، لم يجب عليه ماجد.

شعر رؤوف أنه يوجد شيئاً غريب في الأمر. وأكملوا طعامهم.

مكيده...

(لا أعرف قسمات وجهك حين تحبني أو تكرهني).

نادى ماجد على زوجته وهو يجلس مع أخوه وقال لها:

- الكلام ده بجد! جلست بجانبه وهى تتناول فنجان الشاي، وقالت:

- انت كتبتلي ربع المصنع ، وأنا كتبته باسم عماد عشان يديره بدل منى وأهو هيتجوز بنتك يعنى فلوسنا مش هتروح بره. رد ماجد بانفعال.

- انتي بتعملي إيه! أنا لازم أوافق على أي حاجه بتعمليها، اللي عملتيه غلط. خلتيني شريك مع الواد ده وأمه، أفهم تكتبي نصيبك لزهره إنما ليه؟! عشان إيه.

من كان في خضم المعركة لا يترائي له الموقف من بعيد. كماجد! لكن أخاه علم أن آمال تخطط لشيئاً أخر غير ذلك لكن مع مرور الوقت سيعلمه.

قالت في هدوء وكأنها عندما يثار زوجها ويغضب ... تستمتع فيهدأ بالها!

- متخفش...دي أوراق صوريه ومضيته كمبيالات وهيرجع كل حاجه تاني .هو أنا هبله أرمى فلوسي في الهوا.

- طب الفلوس وعرفناها إيه لازمة إنه يتجوز زهره دي صغيره وهو أكبر منها بكتير إيه مش واخده بالك يعنى.

- زهره هتدير الفرع من فرنسا، وفرح من هنا.

- آمال. قالها بغضب.. أنا مش عارف انتى بتعملى إيه. وقد احمر وجهه كالعادة، تحب آمال أن تغضبه إلى هذه الدرجة، لكن أخوه هدائه...وقال:

-ماجد ...وبنفس نبرة الصوت أسكته. اهدى نفكر الأول.

أخذت آمال فنجانها ومشت بتأده وانتصار قد تركته في بحر الحيرة هو وأخوه. لتكمل حديثها الممل مع أحداً أخر.

السهرة...

ظل ناجى ينظر إلى فرح وهى تلاطف وتلعب مع ابنه. تقول زهره في نفسها

كنت لأول مره أرى فرح مبتسمه وتعلو السعادة وجهها شعرت أنها خرجت من دائرة الاكتئاب التي تضعها فيها أمي. أتمنى... أن لا تراها أمي.

يقطع صوت الطفل كل توتر في هذه الجلسة بقوله:

- نانا جدو يحكى عنك دايماً وبيقول إنك بتعملي شركسيه حلوه أوى. ردت الجدة بلغه تركيه مثله:

- من عيني لما تيجوا الجمعة الجايه هعملهالك بايدي.

قطع كلامهم صوت جرس الباب، أسرعت آمال، وأخذت زهره

- روحي افتحي الباب لخطيبك. سلم على آمال وجلس بجانبها. وقد بدت عليه ملامح الوقار والطيبة.

جلست آمال بجانب زوجها وهمست في أذنه:

- مش قلتلك الولد محترم ومن عيله، وشغله ممتاز انت لسه مش واخد عليه. حاول تفتح له قلبك.

رمقه ماجد وهو يتابع الصمت ورؤوف أيضاً يترقب فعل أخوه.

وفى خضم هذا الهدوء يجرى كريم ناحية الشرفة وتجرى فرح خلفه وهى تصيح

- كريم لاا.

أسرع ناجى خلفها ولحقا الطفل قبل أن يسقط... وقد عانقته بشده. نظر إليها ناجى في دهشة وأسف قائلاً:

- أنا أسف خليتك تتخضي كده، كريم اسمع كلام طنت، وبلاش شقاوه شوف زعلت

منك ازاي. نظر لها الصغير وأردف يحتضنها أن أسف. وقد طبع على وجنتها قبله ثم ذهب إلى جده.

ظلت فرح واقفه صدمت من تلك القبلة ووضعت يدها على خدها تستشعر ما فيها من رحمه وحنان ما تستطيع ملئ قلبها بقبله صغيره أخرى. تداركت نفسها وابتسمت قائله:

- أنا حبيت الولد ده أوى.

قال ناجى وصوت ضحكته كما تعهدها لم تتغير:

- إيه طبيعة شغلك، مش بلاقيك مع عمى خالص.

- لا أنا شغلي مع ماما دايماً، حياتي كلها تصاميم وكمبيوتر.

- طيب جميل...أنا شغلي أغلبه على الكمبيوتر بردو، نتكلم مع بعض أكيد.

لم تعلم ماذا ترد، ولكن أيام الطفولة كان لها تأثير، وذكريات لم ينساها أى منهما.

حتى قاطعت زهره الحديث:

- فرح...فرح. هي ماما بتعمل إيه!!

نظرت فرح إلى زهره ثم إلى ناجى، متفاجئة، وأسرعت إلى الداخل، وهما يتبعانها. قد علمت أن أمها قد استطاعت إقناع والدها بهذا الشخص إنه يكبرها بأربعة عشر عام . ذهبت نحو أمها وقالت:

- ماما إحنا متفقناش على كده.

قامت آمال من مجلسها وأعلنت:

- يا جماعه عماد طلب أيد زهره الليله، وأنا وماجد وافقنا.

نظر رؤوف إلى أخيه ولم يتكلم ببنت شفه في هذا الموضوع!! ثم اردف..

- ريم ناجى يلا بينا إحنا اتأخرنا وطولنا.

لم يعرف كيف يرد ماجد على هذه الصواعق التي تنهال عليه.

انخفض رؤوف ليأخذ يد والدته إلى غرفتها ويطمئن عليها قبل أن يذهب.

قالت ريم لفرح:

- مستنياكي يا حبيبتي تفرجيني علي بقيه الصور.

- أكيد يا طنت وهبعتهم لحضرتك كمان.

جلسوا مع الجدة بعض الوقت ، و ألبست فرح لكريم البالطو و قالت:

- إحنا أصحاب دلوقتي صح كده، أومأ برأسه أي نعم، فين بوسه طنت!!

وقد طبع علي خديها قبلتين، فعانقته و لم تكاد تتركه إلا أن جدته قالت:

- يلا يا كريم طنت فرح تعبت منك.

ـ لا والله يا طنت أنا فرحانه بيه خالص. لازم أشوفه كتير أحنا بقينا أصحاب خلاص صح يا كيمو.

وبصوت طفولي صغير ختم اللقاء بضحكه جميله منه.

ثم عادت إلي أبيها و أمها من توديع صغيرها كريم، و قالت:

ـ أي دا بقي اللي حصل.

نظرت إلي أبيها، فردت آمال علي الفور:

ـ قرينا الفاتحة و الجمعة اللي جايه هيجيب باباه و مامته عشان يلبسوا الدبل؛

لم يعلم كلا من رؤوف و فرح لماذا يصمت ماجد مع هذه المهزلة، و كيف يوافق علي كل شيء تطلبه آمال.

لدى شك أن يكون حباً، و ربما يكون شيئاً أخر!!

* * * *

فرح...

بسيطة ورقيقة تشبه ريم في الطبع وتشبه آمال في الملامح والجسد.

تصاميمها عبقرية، فيها من الحرية، والانضباط معاً وخصوصاً تدرج الأوان.

آمال لا تستطيع الاستغناء عنها. لا تستطيع العمل بدونها.

فقد قامت شركة تصميم الأزياء على يديها، كان ولا بد من أن تأخذ هي نصيب الربع من الشركة التي كتبتها لعماد.

فهو شاب جذاب داخله عجب شديد، ذو طلة بهيه، وهو يعلم ذلك ويستغلها بشكل خطير، يسعى وراء المال، يستطيع إقناع آمال بما لم يستطيع أحد إقناعها به،

قبل الخطبة بيوم كانت فرح معترضة:

ـ ماما ده بيشرب صح، وله نظره عجيبه بيبص بيها عليا أنا وزهره، مش مناسب لينا ولا لزهره خالص. أرجوك... ماتكمليش الجوازه دي.

صرخت آمال بصوت عالي تنادى اسمها:

ـ فرح... قلبتي دماغي، عايزه تقولي إيه بالظبط.

ردت فرح ببعض الهدوء:

ـ ماما انتى عارفه إن زهره لسه صغيره، وهى ما قلتش إنها بتحبه أو مرتاحه له، هي بتسمع كلامك لأنها خايفه على زعلك بس.

لم تعبأ آمال بكلامها وأكملت ما في يدها. هي تصمت حتى يبدأ الذى أمامها بالصمت أيضاً.

سمع ماجد كل هذا الحوار. سقط من يد آمال طبقاً زجاجياً... حتى صرخت في وجه فرح بعصبيه وصلاطة لسان، وعن قصد متهكمة لتسكتها تماماً وتبعدها عن طريق خطتها:

ـ اوعى تكوني فاكره إنك هتخطفيه لنفسك عشان يعنى سنكوا قريب من بعض ولا عشان بصلك مرتين تلاته أو عشان فاتك قطر الجواز، ومش عايزه أختك تتجوز قبلك.

صمتت برهه لتجمع الكلمات القاسية التي رمتها بها أمها، صنعت جرحاً عميقاً بالقلب، وسواداً بالدماء التي تجرى ناحية العقل وما انفكت حتى سقطت مغشياً عليها. حتى هرع والدها نحوها متوتراً يشعر بالخوف والأسى عليها وبصوت مبحوح قال:

ـ فرح فرح.. بنتي. حملها وصعد بها إلى الغرفة وقال لزهره...اطلبي الدكتور محمد بسرعه.

ذهبت آمال خلفهم، وكأنها تهتم. خرجت الجدة من غرفتها على صوت ماجد وقالت بقلق:

ـ إيه يا ولاد إيه اللي حصل.

ردت زهره بخوف وعانقت جدتها:

ـ والله يا نانا مش عارفه. لا تريدها أن تعلم شيئاً كما أوصاها والدها. فأخذتها إلى غرفتها.

الجدة ذكيه بشكل عالي قد تخضع لهم ولكنها تعلم كل شيء.

وبالفعل هي تبحث عن شيئ مهم... مهم جداً.

ينسى الإنسان نفسه كلياً في خضم تلك الدوامات المادية التي تلتف حوله، لو تنازل بعض الوقت عن تلك المادية وأعطى لروحه المتعبة بعض السكون لنال خيراً، مع الأسف أنت أعمى إذ لم تستطع الوصول لروحك.

* * * *

الفصل الثاني

ضياء الدين والدرويش

نور

تحكى لي جدتي عند درويش كان في اسطنبول وقتما كانت صغيره، كانت تتعلم قراءة القرآن وحفظته على يديه، كما الكتاب في مصر أن ذاك. وكان ابن عمها يتعلم معها كذلك. وهو يعمل مع والده بصناعة النحاس، كما يصنع القدور والأطباق الفنية. وكانت جدتي تحمل له الطعام ولوالده حيث أن والدته قد فارقت الحياه وهو صغير.

كان ضياء الدين ينتظرها كل يوم، ليس لأنه جائع، وليس لأن زوجة عمه طهيها رائع. في الحقيقة كان ينتظر وجودها هي.

كانت بالنسبة له كنور الشمس، رائحة الربيع، كدفئ الشتاء. كانت عمليه مقايضه

وجبه جميله من يدها مقابل ورده من بستان حديقته. وورقه ذهبية مكتوب بها بعض الشعر لأجلها.

كان أبوها حاد الطبع وصعب المراس، لكن أمها كانت رقيقه ومطيعه، وتستطيع أن تفهمه وتراضيه. والدها من ذوى الأملاك ومعروف في اسطنبول كلها.

له بيت كبير على ناصية الطريق أمام البحر وكان لديه أسطول بحرى للصيد. حتى جاء يوم قد تم فيه تصفية أعماله هناك لغرق أغلب المراكب بالبحر فقرر أن يسافر إلى مصر. له صديق عرض عليه العمل بالتجارة هناك.

جمعت جدتي كل تلك الذكريات في داخل هذه الخزانة ولديها مفتاحها، ولا أحد يستطيع أن يسألها عما في داخلها سواي أنا.

زهرة...

سألتني جدتي عن فرح...فقلت لها:

ـ نزلة برد خفيفه زي كل مره عرفاها جسمها ضعيف.

تصمت جدتي وتتناول طعام الإفطار بهدوء واستقرار، حتى يدخل علينا أبى

ـ حبيبي يا ماجد عامل إيه والبنت كويسه؟!

جلس بجانبها وقبل يدها وقال لها مطمئنا قلبها...وهى تنظر إليه بعين الحزن.

ـ ازيك انتى يا أمي، عامله إيه دلوقتى. ثم نظر إلى ابنته زهره وسألها عن أمها

هزت كتفيها، وقلبت شفاها أنها لا تعلم.

قالت الجدة:

- مالها فرح عايزه أشوفها.

- عندها برد يا أمي، يومين تخف وتيجى تقعد معاكى ،أنا مانعها تيجى عندك عشان العدوى.

في هذه الأثناء رن جرس الفيلا، ذهبت زهره لتفتح

ـ عمو رؤوف. احتضنته بشده، ودخلا غرفة والدته وقد تفاجئا هما الاثنان بوجوده، سلم على أخوه ثم انحنى ليقبل رأس والدته ويديها.

قال ماجد:

- تعالى افطر معانا، يقدم له الإفطار ويقول...انت عارف مين عامل الفطاير دى، وهو يضحك.

- أكيد حد من البنات فرح طبعاً.

- لا والله ماما اللي عملاها بايديها تصور.

- يبقى هاكلها وصوابعى وراها.

تضحك الجدة في حضور ولديها وتطمئن.

بعضاً من الأحزان تختفى مؤقتاً.

سؤال...

بعد الانتهاء من الإفطار ذهبا رؤوف وماجد إلى غرفة المكتب. في الجهة المقابلة لغرفة الجدة. يسأل رؤوف أخوه:

- إيه يا ماجد الحكاية بتاعة مراتك دي، ومن امتى بتعمل اللي هي عايزاه!!

- الست هانم نقلت الملكيه بتاعتها للي اسمه عماد ده بدل ما تعمل توكيل لواحده من بناتها، كأنى هسرقها!! كتبته ليها انت ناسى.

- لاء مش ناسى.

- والله يا رؤوف أنا دماغي مقلوبه ومش عارف أفكر وعندي صداع وإرهاق طول الوقت ودى حاجه جديده عليا. مش قادر أعمل حاجه وكل همى إني أبعد أمي عن المشاكل دي كلها. وانت عارف آمال شخصيتها عنيده قد إيه.

- اعمل حاجه يا ماجد انت بتخسر بناتك، حاول ترجع حقك بالقانون وتفسخ الخطوبه دي.

- اطمن أنا عامل حساب كل حاجه بس فرح تقوم بالسلامه.

نادى على زهره فلم تستجيب، فقام يبحث عنها بالبيت وعند فرح فلم يجدها، وهاتفها فلم يجد إرسالاً، ذهب إلى رؤوف وقال:

- مش لاقى البنت ولا بترد على تليفونها ولا عارف هي فين!! ما كانت معانا قبل شويه.

- هتكون راحت فين أكيد في الجنينه. أنا طالع لفرح عقبال ما تعمل القهوه.

تحكى فرح لعمها عما قالته لها أمها...قد جرحتها بشده دون أن تراعى مشاعرها.

ـ من الوقت ده أنا مليش أم هحاول أعيش حياتي زي ما نور كانت بتقولي...أحقق أحلامي، وأحضر للماجستير.

بكت كثيراً وضمها عمها لصدره عسى أن يخفف عنها وطأة الألم. أثناء دخول ماجد ومعه القهوة، يقول بابتسامه رقيقه، وهو يضع القهوة على الكومود،

- وحضن بابا فين.

- بابا... حضرتك غالى عندي طبعاً. وقد طبعت قبله على جبهته. وقدم لها كوباً من العصير. تم قال:

- زهره فين كانت معانا من شويه.

- اه لبست بسرعه وقالت ماما عايزاها في المصنع حالاً.

- غريبه من غير ما تقول كده.

- ماما قالت لها تعالى بدل فرح، وراحت.

رؤوف وماجد وهما يشربان القهوة وينظران إلى بعضهما البعض ويتنبأن بما سيحدث بعد ويعدا السيناريوهات.

بعد فتره من الزمن دخلت آمال الفيلا بصخب كبير ومعها زهره وعماد.

سلم عماد على ماجد وقال:

- ازيك يا حمايا.

- حمايا مره واحده، انت فاكرني هوافق عليك أصلاً.

أراد ماجد أن يفتعل حرباً لكن قد فات الأوان. لم يدرك إلا متأخراً.

ـ طبعاً حمايا وهتوافق لأننا بقينا في حكم القرايب. اتجوزت زهره في السفاره خلاص والسفر خلال اسبوعين.

لم يكد ينتهى من كلمته حتى أغشى عليه...ولحسن الحظ أن رؤوف كان هناك.

في المساء يتكلم رؤوف مع زوجته:

ـ ربع الأسهم مع الواد ده يا ريم قوليلي أعمل إيه. وهو يذهب و يعود في الغرفة كالأسد الثائر. يردف ويقول...آمال بوظت كل حاجه عشان مصالحها وبس.

ترد ريم في هدوء لكى يهدأ هو الأخر.. وترتب الغرفة التي يجلسان بها..

ـ انت عارف آمال من الأول يا رؤوف، وكان لازم يسمع الكلام وما يكتبش حاجه باسمها... كفاية إنه بيصرف على أبوها كمان الحمد لله إن شركة خورشيد بعيده عن الكلام ده، وإلا كانت خلتنا كلنا على الحديده، والأهم من دا كله تجوز البنت من غير ما باباها يعرف دى مصيبه تانيه خالص. ربنا يستر.

ـ على رأيك. الحمد لله. إنما على الجواز يرفع ماجد قضية خلع.

وفى الظهيرة.

هما الان في طريقهما للمستشفى لزيارة أخوه. وقد طرق باب الغرفة، وتفاجئ رؤوف بوجود آمال معه في الغرفة**!!**

جلست ريم بالقرب من زوجها لتطمئن على ماجد. قالت آمال:

ـ منوره يا ريم.

ردت ريم بصوت خافت وابتسامه زائفه:

ـ مفيش داعى للمجاملات هنا. دي زياره هتخلص بسرعه وهمشى، أنا بعمل الواجب وبس. لم تبالى ريم أبداً بمراعاة مشاعرها.

فقال رؤوف:

ـ ازيك دلوقت يا حبيبي؟

ـ الحمد لله أنا كويس جداً، ثم أشار لأخيه ليقترب منه ... أنا عايزك تجيني مره لوحدك. رتب على صدر أخيه وقال:

ـ حاضر أجيلك إن شاء الله، أنا هطلع من هنا على أمي أطمن عليها وعلى فرح. أنا قلتلها إنك مسافر يومين.

ـ كويس جداً أنا حاسس انى بقيت أحسن هقول للدكتور يكتبلي على خروج.

- خلاص أجيلك أروحك.

- لا ما تشغلش بالك آمال معايه.

تعجب الجميع من تصرف ماجد هذا. حتى آمال... ظنت أنه بعد كل هذا التعب التي سببته له لا يستطيع الاستغناء عنها.

في اليوم التالي...

وعند دخولهما إلى الفيلا رن جرس هاتفه فأسرعت بالرد كي لا تقلق زوجها.

ـ المصنع اتحرق يا سعادة البيه، رحنا المصنع لقينا البضاعه ونص المصنع محروقين. قولنا نبلغ حضرتك قبل أي إجراء، وعم أمين اتصل بالقسم والشرطه في طريقها لينا.

جلست آمال على الكرسي في صدمه. أخذ ماجد الهاتف وقال:

- أيوه مين معايه؟

- أنى محمود يا بيه المصنع اتحرق وخصوصاً المكان اللي فيه البضاعه بتاعة الست هانم.

- من امتى حصل الكلام ده. طب والحريقه خلصت يعنى.

- أيوه يا بيه. الحريقه خلصت ومن كتر الدخان ما كناش عارفين نشوف حاجه.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، والمصنع تمام.

- أيوه يا بيه والمطافي جت من بدري حد بلغ مش عارفين مين. والشرطة على وصول.

الغريب في الأمر أن ماجد أخذ الخبر بهدوء وكأن شيئاً لا يعنيه.

هرعت آمال إلى المصنع.

واتصل ماجد بأخيه قائلاً:

ـ رؤوف المصنع اتحرق. زي ما كنا عايزين بالظبط.

تبكي زهره وتقول:

ـ ما كنتش أعرف إنها هتعمل كده والله. قالتلى رايحين مشوار وهنطلع على المصنع. فرح أنا خايفه. اعمل إيه دلوقت.

جلست تبكي في حضن أختها، وماجد يستمع لهما.

- ولا حاجه، إحنا قدام الأمر الواقع انتى يقيتى زوجة عماد يبقى لازم تتصرفي كواحده كبيره، وتنسى الدلع وتتحملي المسؤولية، لحد ما نلاقى حل للموضوع، ونعرف نطلقك منه.

- بجد ينفع!!

- اه طبعاً. هو انتي فاكره بابا هيعدي الموضوع كده. بابا بيحبك وممكن يموت نفسه عشانك.

دخل ماجد الغرفة بعد سماعه لكلامهما وجلس بجانبهما على طرف السرير، وهو حزين ومندهش مما فعلته زوجته.

- أنا مش عارف اللي حصل ده عشان إيه!! والولد ده مستحيل يدخل الفيلا تاني، وهكلم محامى يرفع قضية خلع.

- طب وماما؟؟

- متخافيش يا زهره ...أوعدك انى مش هسيبك.

خرج ماجد من الغرفة متعب ومنكسر إلى أبعد حد وكل ما يدور بباله هو آمال وتصرفاتها. لماذا تفعل كل هذا!! ماذا ورائها لكى تسيطر على المنزل بهذه الطريقة الملعونة.

* * * *

الاحتراق...

الذكريات، والمواقف ... قد تربى الإنسان أحياناً.. تربى فينا القوه، والمثابرة، وأحياناً تنمى بنا الجشع، والطمع. كلما كانت نفسك عليك هينة لن تستطيع تسلق مثل تلك الجبال الشاهقة.

آمالك الكاذبة هي التي تدخلك في بوتقة الشيطان، وتسعى وراء خيالات من صنع غيرتك وعدم خضوعك بالواقع، وبما قسم لك. احذر...أنت تؤدى نفسك، وتؤذى من خلفك. تحرقها وتصب لهبك على الأخرين. وتظل توسع دائرة اللهيب لتصيب أكبر قدر من الأشخاص حولك.

يقول عم محمود مدير أمن المصنع:

ـ يا آمال هانم المخزن كله اتحرق حتى الحيطان.

تراود آمال شكوك كثيره...من الذى يريد لها الخسارة! من الذى يريد إفساد عملها الذى ظلت لهذا اليوم تسعى لنجاحه.

لم يحترق سوى المكان الذى وضعت به البضاعة والماكينات الحديثة فقط. أصابها الجنون وأحبت الشعور بالانتقام...حينها قالت بعصبيه:

ـ مين عمل كده يا محمود؟! وفين الأمن، والشرطه ؟! انت عارف البضاعه دي بكام، وكنا هنعمل بيها إيه. تضرب بقدمها غيظاً. كل حاجه ضاعت. فين ماجد يجي يشوف.

جاء الضابط وأبلغ آمال بأنه سيتم التحقيق في الأمر فوراً. وحضر عماد معه يقول:

ـ إيه ده! ازاي حصل ده أنا داخل بمبلغ كبير، وتقوليلي اتحرق.

نظرت إليه بتعجب وشك...وهو يقول:

ـ كنا شلناهم عند أمي كان هبيقي ءامن، كده الدين زاد عليكى.

وتركها وذهب.

جميعنا في شتات وتشتعل النيران أكثر من ذلك. الجميع على أهبة الاستعداد دائماً. لا نفكر في شيئاً سوى إطفاء النيران المشتعلة. لم تكن تلك الأسرة هادئة في يوم من الأيام تذهب إلى الشاطئ أو تقيم حفل شواء. الانقطاع عن الراحة يقوم به أحد من أفراد العائلة بعصاً سحريه؛ لا نعلم لماذا؟؟ لا هناء في نوم، ولا سعادة في راحه.

* * * *

العالم الأخر...له رأى أخر.

قد تتخلل هذه الروح إلى ماضيك، وتسبقك إلى حاضرك، وتعيش معك لحظاتك هذه.

كنت لا تراها ولا تستشعرها، ولا تهتم بها. لكنك حيثما وصلت إلى هنا، وأدركت أنها تذهب إلى ما تحب أنت، حيث لا تستطيع الوصول إليها بجسدك... فأنت خاسر عظيم لا محاله...لم تنعم، ولن تعيش الحياه حقيقة، أنت كأنك حي!

سأذهب إلى الأحلام كي أراك. وأحدق في بؤرة عينيك، أرى عالمي، وكياني كله من خلالك.. أرى نفسى الحقيقية، وأنت كذلك...يسبح بعيني سباح ماهر، يستطيع جمع اللؤلؤ من أعماق الروح، ويصنع عقداً لا ينفك مترابطاً بين أحضان الجسد والنفس، تسعى بكل جهد أن تراني في أبهى صورة، وأسعى بكل جهدي أن أراك ملاكاً.

أسكن في ذاك الحلم. أحبه. هذا يكفى لأستطيع الصمود أكثر في مواجهة الواقع.

أحياناً اسمعها تهمس بأذني، تغنى، ترتل، تحذر. مرتبطاً بشيئ ما يصلك بتلك العوالم التي لن تستطيع رؤيتها بعينك المجردة. فليس كل ما تراه حقيقي، لكن في الأحلام... كل شيئ حقيقي.. كما تريد، وأفضل مما تتخيل.

والمدهش في الأمر أن نصف تلك الروح لك والنصف الأخر يبحث عنك مثلك.

إن اتبعت النص الصحيح، وأنار لك حارس النور الطريق ... سيوجهك، ويضع لك خطة. ومن ثم ...لا تتهاون بتلك الأفكار الملقاة بعقلك، ولا تلك الأحاسيس التي تحاك لقلبك.

هنا ستتحد قوانا وتصبح واحداً.

هنا ...هي تلك البداية.

* * * *

ممدوح السعيد

تتصل آمال بممدوح السعيد، صاحب أكبر الشركات في تصنيع الأثاث. زوجته عارضة أزياء...كانت ستعرض كل الأزياء التي سيقدمها مصنع كوين. الماركة التي كانت ستصبح عالميه إذا ارتدتها هذه السيدة وعارضاتها الأخريات.

ممدوح رجل وسيم إلى حد ما، في أواخر الأربعينيات، لديه ثروة كبيرة، ومعارف أكثر، أغلبهن سيدات مجتمع. يتعاون مع الجميع بل سهوله، اجتماعي جداً وكريم. وهذا سر بقاء الكثيرين بقربه، لكنه يسترد القرض بأضعاف مضاعفه ...ومنهم في السجن حالياً، ولكن في كتمان تام.

طلبت منه آمال المساعدة لتعويض خسارتها، وتكون قد أوفت بعقدها مع زوجته سيليا على عرض ملابسها في باريس، وعند بيع الملابس يسترد حقه من قيمة المبيعات.

ـ إيه رأيك يا ممدوح بيه؟ قالت آمال

نفث دخان السيجار الكثيف.. ثم قال ببرود:

ـ مدام آمال...انتى متأكده إن فساتينك دى هتسدد القرض وزياده؟! مش واثق بصراحه. المبلغ اللى طلبتيه كبير، لكن على العموم أنا مش برد حد. وأحب أطمنك

إن المبلغ اللي طلبتيه هيكون جاهز على نفس الترابيزة دى بكره.

تناول مشروباً ثم قام. شككت آمال في تصرفاته وتعامله معها.. ثم أردف:

- بس أنا ليا شروطي الخاصه ها، طبعا عشان المصنع يرجع يشتغل. وقام بضحكه جانبيه وهو يقترب منها ...تيجى الليله عامل حفله بسيطة في الفيلا، وعازم أشخاص مهمين يمكن تحبى تتعرفي عليهم.

- أكيد جايه. دي دعوه مقدرش أرفضها.

لمعت عيناها وأسرت في نفسها النشوة...حفله بسيطة فلوس كتيره ومدعون أكتر للعرض.

استعدت للحفلة... يسبقها رائحة عطرها الممزوج بقطرات من الانجذاب وبعضاً من العشق والتعلق، لتصبح ملفته للانتباه أكثر. لا تستعمله إلا في الأوقات التي تحب أن تفرض فيها السيطرة والاستحواذ (حتى أنت ستشعر بذلك العطر يتملكك). تظل تبحث عن صاحبته، وتجلب لنفسها بعض المعونات من كل الجهات.

فستان أسود ضيق، وعقد لؤلؤ أبيض وحقيبة فضيه كلون الحذاء. مع ذاك العطر تكون الملكة. خطوات واثقه هادئة وكأنها تتخطى على عقولهم.

لمحها ممدوح من رائحتها، وتقدم نحوها وظنت أنها أوقعته في المصيدة!!

قبل يدها وهو ينظر إليها معجباً وقال:

- مكنتش متخيل إنك بالجاذبيه والشياكه دي كلها. واستدار لتنظر هل من أحد أجمل منها الليله! وسألها:

- والباشمهندس ماجد فين؟ مشرفناش ليه؟

- تعبان شويه، وخصوصاً بعد حريق المصنع.

- اه صحيح. سلامته. اتفضلي في المكتب.

وهما في طريقهما إلى المكتب قابلت سيليا وقالت لها:

ـ أنا متشوقه أعرض تصاميمك جداً، وخصوصاً لما شفت شياكتك النهاردة. وهى ترمي بنظراتها على العقد والمكياج وخصوصاً البرفان.

ابتسمت آمال وشعرت بالفخر لما يحدث. ثم نظرت إلى ممدوح وقالت:

- ممدوح بيه مش هنمضي العقد ولا إيه.

- اه ههه... تمام اتفضلى على المكتب أدخلها وأغلق الباب، ابتسمت بحيره وقالت:

- فين الأوراق؟!

- أنا بمضي العقد بدون أوراق يا آمال هانم. أنا...مختلف أطفئ السيجار والأضواء.

وازدادت النيران في التهام الغابة أكثر فأكثر!!

بعد أيام..

- ماجد

- ايوه يا آمال

- أنا مسافره هروح المطار كمان ساعه أنا وبابا عشان نتفق على العرض انت عارف فاضل شهرين، ولازم نستعد.

- تستعدى ازاي... المخزن اتحرق جبتى بضاعه منين!

- اتصرفت. قالت بتوتر.

- انتى عارفه انى شريك في المصنع، لو كنتى عملتى قرض وما رجعش هنخسر كتير. قال بصوت عالي...آمال انا بكلمك.

- هو انت إيه ما بتشبعش زعيق. قلت هروح عشان أسدد الدين. كل اللي همك الفلوس مش همك انا بعمل إيه عشانك.

يجب أن تقلب الطاولة على الجميع دائماً. تركت يده بعنف وخرجت من الفيلا.

(من كنت تظنه لك كحصن أمان، هو الأكثر رعباً بينهم ...عندما تستفيق)

* * * *

في المكتب..

يقول عماد:

- أنا عايز حقي في المصنع يا ماجد بيه وآمال مش بترد. عشان أطلق. مش هخسر الاتنين.

- طلق زهره يا عماد أنا ما كنتش موافق على الجوازه دي أصلاً.

ـ القسيمه معايه تدينى الفلوس أديك زهره. ثم ضرب على زجاج المكتب ثلاث طرقات بدبلته الذهبية، ولا ندرى تحذيراً هذا أم ماذا. وقد قام من مجلسه وتبسم بتأفف ثم أردف...زهره عندك لمدة أسبوع وهاخد مراتي وأنا مسافر. وخرج من المكتب.

أخذ ماجد باتصلات في مصر واسطنبول لنيل السيولة الكافية لتعود زهره، والمصنع من جديد له. ومر الأسبوع ولم يتحصل على الأموال ولا حتى قضية الخلع.

قد عرض على عماد نصف المبلغ فرفضه!! كان لعماد خطط أخرى مع آمال إن ضغط عليها أكثر فستفعل ما في وسعها لتدفع أكثر. خططها شريرة مثله.

دارت معركه كبيره بين ماجد وعماد حتى تدخلت الشرطة وسعت آمال في أن تذهب زهره مع زوجها بحجة المال.

قد تدهورت حالة ماجد الصحية، والشركة أيضاً لولا تدخل رؤوف لأصبحت الشركة في خبر كان.

مرة أخيره!

تلعب آمال بكرة الشر بمهاره.

ـ ممدوح بيه.. الفلوس هتجيلك أول السنه. بلاش كل شويه تكلمني وتفكرني.

لم يتكلم عن الأموال بل عليها. يتلاعب بها كما يتلاعب بالأخريات، لكنها المفضلة (الطيور على أشكالها تقع).

عندما تريد مالاً تصبح كالقطة المدللة، وعندما تريد استبدالك تصبح كالتنين تنفث فيك النار حتى الاحتراق.

إنه يتعامل معها كأول يوم رأها فيه، قطه سوداء من النوع ذي الفرو الكثيف الهادئ. لم يدرى بعد أنه القناع الخادع.

ـ خلى بالك يا آمال ...لو عايزه تقللي القرض أنا متواجد دايماً. عرفيني إنك جايه بس.

ردت في عنف وعصبيه، كأنما ملت من حديثه معها:

ـ أنا قلت هدفعلك الفلوس بزياده، وأنا مش برجع في كلامي.

ولما شعر بإعراضها هددها بنشر فيديوهات ليقربها منه، ويسحبها نحوه.

أما ماجد فهو متابع جيد ومستمر لها على مواقع التواصل.. هي مازالت زوجته.

اتصلت به لتعلم هل معه مال كافي لسد جزء من القرض!!

رد على الهاتف باستياء:

ـ نعم ... عايزه إيه؟

إنه يعلم أن الاتصال لقضاء مصلحة ليس إلا. وليست لتعود إليه، وحتى لو عادت! فقد فهم الدرس جيداً.

- ما سألتش عليا المده دى كلها قلت أسأل انا.

- وأسأل عليكي ليه، مش انتي اللي قررتي تبعدي.

- ما هو يا ماجد....، اسكتها بنبره حاده وسريعة:

- كنتي عايزه إيه يا آمال؟؟

قالت بنعومة مصطنعة:

-عايزه أرجع بيتي. رد عليها بضحكه ساخرة مستهزأً:

- هو أنا منعتك إنك تيجي، أو مشيتك غصب عنك. البيت موجود. تعالى في أي وقت.

قد هربت عند أبيها بعد المهزلة التي بسببها سفر ابنته. ها هي الان تعود وكأن شيئاً لم يكن، ولكن الأمر برمته تغير جذرياً.

كانت هذه الحادثة، كأنها قنبلة تنظيف لكل المعتقدات التي كانت تعتقدها هذه الأسرة.

استعجب والدها وقال:

- ماجد قالك بعضمه لسانه ارجعي.!! أنا مش مصدق ودانى.

- ماجد ميقدرش يستغنى عنى أنا عارفاه.

- ما انتي بقالك شهر ونص قاعده عندي واستغنى اهو، وهو يلوح بيديه اعتراضاً على ما تفعله ابنته وتلك التصرفات الطفولية التي تفعلها دائماً. وأردف كلامه ...أنا مبقتش فاهم انتي بتعملي إيه بالظبط. عموماً انتي حره. بس خلى بالك ...ماجد اتغير يا آمال...قالها بكل هدوء وشرود.

- بابا انا عارفه انا بعمل إيه، هقف جنبه في مرضه، ودى هتكون لقطه حلوه منى، وهقدر أخد اللي انا عاوزاه.

رن هاتفه المحمول برساله. وقد هم بفتحها

وجد ابنته في أحضان السعيد! وبأعلى صوت ناداها. ويداه ترتجف:

ـ آمال آمال ...تعالى هنا حالاً.

جائته مسرعة، وقالت إيه يا بابا مالك!

جلس على كرسي الصالون، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، ويشعر بالغضب.

ـ إيه ده فهميني، وليه كده ليه، والناس و الفضايح، وجوزك هيقول إيه، هيهد الدنيا عاليها واطيها. انتى باين عليكى اتجننتى.

أخذت الهاتف لترى وارتمت على الكرسي بجانبه، وقالت:

ـ يا نهار اسود إيه ده.

هرعت إليه لتعلم لماذا يفعل هذا!!

* * * *

(إلى فيلا السعيد)

- ممدوح فين. ودفعت الخادمات حتى وصلت إلى مكتبه ودخلته عنوه، وأردفت في غضب:

- منا قلت هرجعلك فلوسك.

رد عليها بكل برود، وهو ينفث دخان السيجار، ويقوم بهدوء من مكانه متجهاً ناحتها، وينظر إليها باشتياق:

ـ بتكلميني كده ليه يا عصفوره، ده جزائي إني بحبك؟!

وبعدين أنا فكرتك اطلقتي خلاص.

ردت بتهكم:

- وهجيب الفلوس منين لما اطلق.

- اوبس. ماكانش المفروض استعجل، عموماً همسحها قبل ما جوزك يشوفها، ومد يده والتقط الهاتف.. وقال وهو يتودد إليها:

- انتي نسياني خالص يا آمال. كل ده عشان عايز... فلوسي وبحبك.

- ده حب!! انت ما تعرفش حاجه عن الحب وانت بتسوء سمعتي يا ممدوح.

- اسف يا حبيبتي انتي اصلك مش بتيجي غير بالتهديد.

عادت آمال إلى منزلها أخيراً، ولم تعلم هل علم ماجد بالأمر أم لا! لم تعمل على خطتها هذه المرة. (دائماً الأقدار تتغير).

جلست في غرفتها تفكر.. كيف تنال من ممدوح.

* * * *

زهره...

أتذكر أحداث لدى لا تعرف فرح عنها شيئاً ولا نور!

بعد سفر نور مع زوجها لم يستطع أبى رد النقود لعماد، أخذ التوكيلات والأموال كلها وأنا وسافرنا إلى باريس.

كنت لعماد عباره عن معبر لنقله أخرى يأخذ بي الأموال ويهدد أبى وأمي أيضاً. لم أكن له كزوجه يحميها ويراعيها.

سافرت إلى فرنسا، صقيع كما قلبي. تركت كل شيئاً خلفي وأتيت إلى هنا لا أعلم أي سبب لهذا السفر ولا هذه الزيجة! كأنى في النار لكنها أكثر بروده. كادت اطرافي تتجمد؛ فقد وضعني بغرفه صغيره في عماره قديمة متهالكة بخيسة الثمن. قد وصته امي علي جيداً، وقد قام بتحقيق الوصية على أكمل وجه.

كان يأتيني مرة واحده في الأسبوع ومعه بعض الطعام، وأغطيه! كان يحافظ على حياتي عسى أن ينال من ورائي أموال.

والحقيقة قد وجد لي عملاً لأني كنت عبئاً عليه. فقال بكل إهمال وبرود، وهو يضع بعض الطعام على الطاولة:

ـ أنا جبتلك شغل في مطعم.

قد نظرت إليه بتعجب واستحقار، لم يكن جديداً عليه. وأكمل حديثه بكل فظاظة.. محتاجين حد يغسل اطباق، إحنا هنا في غربه، ولازم كل واحد يشتغل عشان يكفى نفسه. كلمت لك صاحب المحل لازم تكوني هناك كمان يومين.

تركني ورحل دون كلام أخر. لا شيء، الغرفة مظلمه كحياتي الان. الرطوبة تأكل الحائط، وأنا أكل نفسى من الذنب الذى ارتكبته في حقها. والصقيع الذى أصابني حين أدركت أن أمي لم تكن تعلم بهذا الوضع الذى أنا فيه.

لم أكن أعرف نفسى حينها!! وماذا يجب أن أفعل. قد تركت كل حياتي هناك. كدت أغرق في البؤس، كأنى اتجرع ظلام الأيام، تناولت طعامي، وتلحفت بذاك الغطاء الخشن وأنا اتخيله رداء جدتي، وتلك الوسادة كنت لأتقاسمها أنا وفرح ، ونحلم ذاك الحلم نفسه.. عن رجل غريب لا أعرفه... ولكنه يعرفني، يأتي ليقول بضع كلمات، وكأنه صب في أذني فيضاً من الكرامات.

عندما يحين وقت النوم عند الحزن كان أنيساً يشبه طيف جدتي، يثقل على الروح دروساً، ويذهب. اجلس في اشتياق ليأتي ميعاد أخر.. يوشك أن ينتهى ومن ثم تحوم روحك تبحث عنه وحين إذن الحلم ينتهى، وأنت مازلت مشتاقاً.

تلك الأرواح لا تشبع منها أبداً. تأتى لتشتت جوانب روحك، تبعثرك...لكى تعيد ترتيبك بشكل أنقى.. لم أعلم حينها أنه حان الوقت للدروس الإلهية المدهشة. لم أعلم حينها أن الهبات بدت كالمطر الخفيف في بداية الخريف، وأنه يجب أن تعلم جيداً أن ركوب المحيط في تلك العواصف أن لا تخاف الموج ولا تحاول الهرب كي لا تغرق. الطريق الأوحد للوصول هو طريق الناجين ...حاول بكل جهدك أن تنجو وتصل وحدك بدون شيء...فقط مرشد من بعيد كي لا تصبح الرحلة صعبه،

ومملة وتفقد الشغف!! تدفعك الأقدار أحياناً للهاوية... لتكتشف نفسك. وخصوصاً إن كنت من المختارين.

مرت ثلاث ليالي منذ جاء عماد لم أذهب إلى مكان. الاجواء الشتوية الثلجية، ليس معي ما يكفى من الملابس ولا الطعام. في الحقيقة كنت مرعوبة، ومتعبه، ويائسة إلى أبعد ما يكون أتمزق.

إنها مرحلة التحلل والتفكك.

وأخيراً ذهبت إلى المطعم، كان يجب على أن أذهب لأحضر حتى طعامي. كنت أتقاضى مرتباً صغيراً، وفى أخر النهار وجبة مما تبقى من الطعام. وأعود ثم أخلد إلى النوم متعبة، وعند النوم...حياة أخرى!

لم تهدأ تلك الشامة أبداً كأنها تؤنبني، الشيء الوحيد الذى يهدئني، صدى صوت جدتي وهى تحكى لي عن ذاك الرجل الذى أراه بالحلم هو ذاته، إنها بعضاً من الحقيقة على بعض الأوهام حقاً .

لا أعرف لغة البلد، ولا عن شيئ فيها. غريبه، ووحيدة، وبعيده في حالة صدمه خارجيه وداخليه. كانت الغربة سجن واسع. كنت أحاول النجاة من الموت فيه.

يأتي هذا الشخص الذى يسمي زوجي للاطمئنان أنني مازلت على قيد الحياه.

لم تمت هذه الزهرة بعد.

مكان كالظلال السوداء، أحاول الهروب، فالمكان يشبه بعضه، واتوه في بعضي بحثاً عن مخرج، حتى اسقط وأستفيق ولا استطيع العودة إلى النوم ، ولا أحب الليل والظلال. اتصبب عرقاً في كل هذا الصقيع. ولم افهم!!

في يوم من الأيام الباردة بعد مدة من العمل أخذت استراحة. اجلس على كرسي صغير بجانب الفرن لأتدفئ، واسند بدنى. وكانت تراقبني تلك المرأة هناك...تميل بظهرها إلى الخلف قليلاً كل بضع ثواني إما لتراقبني أو لتطمئن على لا أعلم!!

وقت الراحة تعيد النظر إلى، وتتمعن في. أعلم أنها تحادثني وأحادثها بدون صوت.

بعد فتره من الوقت ...عندما غلبتني افكاري وكلها هباء. قامت من مكانها واتجهت صوبي ظننت أنها ستوبخني لأني أطلت المكوث، فكنت حقاً متعبه. فانتفضت بدوري واقفة. وقالت في لهجة لبنانيه:

- انتي زهره صح! أصبت بالدهشة. كنت أريد الصراخ وأعانقها بشده...يكفى أنني أفهمها. قلت في نفسى (طول الوقت بتتكلمي عربي وما تكلمتيش) تمالكت نفسى، وأردفت في أدب أجاوب:

- ايوه اسمي زهره، وانا من مصر.

تدخل أعماقي ... تثقبني بعينيها. اعطتني قدح من القهوة، وتركتني وذهبت.

إنها في أواخر الاربعينيات، لديها شاب يأتي ليصطحبها في أخر الليل، في العشرينات يبدو لي كذلك. على وجهها أثر الشقاء وقسوته يدل على ما عانت منه قبل! كل انسان يحمل في داخله أثر ندوب الماضي وكل الذكريات الصعبة ويتشكل ليصبح على نحو ما. ومن ثم يستطيع العيش بعد ذاك.

في نهاية اليوم ذهبت الى البيت فوجئت بعماد لم يكن كعادته، ووجدته قد احضر معه طعام وشراب، وقد نال منى كزوجه ولم أنال منه سوى الاستخفاف بمشاعري. قد ارهقني الحديث كي انتقل للعيش معه، وأمارس عمل أمي لكنه لم يعبئ بما أقول. فاستوقفته قائله:

ـ عماد لازم نتكلم مع بعض شويه. مكاني مش هنا وانت عارف.

رد بتأفف:

ـ تحبى تشتغلي وبفلوس أكتر؟

ـ فلوس أكتر!! انا جايه هنا عشان فلوس أكتر. إيه اللي بتعمله ده، انت مش طبيعي. فين بيتي وفين فلوسي، وفين شغلي. وفين انى زوجه، وتقلى اشتغلي عشان فلوس أكتر! انا مش فاهمه حاجه.

انخفض صوته، يقترب منى وقال بهدوء:

ـ يا زهره يا حبيبتي انتي فعلاً مش فاهمه حاجه. انتى لازم تعملي كده عشان تعرفي قيمة الفلوس.

يلعب على اوتارك الحساسة ويصدق الحديث وهو كاذب. كنت ساذجة لأتماشى مع شيطانه ولكنى اريد المال حقا!

ـ شغل إيه؟

ـ ما تشغليش بالك بكره تعرفي كل حاجه، واعرفي انك من غيرى كنتي موتى من زمان. سلام.

اختفى كالعادة.

وفى مساء اليوم التالي، عدت إلى الغرفة متعبه، والقيت ببدني على الاريكة، وفجأة

فتح باب الغرفة، قد ظننت أنه عماد، فظللت نائمه، لا استطيع الحركة ولا النظر إلى وجهه. كان الضوء خافتاً. تحرك في أرجاء الغرفة يتلمس أشياء فيها، قد خلع حذائه، والبالطو. ثم جلس على الاريكة عند قدمي!!

امعنت النظر فإذا به شخص أخر لا اعرفه! انتفضت من نومى، وانكمشت بجانب الاريكة، والتحفت بردائي، وبأعلى صوت صرخت. اقترب ليضع يده على فمي لمنعني من الصراخ، ازحت يده وقلت بصراخ:

ـ حرامي ...حرامي.

ـ اسكتي يا مجنونه اسكتي، انا جاي هنا ودافع فلوس! انتي فيكي إيه.. هبله ولا إيه.

دفعته من أمامي ووقفت. وقلت له...بصوت عالي:

ـ اطلع بره اطلع بره.. انت دخلت هنا ازاي. مين انت ؟ وازاي تعمل كده؟ ومعاك المفتاح ليه!!

ـ ممكن تهدى وتوطى صوتك، هكلم عماد هكلم عماد.

هاتف عماد حقاً وقال له:

ـ العنوان صح والبنت مش صح خالص. إيه يا عماد مش ده اتفاقنا. انا ماشي.

لبس حذائه وارتدى البالطو ومن ثم خرج وانتهى الأمر. لم أعلم هل خلدت إلى النوم أم إلى إغماء.

مر شهر منذ أخر مره جاء فيها عماد هنا، قد علمت أنه مطلوب من جهة السفارة الفرنسية. مزور، ينتحل جوازات لشخصيات مزيفه، لمحاولة النصب، والاحتيال. قد اختفيت حينها خوفاً من أن يعتقلوني أنا الأخرى!

صاحبة المنزل تتابع أخبار السكان، وتراقبني جيداً.

اما صديقتي اللبنانية ريما. قد ظنت بالبداية انني فرنسيه، لكنني أصبحت المفضلة لديها الان، وقد قصت على قصتها، ولكل منا قصه هي الدرس الأكبر في حياته، وانني اشبه أبنتها بشكل متطابق وغريب، تحكى لي:

ـ طلبت من ربنا إنه يوريني بنتي مرة تانية، وازاي هيكون شكلها لو تمت العشرين دلوقت. وبعد فتره الاقيكِ أدامي واقعد ابص عليكي وانتى بتاكلي، وبتقعدي، وبتشربي قهوتك. سامحيني على تصرفاتي، لكنها كلها حب مش أكتر. وخفت اقتحم خصوصيتك، بس كان لازم اكلمك. وكأن الروح دبت فيا من تاني.

في الحقيقة لم اتمالك نفسى. شرعت بالبكاء، ومسحت قطرات الدموع التي تسيل، شعرت أنها تخرج من قلبي!! أن يأتي بي الله من بيتي بتلك الطريقة، وبهذا الأسلوب لكى تراني تلك المرأة، وتتمعن في قسمات وجهى وتحتضنني بعينيها الحانيتين لكى تعيد إلى أيضاً ما افتقدته من امي.

(أحيانا يقتحمون الغرباء طيفك، وجسدك، وروحك ويستقرون بالقلب مهما مرت سنين).

تفقد ابنتها، أفقد أمي، ونحن في تلك المركب نحاول أن نكون من الناجين!!

من الان صارت صديقتي، وصرت كابنتها.

صوت الروح

لم تفهمه بالبداية! صوت الصخب أعلى، يطغى على صوتها الناعم تأتى بالحلم أحياناً، والواقع أيضاً...تهمس بأذنك كصوت جناح فراشة بيضاء مرت من جانبك، كهواء بارد يلفح خدك برائحة الياسمين. أو كنغم شادي تحت ضوء القمر الحالم مع زخات شهب ذهبيه كرسائل الملائكة.

علك تنتبه..

يجب أن تجلس مع الصمت. اعرف من أنت، كي تستريح.

روحك لها روح تشبهها في تفاصيلها مجبولة عليها تعرفها منذ سنين. أحياناً نفس ملامح الوجه، لون العين، ملمس الشعر. واحياناً أخرى تكون العكس تماماً...كالليل والنهار، كالماء والنار، أضداد لا تستطيع الاندماج لكنها مندمجة (حكمة الله)

بعض الأرواح تائهة، هائمة، سائحة...كالهواء، أو متخفية في رداء الخوف، او محاربة كالفرسان.

والارواح تورث أيضاً، وتبحث عن انصافها...كروح صانع الفوانيس.

صانع الفوانيس...

تشك الجدة ناريمان في أنه هو صانع الفوانيس ...تلك الاحرف تنقش في جنبات القلب لا يمسها النسيان ولا يثنيها الحزن تظل قابعه في الذاكرة لا تخون مع مرور الأيام.

تقرأ من على صفحات الحاسوب...

(لعلك علمتِ من أنا، من بين سطور قصيدتي الصماء صوتي يناديكِ. لم يمر يوم ما دريت بكِ، كل الليالي عندي كما هي، أصحو لأجلك وأنام لألقاكي، سعادتي أنتِ وإن كنتِ لا تدرى، وارجو من الله أن تدري).

سأظل اكتب كل يوم عنك حتى الاقيكِ.

صانع الفوانيس.

هذا من ضمن الكتابات التي ينشرها صانع الفوانيس على موقعه.

تتابع ناريمان في صمت، وفى اشتياق، ولكن لا يحق لها البوح. كما تم الكتمان عليه سابقاً يتم الكتمان عليه حاضراً. (واني لأظنها مخطئه) ما خلق الحب ليتوارى.

ترد بدورها على تلك الرسائل..

ـ صانع الفوانيس.. أحببت كثيراً تلك الرسائل. أتمنى لك العثور على توأم روحك قريباً على الرغم من ذلك العمر.

يرد عليها بدوره...وهو أيضا بدأ يشك في أنها توأمه...وكأن الحب يصيب القلب بماس كهربائي كالبرق الخاطف أحياناً

ـ إن الحب لا يشيخ ولا يموت ناريمان خانو!

يتحسس صانع الفوانيس اسماً طالما حلم أن يجده، لم يفقد الأمل، قفد شيئاً من العمر، لكن قلبه مازال فتياً. يتمتع بقدر كبير من الوسامة ...تخفى السن الحقيقي. إن الحب متواجد في جميع الأعمار.

تدقق ناريمان في ملامح الصورة، تلك الوجنتين الحمراوان، والعيون الزرقاء كالبحر، وجبهته العريضة التي مرت عليها خطوط الزمن. وتلك الضحكة التي ترسم تلك التجاعيد حول نظراته الهادئة.. كطلاسم العاشقين.

في اليوم التالي. بعدما عرفت موقعه، وعلمت أنه في نفس الحى لم يغير المكان

عساها يوماً تشتاق فتعود! صور المكان، وذلك المبنى، وحتى محل الفوانيس.

لو يعود الزمان بها لهناك من جديد، ويتوقف عند هذا المشهد، أمام بيت عمها في محل الفوانيس، كأنها النجوم، وهو واقف ينظر إليها من بعيد. كأن روحه في جميع الاوقات حولها.

تلك الصفحة أهم من أي أخبار حينها. وأن روحه لن تهدأ إلا أن تجدها.

تتابع ناريمان الصفحة يومياً صباحاً ومساءً، تتابع في شغف الصور، المقالات.

وترد على مقالاته، ورسائله.

حينها تتأكد مشاعره، ومزاعمه. وأنه قد وجد حبيبته ...هل هي حقاً!! قلبه يختلج، وأعصابه ترتجف. لم يصدق أنه قد وجدها! ويسأل نفسه هل وجدها حقاً؟ وأين تكون الان لأذهب إليها!! ضائع بقوه، ينظر في الأجواء، مستعد للذهاب إلى أي مكان فقط لاحتوائها. هل تعلم أنني أنا حبيبها! يسمع صوتها في أذنيه، ورائحة الطعام مع رائحة عطرها! ومن ثم ، يجلس على الكرسي في حالة من الذهول وحالة من العشق و التيه...والتمتع بالذكريات، والتحسر على ما فات. تلك عبرات الفرح أم عبرات حزن.

يدخل علي على والده وهو في هذه الحال، يسلم وينادى أبى...أبى، ولكنه لم يجب. جرى نحوه بسرعه ليعلم ما به. قد جلس على الأرض أمامه وأخذ معصم يده ليحس نبضاته، وقال في هدوء الحمد لله، الحمد لله. ثم ألقى نظرة على الحاسوب ربما خبراً أحزنه، فلم يجد شيئاً إلا أنها رسائل وفقط بدأ يمسح على صدره ويده، وهم بإحضار كوبا من الليمون، كي يستفيق. إنه من رباه فهو يخاف عليه كثيراً.

ووضع يده على يد ولده ليطمئنه. ثم نظر إليه وفى نظرته لمعة التفوق على تلك السنين إلى أن وجدها، ثم أردف قائلاً:

ـ انت جيت! هحضرلك العشا. وكأن شيئاً لم يكن.

زاد قلق علي واسترد قائلاً:

ـ أبى، انت كويس، حاسس انك تعبان او مضايق؟

- لا ...الحمد لله ده احسن يوم عدى عليا من فتره طويله اوى.

تركه وذهب ليحضر الطعا م ولا شيء بعد.

مازالت في فرنسا

لا أحد في الفيلا يعلم هل زهره مازالت على قيد الحياه؟ لا رسائل، ولا مكالمات.

إعتاد ماجد على البحث، ولن ييأس من تلك المهمة إلا أن يطمئن عليها و يعلم أين هي.

هرعت فرح إلى الباب عندما سمعت الجرس

ـ عمى رؤوف اتفضل.

ضمها عمها والقى قبله على جبينها وقال:

ـ السلام عليكم. ازيك يا حبيبتي، مفيش أخبار جديده؟؟

ـ لا يا عمو مفيش. وهى حزينة وحائره.

ـ فين بابا دلوقتى؟ ترد وهى تشير إلى غرفة المكتب، بيكلم ناس معارفنا جايز حد يقدر يساعدنا.

- وماما فين؟

- ماما فوق نايمه.

ردد في سريرته:

ـ الحمد لله. طب أنا رايح المكتب لبابا. ممكن يا حبيبة عمو تعملي فنجان قهوه من ايدك الحلويين، ثم أردف وهو يعود لرؤيتها.. اه صحيح، ناجى بيوصلك السلام، وكريم كمان. وهم جايين يوم الجمعة اعملي حسابك. وذهب وهو يبتسم.

فهو قد لاحظ على وجهها الخجل.

ـ كيف لاحظ أنى احب ناجى .. اقصد كريم. فقاطع خجلها وحيرتها صوت أمها وهى تنادى بصوت عالٍ:

- فرح ...مين جه؟

- عمى رؤوف.

- وهو فين عند جدتك ولا عند ماجد؟

- عند بابا في المكتب، وقد همهمت بكلام لم ترد أن تسمعه للأخرين، ولكن ابنتها قد سمعت ما قالت. لكنها لن تعبئ بما تقوله أمها بعد الان. ثم قالت:

- بتعملي إيه؟ وقد وقعت خطواتها في المطبخ كالزلزال.

- قهوة لعمى وبابا. كان ردها بلا مبالاة.

- اعملي معاكي قهوه وهاتيها لي عند جدتك.

تركت كل شيئاً وذهبت مسرعة إلى المكتب، لأضع القهوة وأذهب إلى جدتي.
سألني أبى.. وهو يأخذ الفنجان، وينظر إلى:

- فين ماما؟ فرددت بعفويه:

- عند نانا.

وجدت أبى قد انتفض وتبعه عمى واستبقا باب الغرفة لدى جدتي، لكنى أعلم أن جدتي تستطيع السيطرة على شيطان امي.

تفعل آمال هذا لتشتت فكر الاثنين كي يكفا عن البحث عن زهره!!

دخل أبى وقال:

- آمال.. انا محرج عليكي ما تدخليش هنا. أخرجي بره. وهو يشير بيده ناحية باب الغرفة.

- معلش يا ماجد كنت عايزة أتكلم مع مامتك شويه.

- من امتى بتتكلمى معاها. وقد رأيت في عيني عمى الغضب والغيظ، وشعرت انه يريد ان يقول لأبى ...مش المفروض تكون هنا أصلاً.

- ما تقلقش، روح انت واخوك المكتب، فرح معايه إذا كنت بخوف ولا حاجه.
رسمت على شفتها امتعاضا، وتنهيدة خفيفة تدل على استحقارهم.

تقصد آمال عن عمد أن تثير مشكله عندما يأتي رؤوف لزيارتهم، وتوتر الأجواء.

قال رؤوف وهما يذهبان إلى حيث جاءا:

- المهم عملت إيه؟! حد رد عليك بالنسبة لزهرة.

- مش عارف أوصل لحاجه، وهى في فرنسا بردو ولا في مكان تاني.

رن جرس الهاتف...

- ايوه يا نهله.

-ايوه مستر ماجد.. مدام شيرين بتبلغ حضرتك إنه في لقاء بكره وياريت تكون متواجد لأنها تالت مره تيجى الشركة وحضرتك مش موجود.

- يا خبر، والله نسيت. تمام فكريني بكره قبلها بساعه من فضلك.

- حاضر يا فندم.

قال رؤوف:

- خير في إيه ...مشكله تانى؟!

- لا يا سيدى، دي مدام شيرين زوجة فريد شعيب صاحب مزارع شعيب. هي هتباشر العمل بدل منه. لازم أكون متواجد بكره.

دي من أكبر المزارع اللي اتعاملنا معاها، وكان ابنها اللي موجود وقتها .فاكرها طبعاً.

- فاكرها طبعاً. اعمل حسابك الجمعة الجايه احنا عندكم على الغدا. انا بلغت فرح.
ماشي، وهو يبتسم، ناجى وكريم جايين يسلموا على ماما وفرح.

- ينوروا البيت طبعاً...انت ناسى انه بيتك بردو يا رؤوف!!

تسمع آمال كل شيئاً يدور في غرفة المكتب، ما الجديد؟؟

رن هاتفها فالتفت ماجد للصوت جيدا وبدون أن يلفت انتباه اخوه ذهب هو الاخر ليسمع ما يحدث.

قالت وبصوت خافت، وبعصبيه:

ـ انت تاني!! ما تتصلش بيا لحد لما اجمع الفلوس، وخلى في بالك انى ست متجوزه.

قد سمع ماجد تلك التهديدات. من يا ترى يهدد زوجته؟؟ وعلى ماذا يهددها؟

شعرت آمال بالاضطراب بعد أن رأته واقفاً أمامها، وقالت:

ـ موظف في المصنع. تركته وذهبت للطابق العلوى.

* * * *

مدام شيرين

في المكتب!

أرمله أحمد شعيب. ترك لها زوجها مصنعاً لتجميد الفواكه والخضراوات، لتصديرها. وأرض زراعيه على مساحات شاسعه، ولها نفوذ قد ورثتها من زوجها أيضاً.

طرقت نهله باب المكتب، وقالت:

- مستر ماجد.. مدام شيرين في الانتظار.

- خليها تتفضل يا نهله!!

طرقت شيرين الباب، وقام ماجد يستعد لها. أرملة شعيب كبيرة السن! وما لبس أن تسمر في مكانه! وكأن حديقة من الورد نبتت في قبو قلبه. شم العطر...وهام في الشذى. ثم أدرك الموقف...

ـ أهلا وسهلا. اتفضلي.

تداركت الموقف بضحكه من ثغرها، وقالت:

- اتشرفت بمعرفتك أستاذ ماجد.

- نورتي المكتب مدام شيرين، وبعتذر جداً على التأخير، حقيقي بعتذر.. هو يقدم لها بعض الشوكولا التي يضعها على طاولة المكتب. تحبى تشربي إيه؟ وهو يضغط على زر السكرتيرة.

- مش ضروري، مش هطول انا عارفه ان وقتك ثمين.

- لا. حضرتك تشرفينا هنا، ولأول مره، ومن غير ما تشربي حاجه.

- إذا كان ولابد يبقى عصير برتقال فريش.

لا اريد أن أقول أنه رأى العالم بين عينيها، نظرة منها تستطيع إصلاح كثير من التلف الذى أصاب النفس.

مدت يدها لالتقاط العصير، التفت إليها مبتسماً، لم يعد يتذكر معنى الابتسام... وأردف قائلاً:

- مدام شيرين...أحمد كان متابع الشركة كل مره، لكن حضرتك من هنا ورايح هتنورينا أكيد!

- أحمد عنده مأمورية برا البلد، وضعت كوب العصير وأكملت حديثها قائلة... فلازم أنا أدير الشغل بنفسي لحد ما هو يجي. معلش سامحني الموضوع هيبقي غريب عليا شويه بالنسبة للمعاملات الخارجية، وهى تبتسم بهدوء، وخجل.

قام ليجلس مكانه على كرسي مكتبه، ثم يقول:

- انا والشركة تحت امرك يا هانم. ولو عايزه حد يتابع مع حضرتك كل الإجراءات احنا تحت امرك طبعاً.

- انا عارفه انك شخصيه محترمه جدا، واحمد كان بيكلمني عنك وعن معاملة الشركة، والتزامها بالمواعيد، وإن شاء الله يتم العمل على خير.

لأول مره يشعر بـأنه قد حلق بعيداً وصار له جناحين! ظل يختلس النظرات إلى قسمات وجهها الرقيق، وتلك الضحكة الهادئة التي تعزف على أنغام القلب، لون عيون بنيه تائهة بأهداب ناعمه، قد غطى غطاء رأسها باقي العزف. واستوقفت ذاك اللحن، وأسقطت الكوب عمداً كي يستفيق! لم يتمالك نفسه. وكان القلب يقول له ها هي قد جاءت، ليتها تبقى.

انتبه إلى صوت الكوب وهو يسقط، وفوراً ضغط على الزر، طرقت نهله الباب، فقال لها وهو يشير:

- هاتي حد ينضف المكان. شيرين هانم حضرتك اتفضلي على الانتريه هنا عشان نمضى العقود.

وهى تطلعه على بعض الشروط قد اعترضت عليها...فقال لها:

ـ أي حاجه مش عجباكي في العقد اشطبي عليها على طول، وهو يبتسم ويقدم لها قلماً.

ومضت العقد، ولم يعلم أحد منهما ...كيف ستصير خطاهما!!

* * * *

يوم الجمعة...

تستعد فرح منذ الشروق لكى تستطيع تنظيم البيت، وإعداد الطعام. رأت والدها ينزل على الدرج لتستقبله بابتسامه، وتنتظر ضمة دافئة لروحها، ويطبع على جبينها قبلة غالية، وهو يقول:

- ازيك يا حبيبة بابا، ليه صاحية بدرى كده، وكل التعب ده لوحدك. وهما يتمشيان إلى غرفة الجدة.. قالت:

- تحب تفطر مع نانا، ولا قهوه الأول.

- ماشي يا حبيبتي قهوه الأول، وممكن تجيبهالى عند ماما؟

- حاضر يا بابا، عينيا طبعاً. قبل جبينها مره أخرى، ثم نظرت إليه وأردفت:

- نانا النهاردة فرحانه اوى. عارف ليه!!

ضحك ماجد ضحكه عالية، وقال لها مش عارف.

- طب انا هقولك...عمو رؤوف جاي النهاردة ، وطنت ريم، ومعاهم كريم.

- يا اروبه ما قلتليش ليه من امبارح عشان أكون عامل حسابي.

- كنت حابه تتفاجئ، وهى تلف خصره بيدها.

يعلم ماجد كل شيئاً لكنه لم يرد افساد الفرحة في عينيها.

الثانية بعد الظهر دق جرس الفيلا وهرعت فرح لتفتح، وهى تستقبلهم بسعادة، وقد خطف كريم نظرها و جرى ناحيتها هو الأخر حملته وعانقته وضحكا هما الاثنان.

دخلوا عند الجدة أولاً...وقبل رؤوف رأسها ويداها، وجلس بجانبها كما فعل أخوه.

تعلم الجدة بما يدور بخلد كل منهم، حتى دخلت فرح وقالت...وهى مبتسمه:

ـ الغدا جاهز اتفضلوا.

يرد رؤوف بحماس:

- نستني شويه ناجى زمانه جي. ردت فرح بعفويه:

- ناجى جاي!!

وهى فرحه. اخجلها صوت ضحكاتهم. قد فضحت عن اهتمامها بحضوره، ولم تدرى ماذا تفعل.. حتى دق جرس الفيلا، فقامت مسرعة لتتفادى نظراتهم، ولتفتح الباب لتجد ناجى أمامها.. فازدادت خجلاً، نظرت إليه باندهاش، واحمر وجهها أكثر، ثم اسرعت من امامه، وهو في تعجب تام فنادى عليها، ولم تجبه.

- الله .. فرح... مشيتي ليه!! وهو يتسائل في نفسه ماذا حدث! فدخل مسرعاً بعد أن أغلق باب الفيلا، ولم تأخذ منه الهدايا كما تفعل دائماً.

- ازاي حضرتك يا عمى؟

وقف ماجد ليسلم عليه، ومن ثم أخذ يد جدته، وأمه ثم جلس بجانبها وهو يسأل والدته:

ـ مال فرح! هي جريت ليه اول ما شافتنى.

ومن ثم ضحكوا جميعا كما ضحكوا سابقاً.

فأردف ماجد قائلاً:

- كنا مستنينك يا بطل. يلا بينا نتغدى، أنا جعان جداً. فقال ناجى:

- بصراحه ريحة الاكل تجنن.

أخذ ماجد يد والدته للمائدة، وأخذ ناجى ولده، وأمه.

- كريم يلا تعالى ندوق أكل طنت فرح. جرى للخارج يبحث عن فرح وينادى عليها:

- طنتو فرح، طنتو فرح. تحمست فرح لسماع صوته، وقالت وهى تحمل طبق العصيدة التركي:

- انا هنا يا حبيب طنتو.. يلا بينا ناكل.. تعالى.

مشى الطفل خلفها وكأنما يقولان لبعضهما حالنا واحد وكل منا مفتقداً أمه. ترك الصغير الجميع وذهب إليها ليأكل بجانبها فهي تستطيع الاعتناء به جيداً.

تقول الجدة:

ـ الاتنين حاسين ببعض. سبحان الله. ثم نظرت لناجى.

يكفى أن تقول الجدة كلمه واحده نيابة عن حديث مطول، وبنظره تجبرك على فعل ما تريده، وتدفعك به أيضاً إلى الأمام طالما فيه مصلحة الجميع.

* * * *

فقرة الساحر

جاءت آمال لتنضم إلى هذا التجمع الهادئ لتضيف عليه نوعاً من التوابل الحارة ليزداد اضطرابا، وقفت بجانب فرح وقالت:

- محدش قاللى انكم جايين كنت ساعدت فرح في الاكل.

- تعالى يا ماما.. طبقك جاهز وفتحت لها الكرسي.

- يا خساره، كنت احب اقعد معاكوا. بس اكلت بره وبصراحه تعبانة فهطلع اريح شويه.

لم تسلم على أحد. يكفى طلتها التي تزداد قتامة وكابه مع الوقت، وعدم اهتمام كلاً من فرح وماجد لها.

صعدت إلى غرفتها، وأغلقت الباب بالمفتاح، جلست على السرير، وخلعت حذائها في رعونة واستياء. وأخرجت الهاتف من حقيبتها، ورمتها هي الأخرى وهاتفته:

- ايوه انا روحت البيت. ها ...أعمل إيه؟ وتذكرت أن ذاك الشيء المهم في تلك الحقيبة التي رمتها حالاً وبمنتهى الاستهتار. ثم اسرعت لاستعادتها.

- يا نهار اسود! اه معايه. وقد اعتدلت، واحضرت الحقيبة بجانبها، وفتحتها واخرجت زجاجه صغيره.

- أكيد معايه اهي.. قول اعمل إيه.

ولا أحد يعلم إلا بعد حين.

نامت آمال قريرة العين، وفى منتهى السعادة. حتى جاء اليوم التالي...كلمت ممدوح بالهاتف وقالت:

- ازيك يا ممدوح، عامل إيه؟ وبصوت هادئ أكملت.. انا عايزه اشوفك.

- ازيك يا قطه. اكيد عاوز اشوفك.

-اعزمك على العشا. قلت إيه؟ ونتكلم شويه.

- اى حاجه منك تكون حلوه زيك. تحبى تيجينى امتى؟

- لا.. انت اللى هتيجى، وبالمرة بابا يتعرف عليك.

- بابا كمان! أحب جداً.

- خلاص الساعة سبعه نتعشى مع بعض.

- تمام.. يلا سلام.

بالكاد أغلقت الهاتف وتنهدت.. وقالت:

ـ عشان ما يفكرش يتعدى حدوده تاني. ابتسمت وقامت لتستعد لذلك اليوم الرائع.

طرقت فرح الباب، دخلت بالإفطار، وهى تسمع هذا الحوار الغريب. وقالت:

ـ ماما...

انتبهت آمال وقالت بصوت حاد وعصبي:

- انتى هنا من امتى؟؟

- لسه دلوقتى. جبتلك فطار خفيف عارفه انك مرهقه، ما تغدتيش امبارح.

- طيب ...طيب حطيه عندك وانزلي. وهى تشير إليها بفظاظة وإهمال.

لأجل زهره...

في المكتب

مازال ماجد يبحث عن ابنته ويجرى اتصالاته هنا وهناك لعله يعثر على أثر منها.

تطرق نهله الباب وتدخل لتقول:

ـ مدام شيرين برا مستر ماجد.

لم يعبئ بمن الحاضر، أشار إليها بأن ادخليه بعفوية

دخلت شيرين، وجلست، وهى تستمع لتلك المحادثات، حتى انتهي ماجد من الحديث، وانتبه لها ...وتفاجئ

- شيرين هانم.. أسف جداً عطلت حضرتك. وهو يستعد للجلوس ناحيتها. نورتي المكتب. جلس وهو منهك القوى، يأخذ أنفاسه بسرعة كدقات قلبه. سألته:

- أستاذ ماجد انت بخير؟! اكلم الدكتور، ولا تحب نروح المستشفى؟

-لا لا.. انا كويس. ووقع على الأرض مغشياً عليه.

لم يشعر ماجد إلا وهو بالسرير في المستشفى، ومعه شيرين ونهله. قالت تلك التي تبعثر قلبه وهى تبتسم تطمئنه:

ـ حمدالله عالسلامه... ليه كنت بتقول انك مش تعبان!!

اعتدل وهو يتكلم:

- تعبتك معايه، مكنتش حاسس بحاجه خالص. حسيت دلوقت انى المفروض أخد بالى من صحتي اكتر. وهو يبتسم. ردت شيرين بهدوء ورقه:

- أستاذ ماجد خضيتنا عليك، أرجوك داوم على العلاج عشان تتحسن بسرعه، الدكتور طمنا إنه إرهاق زياده بس.

نظر إليها مطولاً حتى توترت ونظرت إلى ساعتها. هو يفتقد لتلك المراعاة والسكينة، والهدوء والوداعة... في مثل هذه الأوقات كانت حتماً زوجته بجانبه!! قاطعت تفكيره، وقالت وهى تقوم من مجلسها وتحمل حقيبتها:

- انا مضطرة امشى.. تأمرني بحاجه.

- يا خبر. أمر إيه يا شيرين هانم، دا انا اللي المفروض اشكرك، واسف على اللي حصل.

- الناس لبعضها يا أستاذ ماجد. المهم تقوم بالسلامة، وتنور المكتب.

أشارت بيدها أن سلام في حين دخول فرح من الباب مسرعة.

-بابا إيه حصل انت كويس، وعانقته بشده. ردت شيرين:

- بابا بخير ما تقلقيش.

نظرت لوالدها بدهشه، ثم نظرت إلي شيرين. فقال ماجد مبتسماً:

- شيرين هانم... عميله مهمه للشركة، وهى اللي قامت بكل حاجه النهاردة.

هرعت فرح لتسلم عليها وتشكرها:

- أهلا أهلا احنا أسفين لتعب حضرتك. انا فرح بنت بابا الكبيرة، وقد تعارفا على بعضهما في سرور.

ذهبت شيرين في سكون عندما حضر الطبيب، وهو يتابعها بنظراته.

- ماجد بيه انت بقيت مستقر، هنكتب على خروج لكن ارجوك بلاش توتر وعصبيه، الانفعالات تهدى شويه.

* * * *

المقابلة المهمة!!

يقول سليم:

ـ آمال.. لو قدرتي تلغى معاد ضيفك النهاردة الغيه. انا ورايا مشوار مهم.

لم تكترث آمال لكلام ابيها. هي في معركه الان يجب أن تخرج منها منتصرة.

- طيب يا بابا. روح مشوارك، وانا هتصرف.

- ماشي يا حبيبتي ...انا خارج. وهو أيضاً لا يكترث لابنته.

هاتفت ممدوح لتأكيد الموعد:

- انا عملالك اكلتك المفضلة. اوعى تتأخر.

- طالما من ايدك يبقى جي أكيد. سلام يا حلوه.

أغلقت الهاتف واخرجت الزجاجة الصغيرة وضمتها بحنان إلى يديها، وقالت...عقبال ما استريح منك على طول.

جاء الليل، ورن جرس الفيلا، كانت ترتدى فستان أزرق ضيق وقصير نوعاً ما وحذاء أبيض عالي والعطر المميز لديها. فتحت الباب وانتشر العطر، وهم باحتضانها، مع بوكيه الورد وهديه ثمينة... كان يبتغى قبلة من عطرها لكنها استوقفته قائله:

- ممدوح الاكل هيبرد...ودفعته بكلتا يديها.

- يا خبر دي مسقعه!!

أخذت الورد وهام هو في طريقة التقديم ورائحة الطعام.

ـ بس ده بردو مش ذوقك. ده قديم شويه. قلتلك تعالى عيشي عندي وانتي ما رضتيش.

أردفت وهى تأتى من المطبخ وصوت الكعب العالي يرن في هدوء ورويه

ـ سيبك من الكلام ده دلوقتى، ويلا ناكل انا كمان ما كلتش من الصبح.

قدمت له طبق الأرز، الخبز.. وكان يأكل بنهم

- ياااه ...من زمان ما كلتش أكله زي دي، ميرسي أوى يا آمال.

- بالهنا.. انا عارفه إنك بتحبها، وبتحبني كمان. وهى تبتسم..

لم يتوقف عن المضغ وهو يقول:

ـ حقيقي فعلاً انا بحبك.

أي أحد يهدد حياتها، وسمعتها، واموالها أو يحرك السجاد تحت قدميها هي تحذفه من حياتها.

للأسف انقضت الليلة سريعاً لأنه شعر بتعب مفاجئ بمعدته، وعاد إلى بيته مسرعاً.

هاتفته آمال للإطمئنان عليه ولكنه كان مريض جداً!!

- هروح بكره المستشفى اعمل تحاليل.

- خير أكيد. انا قلت أطمن عليك بردو.

أرادت أن تتأكد أن خطتها سليمه، وأنها قد دفعت أموالاً طائله ليبتعد عنها ذاك الرجل. ومازالت تداوى الجروح بسموم أكثر.

بالمشفى...

في صباح اليوم التالي...جاء رؤوف لزيارة أخيه وليعود به إلى المنزل. طرق الباب، وقال مبتسما:

- إيه يا عم ده تقلقنا عليك كده. واقترب منه ليسلم عليه، ومن ثم دخل خلفه ولده ناجى، وقد سلم على عمه أيضاً وهو ينظر إلى فرح قائلاً:

- ازيك يا عمى سلامة حضرتك، فرح كلمتني وجينا على طول.

نظر ماجد لابنته مبتسما، وقال:

ـ الحمد لله بسيطة، ملهاش حق فرح تقلقكوا. وكمان عشان امي ما تقلقش

يقول رؤوف:

ـ ما تقلقش انا قلتلها انه هيبات في المكتب عشان في طلبيه مهمه. يلا يا فرح جهزي بابا عشان نمشى.

كانت سعيدة بالاطمئنان على والدها ولأنها رأت ناجى أيضاً. لاحظ رؤوف سعادتها، فقال وهو يشير إلى ابنه:

- ناجى هيوصلنا قبل ما يروح المكتب، يلا بلاش لكاعه.

- تحبى أساعدك في حاجه يا فرح. التفتت إليه وهى تبتسم:

- لا كفاية إنك هتوصلنا، فضحك هو الأخر.

وصلوا إلى البيت، ودخلوا على والدتهما، واستقبلتهم بترحاب، قبل ماجد يداها ورأسها، وارتمى في أحضانها. تمسح على رأسه كأنما يسكن القلب ويستكين. تقول الأم:

ـ حمدالله على سلامتكم. فرح ما عديتش عليا امبارح مش كده يا فرح.

نظرت فرح إلى أبيها. وقالت:

ـ والله يا نانا كنت مشغولة. انا... صح يا بابا!!

ينظر إليها ناجى وكأنها ما زالت صغيرة كم يود لو يحتضنها الان، ولكنها سريعة الخجل سريعة الهروب. ثم أردفت قائله:

ـ أكيد كلنا عايزين ناكل. هحضر أكل سريع. يتابعها ناجى بنظراته، وتتابعهم الجدة في صمت وتضحك.

* * * *

في فرنسا

لا تمشى القصة كما كان يريدها عماد، ولا كما كانت تتمناه آمال.

أخذوا صاحبة المنزل وكلاً من زهره وهذا الرجل صديق عماد عساهما يعلمان شيئاً عنه من خلالهما. لم تكن تلك الفكرة لتأتى على مخيلتها، أن تذهب لقسم الشرطة. خوفاً من القبض عليها.. ولكن لو تعمقت في تفاصيل حياتك كمختار ستجد الله يدبرها لك دون إرادة منك أصلاً. الخوف يبدله نجاة، والغرق حياة... ولكنك لا تدرى.

تذكرت زهره. أنه ليس لها جواز سفر، ولا بطاقة هويه. فكرت في صديقتها بالعمل ريما ربما تقوم بضمانتها. وهذا ما حدث بالفعل.

جاءت ريما واهتمت بصديقتها، وأحضرت لها الطعام. في تلك الأثناء سيكتب لها الترحيل إلى بلدها عن طريق السفارة. ازدادت تعباً وارهقهاً الحمل.. وقد أغشى عليها وانتقلت إلى المستشفى. لم تعلم من قبل بهذا الحمل، ولم تعلم به بعد.

قد علمت الشرطة من صاحبة المنزل عما كان عماد يفعله من قبل في خلال الأشهر الأربعة الماضية.

تنام على سرير المشفى...تصنع حلماً غريباً عن صبى، ورجلاً لم تراه من قبل و ما زالت تلك الشامة تتوهج باستمرار.

إن الوحدة والضغط يثقلان روحك من جديد. إن لم تكن مستعداً فلا توافق في الدخول لمثل هذه الأحلام.

المكتب...

أربعة أشهر والبحث جاري عن زهرة.

تأتي شيرين إلي المكتب، ومعها هدية صغيرة، دخلت المكتب والقت التحية وقالت:

ـ طبعاً انا مش عارفه أشكر حضرتك ازاي على كل التسهيلات دي وانا حقيقي سعيدة ة ممتنه جداً.

رد ماجد وهو يجلس أمامها:

ـ كله بحمد الله يا شيرين هانم. أحمد فعلا كلمني وشكرني، ولا شكر علي واجب، انا عملت المفروض يتعمل.

ـ ازاي بقي ... حضرتك عملت المستحيل عشان البضاعة تعدي من الجمارك، وانا شاكره ليك جداً، وكمان معايا هدية ياريت ما تكسفنيش وتقبلها مني ...أتفضل.

ومدت يدها بميدالية مفاتيح فضية:

ـ دا مفتاح شاليه علي البحر مباشرة في رأس محمد دا هدية. أعتقد إن حضرتك تستجم بعد كل التعب دا وترجع الشغل من تاني فريش ورايق ... بلاش ضغط وتعب.

وهي تبتسم في خجل تود لو يقبل ماجد هديتها.

دا أقل شيء ممكن أقدمه، وأرجو إنك ما تحرجنيش واحنا من هنا و رايح أصدقاء.

ـ عموماً يا مدام شيرين أنا قبلت هديه حضرتك ودي هتكون بداية صداقه ما بينا وشغل جاي كتير.

قالت وهي تستعد للنهوض:

ـ وبما أنك وافقت علي عرض الصداقة دا فأحب نروح نتغدا برا إيه رأيك، و في الوقت اللي أنت تحدده كمان؟

ـ إذا كان كدا يبقي دلوقتي حالاً أعزمك علي أكله سمك هايلة.

ابتسمت... لأنه بحاله جيدة، يحمل هذا الشخص في قلبه أكثر مما يظهره

قد وافقت على الفور، لعلها تستطيع المساعدة.

يملئ المطعم نور الشمس الطبيعي، وأحواض أسماك الزينة الكبيرة التي تعكس أشعة الشمس على مائها الذى يداعب الأضواء على حائط فضي بجوارهما، يزيد الإضاءه روحاً مبهجة أكثر للمكان. كان ماجد محتاجاً لمثل هذه الاستراحة مع طعام جيد وموسيقى هادئة، وصديق داعم متفهم. ولكن يشرد فكره بين الحين والأخر، ويسرح في لا شيء، وهو ابنته... وهل هي على قيد الحياه.

بالرغم من عذوبة صوتها، أردفت وهى تضع كأس العصير على الطاولة:

- أستاذ ماجد... فاستعارت كل انتباهه، وكأنها جاءت به من بعيد...

- اأفندم!!

- دايماً بتشتغل بجهد ونشاط زياده، وشغلك ممتاز، وناجى كمان. لكن دايماً بشوف في عنيك كسره أو حسره. ليه!

تنهد ماجد... وقال:

ـ لا، مفيش الكلام ده. انا كويس وكل اموري تمام، وأخذ هو الأخر رشفة من العصير وكأنما يبتلع آلأّمه، يجب ألا يثقل عليها بتلك الأمور.

قالت كأنها تلح عليه ليعبر عما بداخله:

- أستاذ ماجد احنا بقالنا مع بعض شهور ولازم اشوف النظرة دي في عينك كل مره!

- مدام شيرين... الموضوع غريب جداً وانا بلوم نفسى فيه، لأنى ما أخدتش الاجراءات الصح وقتها.

انتبهت له، لديها فضول لهذا السر الدفين الذى تراه في عينيه.

- ازاي يعنى!! ممكن توضحلي؟

- بنتي زهره الأصغر. والدتها جوزتها في السفارة بدون علمي، عقد جواز شبه مزور عشان تسفرها بره وكل ده وانا مش عارف ليه عملت كده، واشمعني زهره بالذات وعندنا بنتين اكبر منها وما عملتش كده معاهم. انا مش فاهم، ومستغرب.

ودلوقت انا مش عارف هي عايشه، ولا... وقد دمعت عيناه. واعتذر منها متأسفاً.

ـ بسيطة... حضرتك قلت انها في فرنسا. أحمد هناك يسأل في السفارة دلوقتى حالاً ...هكلمه. عندنا معارف بالسفارة هناك.

تغيرت نظرته بعدما فقد الأمل في أن يراها ثانية، سقطت السكين من يده!

بعد كل هذا الجهد... زرعت به الأمل من جديد.

وقال مسرعاً وكأن الحياه ردت اليه:

ـ والله تعرفوا حد هناك.

شعرت شيرين بكم الوحدة والدمار الذى يعيشه هذا الرجل وهو من الخارج صارماً، صلباً، ومن الداخل مهشم كالزجاج.

- مش كنت تقول من بدرى، سهله إن شاء الله.

- طيب إذا كان كده يبقى رجوع زهره ليا أكبر هديه، فملهوش لزوم لمفتاح الشاليه بقى.

وهو يبتسم . عرضها هذا هو جل ما يتمناه.

قامت شيرين وهى في المطعم بمهاتفة ولدها أحمد، حتى استطاع ماجد مكالمة أحد أفراد السفارة في فرنسا هناك.

* * * *

ممدوح السعيد...

تطمئن آمال دائماً على ضحاياها باستمتاع. كيف أصبحوا! أولاً بأول.

تدور في البيت كالحيه، وبهدوء تام تراقب كل فرد في الأسرة وخارجها. لا نعلم من أين تعلمت هذا، لكنها انتهازيه مثل أبيها، لا يهمهما أمر الأخرين طالما هي في أمان.

تضجع على سريرها، وهى تضع ساق على الأخرى مع قناع للبشرة، وتلف شعرها بمنشفه وتضع طلاء الأظافر وتنفخ عليه ليجف. ثم تمسك الهاتف لتتصل بممدوح لتطمئن عليه. له مده مريض لا يستطيع مطالبتها بالمال.

- إيه يا ممدوح نسيتنى ولا إيه، ما بقتش تتصل زي عادتك.

- انا في المستشفى بقالي مده ومحجوز.

- يا نهار ابيض وانا ماعرفش ازاي. ليه كده! وكأنها لم تعلم.

- التحاليل بتاعتي مش كويسه خالص والحاله اتدهورت بسرعه .. انا مرعوب ليكون في حاجه جديده.

تعلم هذه الحيه كيف تستمتع بضحاياها جيداً، مراقبة السقوط الذى يتبعه الدمار. هذا ما يشفى غليلها.

وبكل الغل والحقد تقوى إيمانها الممزق لتعدى به الأخرين، وترد قائلة:

-اطمن، خليك متفائل كل حاجه هتكون كويسه، وانا جنبك في كل حاجه.

- ايوه. انتى اكيد معايه يا آمال.

هو أيضاً أحمق يستعين بمن سقاه السم... وعجباً على تلك الأنفس الناقصة. يسُلطها الله بعضها على بعض.

ولأول مره في تاريخ ممدوح أن يُكسر هكذا، والأعجب...هو يتوسل بالدعاء بعد ما تمزقت أُسر على يديه، وكسر رقاب رجال قبل هذا و... الأيام دول.

* * * *

فرح ونور...

مكالمه هاتفيه:

- ما جيتيش بقالك كتير، طولتى المرة دى، وحشتينى اوى.

- حقك عليا.. معلش هنيجى قريب إن شاء الله. انتى وبابا ونانا عاملين إيه!

وحشتونى خالص.

المكالمة الهاتفية كالعادة بكاميرا الهاتف. نامت الجدة وفرح أيضاً، لكن نور لم تنم أرادت مفاجئتهم في الصباح. فكانت تستعد للذهاب إلى بيت الجدة.

وفى الصباح الباكر ضربت الجرس... إلى أن جاء ماجد مسرعاً ليعلم من بالباب.. وليفتح. إنه كان مضطرباً. وأخيراً فتح الباب وكانت مفاجأة مدهشه، وأخذها والدها بأحضانه وضحكاً لتلك المفاجأة حتى نزلت فرح مسرعة تجرى ناحية الباب لتعلم ماذا يحدث! وما أن رأت أختها حتى قاما بالصراخ والفرحة. تقول فرح:

ـ دي مفاجأة مجنونه، وهما يحتضنان بعضهما.

وقد خرجت الجدة لترسم الفرحة بدعوه هادئة منها

ـ ربنا ما يفرقكم عن بعض أبداً ويضم لكم أختكم قريب جداً.

وكأن باب السماء كان مفتوحاً!

تقول نور:

ـ تعالوا افرجكم على الهدايا اللي جبتها لكم، ودخلوا على غرفة الجد ه محملين بالهدايا.

جلست فرح بجانب اختها لتقول لها:

- مش عايزه حاجه غير بس تكونى معايه، انتى وحشانى جداً. وهى تحتضنها، وترد عليها بصوت منخفض:

- مفيش أخبار عن زهره؟!

- لا هتسمعي ... رد حد واصل بالسفارة هناك في فرنسا.

لم تدم سعادتهم طويلاً سمعت آمال صوت فرح صاخباً فقالت بتهكم:

ـ هو في إيه كل الدوشه دي عشان اختك جت ... الأحسن ليها أنى ما شوفش وشها لحد ما تمشى.

انتبهت لها فرح وأسرعت إلى أمها قائله:

ـ ماما انسى بقى و ما تزعليش كده تعالى شوفى نور جابت إيه.

ـ مش عايزه اعرف ولا اشوف وشها و لا تكلمنى لحد ما تطلق من السواق ده.

حينها لم تكمل فرح الحديث خوفاً من أن تسمع من والدتها ما يزيد الامر سوءاً وتحزن أكثر من الحزن الذى في قلبها. غل والدتها و الحقد المخيم في قلبها لم ترد أن تتعرض للصعق مجدداً من والدتها وتحررت من الحنين إليها و من قسوتها.

ليست كل الأمهات جديرات بتحمل لقب الأمومة.

كانت سعيدة حقاً بوجود نور هذا الشهر. لكن نور ما بات يشغلها أمر والدتها، بل يشغلها أشياء أهم وهو أن فرح بدأت تلملم شتاتها، وتفتح قلبها للحب. وكذلك ... صندوق الجدة الذى تحب وبإنبهار أن تعلم ما فيه!!

صندوق الجدة

وما أدراك ما صندوق الجدة!!

لم تكن لتقول ناريمان خورشيد عن اسمها الحقيقي لأسباب خاصه وأنا أرجح ذلك لكن جميله هو الأفضل لأن والدها سماها به، ولأنها تشبه الاسم كثيراً! قد زوجها والدها من رجل والده تاجر كبير، وظن أنه بذلك قد اطمئن عليها أفضل من ابن عمها. أراد لها حياه رغدة لكنها لم تكن لتريدها. ولكن ما في القلب يظل في القلب لا يطلع عليه أحد.

نور لازالت تعبث لا تنفك عن معرفة المفتاح... فقد بحثت عن من اسمه ضياء الدين. هي حقاً معجبة به.

كان يحفظ في مسجد من مساجد تركيا الصغير أن ذاك.. حتى كبر وصار محُفظاً، ولديه ولد يتيم قد رباه وعلمه وقد أصر على تحفيظه القرآن الكريم، وهو الان طبيب في إحدى المستشفيات الكبيرة بتركيا. اسمه علي الدين، وقد قام بدوره هو أيضاً في رعاية والده في كبره. وقد أنشئ له هذا الموقع.. يكتب الشعر، الأحاديث، وبعض القصص القصيرة.

عّلي خلوق مثل من رباه، روحه طيبة. في الواحد والثلاثين من عمره. يقظ، فطن، ذو جسد رشيق، ذا شعر اسود كثيف كلون عينيه المكحلتين يغلب عليهما القسوة أحياناً، وأنف مدبب، وشفتين غليظتين كأنه محارب، والمدهش أنه يعرف ناريمان عز المعرفة.

نور تسمع من جدتها القليل بعد، إنها فضوليه كبيره تستدعيك للخوض في اسرار الأشياء، وبهذا الصندوق كتاب قديم مدهش اسمه (اين تعيش الروح). والغريب أن كلاهما (جميله وضياء الدين) يصيغان نفس الجمل ويكملاها معا.

وفى اليوم التالي أحضرت نور طعام الإفطار باكراً وذهبت إلى غرفة جدتها..

ـ نانا ... صباح الخير يلا نفطر سوا الفطار اللي أنا بحبه معاكي يا حبيبتي.

تستقبلها الجدة بترحاب وسعادة وتقص عليها حلماً:

- نور.. انا حلمت ان زهره ولدت ولد وسميته سيف.

اندهشت نور... لعلها تعرف ما لا نعرفه فسألتها:

- نانا!! هو انتي تعرفي زهره فين؟

- في فرنسا.

تعلم نور ان جدتها لا تهذى، ثم اردفت كلامها:

- وهى بخير طالما هم معاها. وسكتت للفطور وكأن شيئاً لم يكن.

* * * *

ماجد في فرنسا!!

المستشفى تستدعى السفارة.

وبعد مده من الوقت..

ـ ازيك يا مدام زهره.. حمدالله عالسلامه. أنا أحمد شكري من السفارة المصرية.

اطمني هترجعي مصر قريب.

لم تدرى زهره بماذا ترد:

- انا فين! لم تعلم هل هي في حلم أم حقيقه! فسارع يطمئنها:

- والد حضرتك بره. هناخد بعض الاقوال منكم، وكل حاجه هتكون تمام.

صمتت لبرهه وانتبهت.. والدها بالخارج!!

- إيه!! بابا هنا...وظلت تنادى وتنادى عليه، وهى منهكة القوى ومتعبه. وسمع ماجد صوت ابنته أخيراً، وجرى ناحية غرفتها وضمها إلى صدره ولم يعبئ بعد بأحد. وقال:

- الحمد لله.. ربنا ما خيبش ظنى أبداً.

وهى تعانقه بشده لم تتركه للحظه على الرغم من تعبها، وتلك الدموع في عينيه لم يستطع أن يداريها.

يقول اللواء أحمد شكري:

ـ زوج حضرتك مطلوب في عدة قضايا يا مدام زهره. ياريت اقوالك تفيدنا لو تعرفي حاجه عنه تبلغينا على طول من فضلك.

لم يعلم عماد بأى من تلك الأمور التي مرت خلال هذه الأيام، ولم يعلم أن كل من يعرفه هناك قد شهد ضده، حتى وصلت له أخبار عن القبض عليه إذا عاد إلى فرنسا، وللأسف تم التحفظ على أمواله أيضاً. وقد قدم ماجد بلاغاً أنه كان مختطفاً لزوجته لابتزازه من خلالها.

لا أحد يعلم بسفر ماجد إلا أحمد شعيب ووالدته شيرين.

هم الان في طريقهم إلى مطار القاهرة، ومنها إلى الفيلا مباشرة.

دخل ماجد منتصراً ومعه زهرته أخيراً... كانت مفاجأة للجميع، وصدمه للبعض.

فتح ماجد باب الفيلا، وقد سمعت فرح وأسرعت ناحية أبيها وقد تغيرت نظرته بشكل غريب... ابتسم أخيراً. شعرت بنظرة النصر في عينيه، وأنه قد وفى ما وعد به.. لكنها لم تعلم أن زهره خلفه!!!

دخلت زهرة، أسرعت فرح وعانقتها قائله اسمها بصوت عالٍ يغوص في بكاء وفرحه، حتى سمعتها نور وضمتها إلى صدرها وقبلتها كثيراً.

وتجمعا الثلاثة كما دعت الجدة.

تركهم ماجد ودخل على أمه فوجدها تستقبله بسعادة، قبل يدها ورأسها وقال:

- أمي ...ليه ما قلتيش من بدرى، ليه سبتينى! المرة دي تعبت اوى.

- كان لازم قلبك يتهز اوى عشان تصحى روحك. والحمد لله هتعرف تعيش. صح!

- صح يا امي عندك حق.

نادى ماجد على بناته ووصاهما على زهرة.

ـ انا عايز زهره ترجع احسن من الأول بمراحل.. واتوصوا بيها بقى بالأكل عشان مش بتاكل لوحدها دلوقت ، هيجيلنا ضيف بعد كام شهر...إن شاء الله، وهو ينظر إلى والدته وهى تبتسم.

تفاجأتا الأختان لم يصفو كم السعادة التي وصلوا إليها. قاما بتهنئتها وذهبا بها إلى الغرفة ليستعدن حياتهن بعد هذه الحروب التي مضت.

سلمت زهره على جدتها، وقبلت يدها لكنها متعبه من السفر وتريد الاستلقاء والراحة.

هنا قد وقع حلماً...

تتثاقل الخطى لم أعلم من أنا. علامة فارقه تفرق من مكان لأخر، اللغة، والرائحة، الوجوه، تغير الأجواء من الهدوء إلى الصخب. أستريح قليلاً.. رائحة وسادتي، وسريري كانا ملاذاً أمناً، وكأنى تعودت على السفر، والأغرب أنى وجدت الأمان

في التغيير. التغيير الجبري الذى يحدث معك عندما تتعلم ...تعلم أنه ليس لديك خيار.. أنت محض مجبر!! ولكن الجبر هنا أن يضعك الله في جبر معيته. لك مطلق الحرية حتى تلتصق بجواره، وانتهى الأمر . أنت مسير كما الكون في تسيير، وتيسير عجيب لا تشوبه شائبه. حتى تظن نفسك لا تحسن التدبير. وهذه هي الحقيقة التي يريد الله أن يعلمها لنا وهى الاستسلام له. وفى هذا...لن تتخيل ماذا يحدث...تجد حقاً الراحة، لن تعبئ بالأشياء بعد. لن تفكر في الغد كما لم تفكر فيما مضى. يلتحق الحاضر بالأتي. تنجبر الأحوال رغماً عن أنفها. يورد طريقك كشجر الياسمين التي تلحق نافذة غرفتنا، وتنبعث رائحتها داخل الغرفة... فاستيقظ على مثل تلك العطور منتشيه. لدى أصدقاء هناك أكثر. لكنى لم انتبه لهم إلا الان، ألفت صحبتهم لكن روحي تعرفهم جدا!!!

* * * *

نتائج مُرضيه

كانت آمال في المستشفى مع صديقها ممدوح بحجة الاطمئنان عليه! لم تعهد عليه بهذا الشكل من قبل، وتأكدت ان ذاك الرجل (العراف) قد يحقق لها كل ما تتمناه كما يقول: ـ في خلال شهر هيكون في عداد الأموات.

وبالفعل فقد الكثير من الوزن في وقت قصير، وبدا شاحباً جداً وضعيفاً إلى أبعد حد!

لم تكن لتساعده على الشفاء أو تواسيه أو تأخذ بيده... هي ذهبت فقط لتطمئن.

حتى تعود إلى فيلتها وقد تمت مهماتها على أكمل وجه. لا أحد يهددها الان. تستطيع النوم والبدأ في عملها من جديد. فقد ملت من المراوغات. حتى تتصالح مع نفسها بشكل إجرامي، وتمحيه من الوجود بدون قطرة دم واحده، وبدون أي أثر.

عادت إلى البيت وهى سعيدة لأن أحلامها تتحقق واحداً تلو الأخر على يد هذا الشيخ المبروك. يكفى سماع شيئاً ليطمئنها كالأنغام في أذنيها.

دخلت الفيلا هناك صوت ابنتيها يطبخان الطعام، ماجد بالمكتب، والجدة تقيل في غرفتها. توجهت لغرفتها بالأعلى دون صوت، لتأخذ حماماً منعشاً تزيل به التفكير بالذنب أو حتى الشعور به. انتهت من حمامها، واتجهت إلى الحاسوب الخاص بها، احتضنته وقالت:

ـ انت الوحيد اللي فاهمني. وطبعت عليه قبله

فتحته حتى تسجل به تلك الزيارة تكتب تاريخ وفاة شخص أخر كما تفعل دائماً. كل من تظن أنه يقف في طريقها تدمره. حتى سمعت صوت فرح تنادى عليهم:

ـ نور، زهرة يلا الغدا جاهز.

وفى صوتها سعادة. لا تطيقها آمال، ولا تطيق أن يخرج أحداً من تحت سيطرتها. أصيبت بالدهشة عندما سمعت اسم زهره. ظنت أنها متعبه أو تهذى.

ـ زهره. هههه. عماد قالي إنه خلص الموضوع...أكيد انا سمعت غلط. ما اعتقدش انه واخد الفلوس دي كلها ويرجعلي البنت تانى.

كانت تشعر بالاشمئزاز والتوتر، وتذكرت انه قال لها (ستدفعي اكثر). حتى هرولت مسرعة من غرفتها ونزلت على السلم لتتأكد من ظنها، وهل ما قاله عماد حقيقياً!

زهره على قيد الحياه تتنفس!! وما أن رأتها تخرج من غرفة الجدة ... حتى صرخت، وتناولت سكيناً من على طاولة الطعام، وذهبت به نحوها، حتى أوقفها ماجد. ومازالت تصرخ وتصرخ حتى وقع السكين من يدها، ووقعت مغشياً عليها.

بعد فتره من الوقت قال الطبيب:

ـ احتمال يكون شلل نصفى. هنعمل فحوصات، واشعه على المخ، وهنحتاج لعلاج طبيعي. كتبتلها على حقن ضد الاكتئاب، ومجموعة ادويه مهدئه، منوم مؤقتاً لحد ما نعمل الاشعة.

شكر ماجد الطبيب، وغادر الفيلا. مزق ماجد الروشتة، وذهب غاضباً لغرفة النوم. عرف أن زوجته لا تريد رؤية ابنتها! وتريد قتلها! لماذا؟ لماذا؟

أسرعت فرح اتجاه والدها تستوقفه، فقال بعصبيه شديده، وصوت مرتفع...كالعادة حينما تنتفخ اوداجه لا أحد يستطيع ردعه:

ـ فرح. ولا كلمه. ابعدي.

دخل عليها الغرفة، واغلق الباب خلفه، وجلس بجانبها على السرير، ظنت انه سيواسيها فتدمع عينيها. تطلع إليها وهى في قمة ضعفها تحسبه سيحتضنها ويقف بجانبها لتستطيع النهوض مرة أخرى كما كان يفعل دائماً...لكنه قال لها بصوته العالي:

ـ ليه؟! هتستفيدي إيه!! اهو، في الاخر اتشليتي، ليه! تعبتينا كلنا معاكى يا شيخه. عايزه تعملي إيه تاني (وهو يضرب بيده على السرير) لسه ما عملتيهوش! عايزه تدمري مين تانى ها. ردى، اتكلمي... وقتي، وفلوسي، وصحتي، وبناتك، ليه بتعملي كده ليه!

وأخذ يحطم في الأشياء حوله بحثاً عن شيئاً ما يدور في رأسه، ومن ثم وقعت عينه على هاتفها، أخذه قلب فيه بضع لحظات، ثم رماه بجانبها على السرير. اتفضلي لو تقدري تستعمليه.

خرج من الغرفة، وقال وكأن شيا لم يكن، وهن يظنن أنه سوف يقتلها.

ـإيه ده.. لسه ما أكلناش، يلا ناكل تعالى يا زهرة جنبي، اتفضلي يا أمي. اسف انى عليت صوتي شويه

(المصائب ... نافعه لتهذيب الروح).

* * * *

محراب الشيطان

بعد مرور أيام رأت آمال على مواقع التواصل وفاة رجل الأعمال الشهير ممدوح السعيد أثر تفاقم سريع لمرض السرطان.

تبتسم ضاحكة وتقول:

ـ هم وانزاح، راح هو وتهديداته دي، كان ناقص يضحك عليا. ناقص القصة الكبيرة، الصبر يا آمال الصبر، بكره أي حاجه تهدد حياتي، وشهرتي تختفى.

الان لا تستطيع الصراخ ولا الغضب كالسابق... لكن عندها من الدهاء الكثير. لا تكتفى هذه المرأة إلا بالنهايات الحتمية المدمرة، ولم تكتفى بمرضها هذا، ولن تتعلم أبداً.

لا تنفك روحها تسوء شيئاً فشيئاً تحت وهم وشعارات باليه ما أنزل الله بها من سلطان.

أن تجلس متربعاً في محراب شيطان، وتكذّب روحك، وقلبك. هذا ليس بحكمه... والأهم أنك تتجاهل الرسائل الروحية، تجرى خلف سراب ظلامها، قد صدقت شيطانها، ضعيفة النفس، وما ترنو إليه سيدمرها.

مرحبا بسواد القلب!

يتابع ماجد من مكتبه كل ما يدور مع زوجته منذ أمس، كما أراد صديقه أحمد شكري.. إنه ذو منصب عالٍ في أمن الدولة، وقت إبلاغ السفارة له باقتفاء أثر ابنته زهره، ومعهم الرائد سامح سليمان، ومترقب وصول عماد زوجها. وهو من أشار على ماجد بالتريث في قضية الخلع ربما يلجئ لها مرة أخرى.

يراقب ماجد هاتف آمال بدافع الفضول كل المكالمات التي تأتى، ومن هنا لم تبدأ الدراما الخفية في الظلام بالظهور بعد.

(ربما بعض الرؤى تغير الواقع).

الساعة التاسعة تقريباً كل ليله بعد أن يهدأ الجو العام للفيلا تجلسان نور وفرح في غرفتهما، والجدة في محرابها، وآمال في غرفتها لا تستطيع الحركة . أما زهره فهي تتجه لغرفة المكتب عند والدها يتحدثان عما كانت فيه بسفرها. من المهم جداً ان يتابع أحلامها ...تساعده نوعاً ما في تقديرات الأمور بعد ذلك. هو في شغف شديد لمعرفة ما الذي يحدث!!

ومن هنا تقص زهره على والدها ما كانت تحلم به عندما تتذكر، تحكى وهو يرتب أحلامها على واقعه. (بعض الأشخاص شفافون للغاية لتتحدث إليهم الأحلام وتتجسد على أرض الواقع. نادرون جداً، لكنهم موجودون). بداية من هذا الشيخ المسن ذاك إلى تلك الجبال والشلالات، وأرض الصحراء، وخيالات وظلال، لم يكن شيئاً بتلك الأحلام مبشراً في تلك الحقبة، كان الألم يتفاقم، والشامة تزداد اشتعالاً.. بداية منذ أن كانت طفله ويتردد عليها ظل أسود يتجه ناحية والدتها ويقتلها، من هنا تبدأ السلسلة التي لا تنتهى من الأحلام التي نعتبرها كوابيس، ولكنها في الحقيقة تأتى تحذيراً لما بعد.

أما هذ الحلم فمختلف ... جلست زهره مع أمها في الشرفة ظلت تحكى لها عن ما كان يزعجها، ومن ثم سمعت آمال هذه الأحلام ذات مره منها، وقد نامت في أحضانها كأنها أمها، وهى في الحقيقة كذلك. لكن فجأة قامت آمال وأمسكت عنق ابنتها وهى تخنقها وتصرخ في وجهها بأعلي صوت:

ـ ابعدي عنى انتي عايزه تموتيني.. لازم انتى اللي تموتي!! لازم..

وتستيقظ زهره بفزع وهى تبكى بشده.

قالت زهره لوالدها:

ـ لما قعدت لوحدي ماكنتش عارفه نفسى. كنت بخاف الأول، لكن بقيت أخاف من نفسى، ومن قوتها. اتمنى تكون فاهمني يا بابا.

رد ماجد بحنان ورأفة، وهو يربت على يديها:

- فاهمك يا حبيبة بابا.

- المهم انى ورا كل حلم، اشوف شخص غريب معرفهوش ولا عمرى شفته لمدة ثانيتين. ادقق في ملامحه ويختفى، واصحى من الحلم.

- خير أن شاء الله.

كان هذا رده لكن لا نعلم ما يخفيه. إنه يخاف على ابنته، وخصوصاً ما تحمله روحها...ويعلم أنها ترث من أمه شيئاً، ولكنه.. أشد ثقلاً.

* * * *

نور والصندوق

على الجهة الأخرى.. تتحايل نور على جدتها لمعرفة ما يحتويه هذا الصندوق ...لعلها تجد فيه ما يكتب لروايتها الجديدة.. يجب أن يكون فيه أحداث مثيره.

ـ مش هتقولي بقى يا نانا الصندوق ده فيه إيه؟!

تبتسم الجدة.. إنها خجولة. ثم تقول:

ـ هتعرفي كل حاجه قريب قبل ما تسافري ان شاء الله. لكن خدى هنا... قوليلي الحمل عامل معاكي إيه!!

نظرت نور للجدة، وقالت:

- يا رب يا نانا يا رب. وهى تصب الشاي في الفنجان فانتبهت وقالت بصوت عالٍ:

- بجد اللي بتقوليه يا نانا!!

تنتظر جدتي تلك الفتوحات. مر وقت طويل مع الألم، كانت تعرف أشياء قبلنا ولكنها لم تتكلم، ولم تحذرنا! لم تجعل أبى يطلق أمي على الرغم من أنها متعبه، ولم تمنع زواج زهره، وقد تنبأت بمكانها، وبعدها حملي! بل تركت مشيئة الله تسري كما يريد. تستشعر البداية، وتتشوق للنهاية التي لم يستطع حياكتها سوى من دبرها. إنها حتماً مأموره!

إنها تعرف جيداً كيف تعيش الروح.

والمدهش أنه لتصل لهذا المستوى أمامك طريقين...إن كنت تدرى من البداية بهذه الإرهاصات وساعدت نفسك أو ساعدك أحد ما. أو.. تتقلب في ظروف الحياه القاسية لتنتبه كيف يتحدث إليك القدر. وهما الاثنان مهذبان للروح وعليك إسكات الصخب لتحدث معك المعجزات. لا تحزن إن تأخرت الفتوحات. ولا تنسى أن تلين وقت الضربات، ولا تجزع. تمالك نفسك وتحلى بالهدوء. كلما صمت كلما تجلت روحك أكثر. انتبه.

* * * *

المفاجئات المتتالية...

صار كلاً من الهاتف والحاسوب الخاصين بآمال متواجدان على حاسوب ماجد بالمكتب. كل شيئ يخصها...المحادثات، المعاملات المادية، التواريخ، والعناوين، وحتى تسجيلات المحادثات المهمة المتواجدة في مكان سرى اقتحمها بمساعدة فرح التي كانت تعلم كيف تتعامل أمها مع هذا الجهاز!! قد تستطيع إصلاحه إن تعطل! ولذلك كانت آمال تحتاجها كثيراً.

طلب من زهره أيضاً أن يتتبع هاتفها لربما يتصل بها عماد يوماً ما!

دخلت زهره على والدها غرفة المكتب، وقد طرقت الباب دخلت وسلمت عليه، وهو لم ينتبه لها من الأساس. جلست وحاولت أن تستمع معه إلى هذه المحادثات التي كانت تحتفظ بها آمال عندما تريد الايقاع بأحد ما! وها قد جاء وقتها. وليعلم هو وشريكه...ما الذى توجب عليه سفر زهره مع عماد.

يراقب، ويستبق الأحداث، يربط المواقف بعضها ببعض. لم يستوعب كلام والدته سابقاً حينما قالت...ربما تقتل هذه الفتاه كفداء أو كهديه. ولكنه ظل يحارب لحمايتها.

سمعت زهره صوت والدتها عبر التسجيل الذى يسمعه والدها وهى تقول بحقد دفين، وقلق، وخوف:

ـ ده لازم ميكونش موجود، بيهددني، وجوزي لو عرف هيطلقني، وكل الفلوس تروح عليا، واوعى تنسى.. انت ليك في الفلوس دي بردو.

يرد الطرف الاخر عليها بصوت مبحوح وغليظ خالي من اللباقة. انه أسلوب ذكوري. فظ:

- دي حاجه تتنسى. ازاي! كل اللي هتقولي عليه هيتعمل بالحرف الواحد. بس الفلوس تيجي الأول.

- نص المبلغ الأول، وبعد كده بقى النص التانى. موت ...مش حاجه تانية. إنها مازالت مكالمات حديثه.

هذا ما قد قيل عن ممدوح السعيد الذى لقى حتفه الشهر الماضي. وكلما استمعا أكثر زادا اندهاشاً!!

همّ ماجد ليستمع لمكالمه جديده، كما يستمع لها شكري:

- أنا آمال.. فاكرني؟

-لاء مش فاكرك بصراحه... مين؟

- انا آمال بنت فريده فاكرها؟ كانت بتيجى عندك من فتره كده.

- اه..يا أهلا بالحبايب أهلا. انتى بنتها بقى؟

- ايوه بالظبط. ماما حكت عنك انك ساعدتها في حاجات كتير، وانا بقى عايزاك تساعدني...فين مكانك؟

(مازالت آمال تحتفظ بأشياء مرت عليها زمن، فلنحمد تصاريف القدر).

ثم ادار مكالمة أخرى:

- ايوه يا شيخ منصور، فرغت الازازه في كباية الميه زي ما قلتلي بالظبط، وشربها.

- متأكده انه شربها يا آمال؟

- ايوه متأكده. شربها كلها قدامى.

- طيب يوم واحد وهيبقي زي الخاتم في صباعك.

أوقف ماجد تلك التسجيلات، وقام وهو يضرب ظهر المكتب بيديه، فانتفضت زهره

وقد تفاجئ بوجودها، تمالك أعصابه وكظم غيظه، وقال:

ـ متخافيش. بس انتي هنا من امتى؟

راقب بعينيها الحزن، والأسى على والدتها كيف تحبها بعد الان، وكيف تتعامل معها..

وأدرك انها انتبهت إلى أحلامها وبدأت هي الأخرى تسترجع تلك الأحلام وتستوعبها جيداً. وهذا في حد ذاته صحوة كبرى. في ساعة واحد ه تكونت صوره من سبعة عشر عاماً بها الكثير من الألم وكسر الخواطر، وإعدام البراءة، وما خفى كان أعظم،

طلب منها أن تذهب إلى النوم مع أختاها، لتستريح، ثم قال أحمد شكري:

- انا همشى دلوقتى، ونكمل يوم تانى.

- أحمد بيه كنا هنتعشي مع بعض الأول.

- دايماً عامر.. المهم تابع وانا معاك إن شاء الله.

وقد أوصله ماجد إلى باب الفيلا. وذهب إلى ابنته يتحدث معها حتى يتثنى لها النوم بهدوء بعد ما سمعته.

* * * *

المحادثات الأخرى...

ترك ابنته لتنام بعد أن أحضر لها كوب من الحليب وبعض الفاكهة.

ثم عاد إلى مكتبه ليكمل باقي الجرائم التي كانت تفعلها تلك المرأة التي كانت بأحضانه يوماً ما!

وأدار مكالمة أخرى...هذا الرجل ذي الصوت الفظ يتحدث مع زوجته:

ـ الجنين ده لازم ينزل ...لازم ينزل بأي طريقه.

(هؤلاء هم الأوغاد الذين يلعبون بعقول البشر، لهم تصاريف جهنميه في اللعب، ففي قتل هذه الفتاه دعم لإحياء الأرواح الخبيثة، هذا سرهم. وما يظهروه لك هو أنك في خطر، ويتلاعب بعقلك الصغير هذا حتى تصدقه، أما أعوانه الشياطين يمارسون في عقلك الهلاوس كما فعل في عقل آمال.. جعلها تصدق أنها ستموت...إن لم تضحى بهذا الطفل، ومن أين علم، هل انتهى الموقف إلى هذا الحد فقد أنجبت وعاشت أيضاً، لكن الفكرة مازالت عالقة في الذهن. وهى أنه يجب التخلص من الفتاه. يتدخل البشر بتصاريف الخالق بسذاجة. استعمله الشيطان، ظناً أنه خادم لديه).

كم من بيوت خربت لجهل أصحابها.

كل شيئاً أصبح معلوماً الان ...هي حتماً في قفص الاتهام!!

جرس هاتفها يرن. وقد بدت على ملامح وجهه التساؤل:

ـ رقم غريب.. يا ترى مصيبة إيه تاني.

ردت آمال بصوت متلعثم، شفاه ملتويه وبعض الحروف تائهة، عقل مصدوم:

- ايوه. مين! مين؟؟

ـ عرفتينى ولا لسه، مش هقول مين، لكن أنا محتاج فلوس. عايز اتحرك من البلد ومش عارف، وفلوسي اتحجز عليها. ابعتيلي فلوس بسرعه.

ـ عماد هههه. ادينى قلت اسمك وريني بقى هتعمل إيه!! وبعدين ليك عين تتكلم، مفيش فلوس، غيرك هيقوم بالواجب وزياده وبفلوس أقل كمان. وانت هتروح منى فين...هلاقيك بردو.

- من الواضح إنك تعبانة وبتخرفي، ازاي هتعرفي تلاقيني يا هانم.

- انت عارف انى مش بسيب حقي.

أغلقت المكالمة وهو محاط بالديون، ومهدد من كل من حوله. ليس له إلا طريق واحد وأخير وهو أن تعود له زهرة.

ينسج عماد خيوط العنكبوت. فقد علم أن زوجته حامل، ويظن أن عودته أمراً لابد منه لأنه والد الطفل، فسوف يقبلونه مضطرين، وكيف لا.

هو يستطيع أن يظهر نفسه طالما شعر أنها هي بالتحديد من تريده، ولا تستطيع الاستغناء عنه. لا يستطيع معرفه المكيدة التي تحاك حوله.

على هاتف زهره رقم مجهول أيضاً، وهى في مكتب والدها، وأمامه. نظرت لعيني والدها ففهم ماجد أنه عماد، فأشار لها بعينه أن تكلمي معه.

قالت بضعف وخنوع:

- الو...مين؟!

- ايوه يا زهره.

-عماد.. أخيراً.. كنت فين.

يرد عليها هو الأخر بكل خداع:

- ايوه يا حبيبة عماد، أسف ماكنتش بسأل عليكي كنت بره البلد ومشغول جداً، وعشان كنت خايف تبلغي عنى!

- انت بتقول إيه يا عماد ابلغ عن أبو ابنى! ده معقول بردو.

رد عليها باستغراب:

- هو ولد؟!

لم يكن ليهتم في الأساس.

- ادينى عرفتك اهو، ولو عايزني اهرب معاك على اي مكان معاك.

اخذ ماجد منها الهاتف بغضب، وقال بكل غيظ:

- إيه اللي بتقوليه ده، احنا عايزين نجيب رجليه، مش عايزينك انتي تبعدي. هنعيد الكاره تانى، ارحميني يا بنتى.

يغار عليها والدها بشده، وكذلك يخاف أن يفرط بها مرة أخرى على يد هذا المجنون.

* * * *

مسألة عميقه...

مرحلة الضغط...تتخلى نفسياً عن كل شيئاً وكأنك ستموت حتماً، وللأسف

يجب عليك أن تموت لتحيا إنها سنة كونيه. كثير منا لا يفهمها، ولا يدركها.

فوق المستوى المادي. تعمل من خلال الروح.. الروح فقط ...تثقل، وتهذب،

تتعلم، تسافر، تهبط وتصعد حتى يتلمسها كيانك. فإذا لمست كيانك ... صرت مشرقاً، مميزاً.. .إذا فلتتساقط عليك الهبات.

انتبه.. مرحلة السجن مطلوبة في هذا الصعود، فأنت تائه في الهروب، وروحك تحاول الإمساك بك. معها أنت مستقر. ستراقب عن كثب نفسك، تمر بالتمزق حتى تعرف معنى الكمال!

* * * *

مفاجأة..

لم يكن أحد يعلم عن صندوق الجدة شيء. اوشكت نور على السفر اتصل بها مصطفى وأبلغها أن تطيل المكوث عند والدها حالما يستقر الوضع هناك، وربما يعود هو أيضاً إلى مصر.

فرحت نور، وذهبت إلى جدتها وأبلغتها تلك الأخبار، وهما تجلسان في شرفة الجدة المليئة بالأزهار. تحب الجدة سقى الزهور، ويزهرن تلك الفتيات لديها أيضاً.

قالت نور باندهاش:

ـ نانا!! تعالى شوفي كده. وهى تريها رساله جديده على المتصفح.

تركت الجدة ما في يدها، واتجهت نحوها وقالت:

ـ إيه يا نور مالك؟! تنظر الجدة في المتصفح، وقد وجدت رساله من ضياء الدين.

لم تعتاد نور على تلك النظرة التي اعتلت روح جدتها من قبل.. فقد تهلل ووجهها كأنها ظلت تقضى حياتها في انتظار تلك الرسالة!

- نفتحها يا نانا؟

- طبعاً.

تحيط الرسالة ورودا وورودا تلك التي يرسلها لفتاته، وأن الزمن توقف حينما وجدها...يقول فيها:

(من زمان مضى.. كنت أنتِ.. واحتمال كبير أنه لا يوجد غيرك هناك. أنتِ فقط...من تربع بداخل هذا القلب، وربما حبس معه بتلك الأغلال.. من زمان مضى ظللت أبحث عنكِ...أطالع وجوه الناس باحثاً.. وظللت أبحث، وأبحث.. وأنتِ قابعه في حنايا الروح لا ترحلي، ولا يجوز لكِ الرحيل. ءأنتِ في انتظاري!! أنتِ... نور فؤادي.)

قد ظننت الحب يموت بالبعد، ولكنه بعد هذه الرسالة اكتشفت أن البعد يثقله ويقويه.. إذا كان صادقاً.

وكنت على اعتقاد أن العمر يضيع بدون الحبيب، ولكنه ينتظره إلى اخر ساعة فيه.

يا ليت حباً صادقاً ...يبهج القلب ويهدئ الروح، ويمنح الحنان، ولا شيء يهم بعد.

* * * *

الوجه الأخر...

مازالت آمال تتحرك بصعوبة بعد فتره طويله من العلاج، هي تستطيع أن تنزل الدرج وحدها الان، وكالعادة لا تكلم أحد ولا أحد يتكلم معها.

ربما أحبت الانتقام أو ربما تشعر بالخجل لما فعلته!

وربما تريد التعافي بشكل أسرع أنها تريد طبيباً من نوع أخر! الذى ينجيها من أحلك المواقف! مع الأسف يريد أموالاً أكثر!

(الأوغاد يلتفون حول وعاء واحد).

وتظل زهره كالزهرة تنشر شذاها الطيب حول الجميع مثلما كانت حبيبة والدها وصغيرته المدللة وهى تملى عليه أن يتماسك أعصابه إلى أن تنتهى هذه التمثيلية..

ـ بابا.. على أتفاقنا؛ عماد هيجى على الفيلا أوعى تضعف. بابا أرجوك.

أما ماجد فلن يهدأ له بال حتى يضع هذا الرجل في السجن.

يتنهد ويرد عليها في حنان، ويستسلم إلى طيبتها:

ـ زهره.. موافق. كل المقابلات هنا قدام عيني مفيش مكان تاني يقولك عليه ساعتها هقتلك باديا دول.

تربت زهره على يديه وتطبع قبلة وتقول وهى شارده:

ـ متخافش يا بابا.

يضغط على يديها، ويؤكد على كلامها:

ـ عارف انك تقدري تعملي كده والا ما كنتش وافقتك خالص.

وضع يده على كتفها وأخذها ناحية الطاوله وقال:

- يلا تعالى نتغدى. وربنا يعمل اللي فيه الخير.

جلسوا جميعهم على طاولة الطعام، وذهبت هي مسرعة تمسك يد والدتها وهى تنزل على السلم. لم يتكلمان على الاطلاق ... لكل منهما حديث داخلي. لا نعلم هل هي شكوى، أم اهانه، أم ندم.

* * * *

البطلة

ـ النهاردة هتفتح نانا صندوقها.

تقول نور لفرح وزهره وهما يجلسان على طاولة الطعام وهى تحك يداها ببعضها متحمسة، وتزداد لمعة عينيها، لم تعبئ زهره بما تقوله نور.. لا تدرى عنه شيء، لكن فرح قالت وهى تبتسم:

ـ نور هتتجنن خلاص، من واحنا صغيرين وهى بتسأل وعايزه تعرف إيه اللي في الصندوق ده؛ ربنا استجاب لها ونانا هتفتحه أخيراً.

تضحك الجدة ويضحك ماجد معهم. لكن آمال مازالت تمضغ بصعوبة.

تطعمها زهره على مهل وتمسح فمها بعد كل ملعقة، يتطلع ماجد إلى ابنته تلك وعلى رباطة جأشها... من ارادت قتلها هي من تساعدها على البقاء. تعلوها السكينة وكأن شيئاً لم يكن. إن حياتها التي عاشتها مع عماد هي كالسجن الذى غير ملامح الروح كما تغيرت نظرة العيون!

كل هذا الفكر قاطعه جرس هاتفه المحمول لينظر من يتصل.. أمسك الهاتف سريعاً وأفرغ فمه من الطعام ومسحه بمنديل وقام ليرد، وبهدوء لم يعهدوه قال:

ـ مدام شيرين.. أهلا أهلا.

وقد لاحظن جميعهن هذا التغيير!! قد ذهب إلى غرفة المكتب وأغلق الباب. تنظر إليه آمال بمنتهى الحسرة. وتذهب زهره بأمها إلى الأعلى حيث ترتاح.

بعد مده من الزمن خرج ماجد وهو في فرحه شديده، واتجه ناحية والدته

ووجد بناته الثلاثة عندها. جلس بجانب والدته، وقبل يدها، وقالت بعد أن ربتت على رأسه:

- ربنا يسعدك، ودايماً تزيد فرحتك كده.

- امي ... رؤوف جاي بالليل عندنا!

قاطعته فرح:

- بابا اعملك قهوه؟

- لاء تعالى مش دلوقت.. لما رؤوف يجى هشرب معاه.

انتبهت الجدة له وهو ينظر إلى ابنته فرح وقالت:

- هو في إيه يا ماجد؛ متوتر ليه؟ عايز تقول حاجه!

- ها .. اه ..صح يا أمى.. ناجى طلب أيد فرح. إيه رأيك؟

وقع الفنجان من يد فرح. لم تكن تعلم بأن ناجى يُكن لها كل هذا الحب وما زال؛ وبأن أمها أخبرتها أنه لا يحبها ولا والدته. إذن هو يحبها وكيف لا!

ضحكوا جميعاً، ومسحت نور القهوة التي وقعت على الأرض، وقامت زهره بمعانقة أُختها وقبلتها وقالت:

ـ أخيراً هنفرح بيكي يا حبيبتي. ألف مبروك.

قالت نور بهمس لجدتها:

- نانا كنتي تعرفي دي كمان؟! طب الصندوق بقى أخباره إيه، اكيد هنأجله؟ صح.

- كل شيء بأوانه المهم عندي تكونوا سعدا ومبسوطين.

* * * *

أحداث متتاليه...

شيرين وماجد.

ظل ماجد في كل مره يرى فيها شيرين يشكرها كل الشكر أنها كانت السبب في إيجاد زهره.

ـ اتفضلي حضرتك. انتي دلوقتي صاحبة مكان، ود أقل واجب والله، لولا تدخلك ما كنت هلاقي بنتي تاني، ولا كنت هشوف ابنها.

كم كان وجهه بشوشاً، وقد انبعثت روحه، يتكلم عن أحلامه كأنه مُراهق. أردفت ترد عليه:

- ربنا يبارك في عمرك، وتشوف أحفادهم يا رب. جلس على كرسى المكتب وهو مستريح، لم يعد كسابق عهده، وقالت له:

- محتاجين حضرتك في شغل مهم تانى يا أستاذ ماجد.. العملا عرفوا ان الشركه معاملتها ممتازه فحابين يتعاملو معاكم.

- بصى حضرتك انا بقيت فاضي للشغل، وتحت امرك فأي شيء تطلبيه. انتي تشاوري بس.

يقولها بكل حماس وصدق وكأن أغلالا قد انحلت عن رقبته.. يتابع كلامه:

- بالمناسبه ... تعرفي ناجى طبعا؟!

- ايوه طبعا. وهى تبتسم وترد في هدوء منتظره الخبر الذى يعقب تلك الفرحة.

- طلب ايد فرح هنحدد معاد الفرح قريب إن شاء الله. وحضرتك هتكوني من أول الحاضرين طبعاً. وبصراحه أحب بناتي يتعرفوا على شخصيه جميله، ومحترمه زى حضرتك.

- الف مبروك، واشكرك على المجامله دي. يشرفني اكيد.

- تنوري يا مدام شيرين...تنوري والله.

ثم قال بحماس أكثر حتى قالت معه في نفس الوقت:

ـ طب نشتغل بقى، وضحكا هما الاثنان.

تحمل كثيراً لكى يحافظ على تلك الأُسرة، والمفترض أن من تبنى معه قد خذلته. إنه من النوع الحساس من الداخل وأما الخارج صلب؛ لا تستطيع أن تمسك عليه نظرة حزن أو خذلان. لكن هذه المرأة تقرأه من الخارج كما الداخل وقد تصل إلى روحه التي لا يستطيع هو الوصول إليها. ومن النادر أن تجد شخصاً يعرفك أكثر من نفسك. قد أحبها بالفعل لكنه لم يكن ليقول ذلك. أو ليوضح شيئاً.

* * * *

فرح، فرح

نزل مصطفى أخيراً من السعودية لم يعد يعمل هناك، لأنه يعلم أن زوجته نور تريد أن تقضى حياتها مع أهلها بمصر. وأن روحها مرتبطة بهذا المكان، كل ما كان هناك أنه حاول إبعادها عن والدتها، وإعطائها مزيداً من الحرية. لكنه الان يعلم أنه لا توجد مشاكل بعدما حدث لوالدتها، فقد أخذ شقه قريبة من عائلته وعائلتها.

يتكلم ماجد مع مصطفى:

ـ إيه الاخبار يا حبيبي.. وهو يربت على كتفه، ويعطى له فنجان القهوة في الشرفة.

ويرد وهو يلتفت سريعاً لأخذ الفنجان من يد حماه قائلاً:

ـ تسلم ايدك يا عمى. كله تمام الحمد لله. الشقة جهزت ناقص حاجات بسيطة جداً؛ عاملها مفاجأة لنور. يعنى كام يوم كده وتشوفها بنفسها. يا رب تعجبها.

ـ هتعجبها ان شاء الله، عارف ذوقك حلو، وإلا ما كنتش أخدت نور، وهو يضحك. وعارف كمان إنك مسئول.

ـ أكيد الحاجه والدتك هتيجى الفرح. اوعى ما تجيش، وانا هأكد عليها بالتليفون.

ـ حاضر يا عمى اكيد كلنا هنحضر ربنا يتمم بخير.

ربت عليه ثانية وهو يقول:

ـ مصطفى والدتك على راسى من فوق، وانت ابنى اللي ما خلفتهوش ... ربتك وربت بناتي احسن تربيه.

ظل ماجد خلال هذين الاسبوعين يدعو كل من يعرف إلى حفل زفاف ابنته فرح. لم يجد أفضل من ناجى للزواج من ابنته. منذ صغره وهو يحبها على الرغم أن آمال عارضت على هذا الزواج من قبل، وقد فعلت الأفاعيل لتفرقهم عن بعضهما بأساليبها القذرة.

دمعت عيناه... لأنها ستسافر مع زوجها إلى تركيا، ولم يعد يعبأ بوجود آمال على الإطلاق حتى ذلك الحين.

طلت عليهم عروس الليلة فرح بفستان زفافها الأبيض كالبدر تمسك يد أبيها ليقدمها إلى زوجها في موسيقى رقيقه كما تبدو القاعة هادئة. قدم لها ناجى الزهور، وقبلها على جبينها... قد نال حبيبة قلبه أخيراً.

وآمال تجلس على الطاولة وحيده.

(قلب الإنسان يصُنع خارجه مهما حاول الاختفاء بين اقنعة كثيره).

* * * *

الطبيب اليتيم...

لم يعلم هذا الطبيب من قبل بذاك الألم في صدره، وكأنها نغزه بسكينً حاد، لا صنعت جُرحا، ولا يعلم لها علاج. ولأنه طبيب لم يعلم ما هذا. هرع إلى والده ضياء الدين وقال له وهو يترنح يميناً ويساراً، ويلتقط أنفاسه بصعوبة، يضع يده ممسكاً بقلبه:

ـ صدري تعبان بقالي اسبوع بعمل اشعات وفحوصات وكلها سليمه مفيهاش حاجه.

قال له والده مبتسماً، ويمد يده ليضمد الألم:

ـ قلبك وجعك ...عشان بيوصلك رساله.

نظر إليه علي بتعجب لأن رده فعله غير منطقيه. يقول وهو يجلس على الأرض أمام قدميه:

ـ بابا بتتكلم بجد، ولا دي تريقه، وهو يبتسم. نظر له والده وهو يتفحصه قد كبر وبدت عليه ملامح الرجولة يانعاً ومستقيماً يعلوه الوقار وزاد من حسنه أنه من رباه.

ـ تعالى أما ارقيك ... قرب. انت قلبك بيتفتح للحب!! ووضع يده على صدره

وها قد ارتاحت نبضات قلبه.

ذهب ضياء إلى غرفته وهو يبتسم، ولكنه يعلم ما إن فُتح قلب هذا الصبى، فهو بذلك قد أدى رسالته!!

* * * *

فارغ البيت بدون فرح...

تدخل زهره على والدتها لتطعمها وتهتم بنظافتها، لم يعد للبكاء مكاناٌ الان، إنها تعرف ما في قلب والدتها.. وتعلم حتى لو كانت تحترق لن تغير وجهة نظرها في الأشخاص حولها.

ترغب آمال في العودة إلى حالتها الأولى.. تتمنى لو تساعدها زهره. تضغط على يديها لكن زهره تتجنب النظر إلى عيني والدتها! لا تريدها أن تستجديها نظراتها بعد الان. وما أن حولت نظرها عنها حتى شعرت بنغزة في قلبها!! وظنت أنه سيتوقف. تعب شديد، ستسقط على الأرض، تماسكت نفسها وأسرعت إلى باب الغرفة، ونادت على نور بصوت خافت، وبالصدفة سمعتها نور وهى متجهه إلى المطبخ ... تركت ما في يدها وهرعت نحوها وهى تنادى باسمها، وقد سمع ذاك الصوت ماجد حتى هرع هو الأخر خارج غرفته ليرى ما يحدث حتى سبق نور إلى الأعلى وسند ابنته كادت أن تسقط من التعب. حملها على سريرها وهاتفت نور الطبيب.

ـ مفيش حاجه خالص عندها يا أستاذ ماجد. زي الفل والله. اطمن، ولو تحب نعمل أشعات وفحوصات عشان تطمن أكتر مفيش مانع... بس أنا شايف إنه ملهوش لازمه. كتبتلها على شويه مكملات، وهتقوم كويسه إن شاء الله.

شكر ماجد الطبيب، وأوصله إلى باب الفيلا. وذهب بعدها إلى غرفة ابنته.

قامت نور من مكانها ليجلس والدها بالقرب من أختها. يقترب منها ويقول لها:

- زهرة... حبيبتي هي ماما قالت حاجه تزعلك؟ إيه اللي جرى! طمنيني.

- لا يا بابا لا...مش عارفة انا حسيت بتعب جامد ما كنتش عارفه أخد نفسى، وقلبي وجعني اوى. بس دلوقتى خف والحمد لله انا كويسه. بابا؛ في حلم نسيت احكيلك عليه من قبل ما أسافر فرنسا.

فرد ماجد بفضول:

- قولي إيه الحلم ده!

- واحد شاب بيجي بعربيه وبيديني سبت فاكهه وكتاب كبير ويمشى. بس ملامح وشه مش باينه! والحلم التاني اننا رحنا الملاهي (وهى تبتسم) وهو...هو نفس الشخص بس هو بيفضل مستنيني، وبيروحني بعدها البيت.

رد ماجد على ابنته وهو يبتسم أيضاً:

ـ اهم حاجه جابلك بالونه وايس كريم!

ضحكا هما الاثنان، وقبل ماجد جبينها وقال:

- الدكتور طمنا بس انا عايز اعمل تحاليل واشعه احتياطي، انتي أغلى حد عندي ويهمني انك تكوني بخير، وكمان عشان نطمن على النونو.

يعلم ماجد ما تحتويه أحلام ابنته.

أما نور فقصت على جدتها ما حدث لزهرة، وطمأنتها عليها.

فقالت الجدة وهي شارده الذهن:

ـ جيه معاد فتح الصندوق!!

أخبرتهم ناريمان بوصول ضيوف من اسطنبول.

سأل ماجد:

ـ امي...مين الضيوف اللي جايين مع ناجى الأسبوع الجاي؟

ردت أمه بابتسامه هادئة وتنظر إليه:

ـ فاكر عمك ضياء؟

رد ماجد بسرعه واشتياق:

-ابن عمك يا امى!! والله ينور؛ ربنا يطول في عمره ويديله الصحة يا رب، هنحضرله اوضه اكيد.

شردت الجدة وهى تكمل فنجان قهوتها وتتذكر أياماً كانوا فيها صغاراً، وكيف مرت الحياة وكل منهما في بلد مختلف. يدور الزمان ويجتمع الأحبة.

مازال الحب مخفياً في ظلال القلب، في محراب مقدس.

عطر مميز!

في لحظات عابره خاصه تشم زهره عطراً رقيقاً في الصباح؛ تدور في الفيلا تبحث من أين يأتي العطر هذا! ربما يكون وحمّاً؟!او ربما رائحة ضيوف.....

إنها اليوم ستقابل عماد... يقول ماجد:

- النهاردة عماد هيجى الفيلا يقابلك. أتمنى ما يكونشٍ في قلبك ذرة حب له؛ لأنى هنهى كل حاجه النهاردة مفهوم.

- بابا لو سمحت انا عايزاه يطمن انى هرجعله تاني عشان ما يهربش.

يرد ماجد بعصبيه:

- هو انتى عايزه تقابليه مرتين ثلاثه كمان ... لا مش هقبل والنهاردة هنهي كل حاجه، يروح السجن ومش هيشوف ابنه تانى...فاهمه، وهكلم شكري وانتهى الموضوع.

أغلق الباب بعصبيه! وهى تعرف وجهه عندما يغضب.

جلست تفكر كيف تقنع والدها عن كيفية استرداد الأموال التي أخذها عماد، وتعيدها إلى والدها مرة أخرى. فهاتفت عماد:

- عماد ازيك، وبمنتهى الحنان والعطف يلعب على مناطق الضعف لديها لاحتوائها فهي ضحيته:

- بابا عنده شك اننا متفقين نهرب مع بعض. بلاش تيجي النهاردة.

يراقب ماجد كل شيء حول الفيلا بكاميرات المراقبة خوفاً من أن يتسلل عماد وتهرب معه مره ثانيه، ويسجل كل المكالمات بينها وبينه. وقد أمر زهره ألا تخرج من الفيلا إلا وهو شخصياً معها.

زهره تحضر مكيده لعماد وتظل تفكر وكأنها تستجيب لتلميحات القدر عما ستفعله في حياتها بعد ذلك، وأكثر ما تبحث عنه لماذا كانت أمها لتتخلص منها؟ وكيف ستكون حياتها مع الطفل القادم هل ستحبه! وتسرح في بحر الأفكار حتى تنظر لصورة شخص غريب ربما رأته من ضمن وابل الأحلام التي تغرق فيه كمركب نجاة، وفى أثناء ذلك يشتد العطر أكثر فأكثر.

ومازال ماجد يستمع أكثر فأكثر، ويراقب مهاتفات آمال العجيبة... تكلمت بصوت خافت ضعيف متقطع:

- شيخ منصور...أنا آمال. محتجالك ضروري. أنا عيانه جداً... عايزه أخف وأرجع أقف على رجلي من أول وجديد.

- هتدفعي كام؟

- انت عارف إني مش بتأخر عنك ... بس مش هقدر أجي لو تبعت حد من عندك يكون كويس.

- هساعدك بس لو الفلوس ماجتش انتي عارفه أنا ممكن أعمل إيه.

- زى بنتك واطمن مش هرفضلك طلب.

أغلقت الهاتف وأغلق ماجد كل دفاتره مع تلك المرأة سيطلقها قريباً، وسيبدأ معركته.

(شيطان متنكر في زي بشر).

الفصل الثالث

كل منا له معركته الخاصة.. يخوضها كيفما شاء.

على قدر معرفتك تحدث المعجزات.

جلس ماجد في غرفة المكتب يراجع دفاتر العمل والبنوك. إنه سوف يشترى قطعة ارض ليبني عليها تكمله لتوسيع المصنع. حينها سمع جرس هاتف آمال. فقام مسرعاً لإطفاء الأنوار، ولينظر ما الذى جعلها تفيق في هذا الوقت، وهذا الصقيع على الرغم من تعبها الشديد وكيف نزلت من على الدرج.

ظل يراقبها وظن أنها تريد أن تأكل شيئاً، ولكنها عبرت على المطبخ ومازالت تمشى، فظن أنها ستدخل على والدته، فتقدم خطوه نحوها لكنه توقف لم تفعل. ظلت تمشى إلى باب الفيلا وقامت بفتحه وهى تلتف بشال كبير. خرجت وأغلقت الباب خلفها. جرى ماجد لينظر إليها من خلف الباب تتلفت حولها خوفاً أن يراها أحد. الليل حالك والضوء خافت، وقد مدت يدها والتقطت شيئاً من الأرض وأدخلته تحت شالها وعادت للداخل ببطء شديد. وما أن رأته أمامها حتى شعرت بالذعر. فقال لها:

ـ كنتي بتعملي إيه بره ؟!مخبيه إيه، وطالعه في السقعه دي ليه مش خايفه على نفسك؟ وازاي قدرتي تنزلي لوحدك من على السلالم. انطقي مخبيه إيه.

انتفضت من صوته. وصمتت. حتى سمع والدته تنادى عليه، نسى كل ما كان ينويه تجاه آمال، ودخل الغرفة عند والدته ليطمئنها. صعدت آمال إلى غرفتها مسرعة، ولم يعلم ما ستفعله بعد.

اتصل ماجد بصديقه شكري ليعلمه أنه لم يعد يستقبل هاتف آمال، وقد ظن أن به عطلٌ أو ما شابه.

لم يعد يدخل هذه الغرفة منذ زمن، التي تدخلها زهره فقط. وما إن دخلت لا تستطيع المكوث فيها كثيراً سرعان ما تخرج قلبها ينتفض، وشامتها تحترق، فتسرع بالخروج. وكأنها ليس مسموح لها بالجلوس أكثر من ذلك!

نادى ماجد على ابنته:

ـ زهره.. تعالى لو سمحتي.

ذهبت إلى مكتب أبيها، ومعها فنجان القهوة الذى يطلبه في هذا الموعد بعد صلاة المغرب.

- اتفضل يا بابا. جلست وأردفت..

-هو في جديد؟

- أيوه في جديد. أمك مش بتستخدم التليفون بتاعها ليه؟ لا مكالمات ولا غيره؛ هي إيه الحكاية. انتى بتقعدي معاها كتير.

- هي فعلا مش بتستخدمه، من وقت ما تعبت ومحدش سأل عليها. عادى يعنى.

- لاء مش عادى. اسمعي، وهو يرتشف أخر نقطه في فنجان القهوة ويهم بالوقوف ليجلس أمامها ويستعير انتباهها... من قيمة كام يوم أمك نزلت لوحدها على السلم وسمعت رنة تليفونها الساعة واحده ونص بالليل! وفتحت الباب وخرجت بره في عز البرد، وأنا مراقبها، وخبت حاجه وطلعت وأنا زعقت فيها بس جدتك قلقت وهي مشيت. أنا عايز أعرف هي خبت إيه.

شردت زهره. لا تعرف فيما تفكر هل تعلم بالأمر ولم تخبر والدها، أم أنها ستكتشف لاحقاً! طمأنت والدها وقالت:

ـ ما تقلقش يا بابا. كل حاجه هتبقي تمام. تركته وذهبت إلى جدتها.

وظل ماجد ينظر إلى النافذة، بترقب الخطوة القادمة التي ستفاجئ آمال بها الجميع.

* * * *

شقة نور...

اليوم هو الأول التي ستخطو فيه نور إلى شقتها الجديدة بجانب أهلها وهى نتاج حب مصطفى لها، وهي سعيدة ترتدى ملابسها وتتحرك ذهاباً و إياباً في صخب العائلة، تدخل على جدتها:

- نانا... لسه ماخلصتيش لبس. زهره زهره انتي فين.

- أنا هنا أهو...عايزه إيه، وهى تضع يدها على رأسها من صوتها العالي واستعجالها.

- شوفي نانا لسه ما لبستش، وأنا هروح أستعجل بابا.. زهره افتحي الباب...

- مصطفى أهلا ... مراتك النهاردة مش معقوله!! اتفضل بابا في المكتب.

- ازيك يا زهره... عامله إيه وهو يضحك فَرِحاً كزوجته.. لسه عمى في المكتب أنا هروح أستعجله.

سمعت نور صوت زوجها وأسرعت على الدرج لكنها تذكرت.. أن تتحرك ببطيء لربما تكون (حامل). جرى ناحيتها وأحتضنها، ثم قالت في اذنه بصوت خافت:

ـ أنا كمان محضره لك مفاجأة!!

انتهت الجدة واستعدوا للذهاب ركبت السيارة مع ماجد وزهره، وسبقهما مصطفى ونور. ثم اتجهوا جميعاً إلى الشقة.

تفاجئت نور...الشقة مثلما كانت ترسمها في خيالها. جزء منها كغرفة الجدة... الطابق الارضي في عمارة فاخره تحيطها حديقة وباب خاص، وشجرة ياسمين صغيره، ونوافذ عاكسه للرؤية، ولون بنفسجي فاتح هادئ كما تمنته تماماً. اندهشت من رقة زوجها قد حقق لها ما كانت تحلم به حقاً.

ـ حبيبي يا مصطفى تعبت وعملت كل ده عشاني. ثم عانقته وأردفت حديثها: وكمان كرسي هزاز.

تنادى على جدتها

-نانا نانا بصي مصطفى جابلي إيه.. ضحكوا جميعهم. وقالت:

ـ مش كنتي بتخليني أقعد على الكرسي الهزاز بتاعك واحنا صغيرين.

ضحكت الجدة وقالت:

- إلا الكرسي والصندوق يا نور. فاهمه.. ربنا يهنيكي بجوزك وحياتك يا حبيبة قلبي. تعطى لها عناقناً، وقبله، ودعوه من القلب. أردفت تتحدث لمصطفى:

ـ يسلم ذوقك البيت جميل. ربنا يعوضك خير وتشوف اولادك ملبين عليكم البيت.

ـ ربنا يخليكي لينا يا نانا وميحرمناش منك أبداً. ثم قاطعته نور قائله:

ـ وبالمناسبه السعيده دي كان نفسى فرح تكون موجوده لكن لازم أعلن عن المفاجأة... مستعدين.

قالت زهره:

ـ نور خلصي شوقتينا.

نظرت نور إلى أبيها ثم إلى زوجها وقالت بسعادة:

- اتفضل يا مصطفى هديتك انت بقى. قربت منه صندوق وردى صغير وقالت له:

- افتحه.

لمعت عيناه، وهمّ سريعاً بفتحه، ثم أخرج قطعة ملابس صغيره بيضاء لطفل صغير، لم يردك الأمر لبرهه لكنه علم أنه سيكون أباً عما قريب. مشى ناحيتها وعانقها ودمعت عيناه ثم قال:

ـ ده بجد يا نور هبقي أب**!!**

أومأت برأسها أي نعم، ثم قام والدها وقبلها على جبينها وقال لها:

ـ ألف مبروك يا قلب بابا ألف مبروك، ثم استدار وضم مصطفى بين ذراعيه وقال: ـ هتبقي أحسن أب إن شاء الله.

هاتفت نور أختها فرح مكالمه مرئيه:

ـ حزري فزرى احنا فين دلوقتي... وهى تدير كاميرا الهاتف في أرجاء منزلها:

- الله.. مبروك يا قلبي ربنا يبارك لكم فيها؛ مصطفى بيحبك أوى عمل اللي كنتي عايزاه وأكتر.. إن شاء الله تبقى فتحه خير عليكوا.

ـ لسه في مفاجأة تانية بردو بس دي بقى هتشوفيها كمان كده سبع شهور من دلوقتي ولازم تكوني موجوده يا فرح... لازم.

ـ أيوه طبعا زهره مهمه عندي لازم أجي اكيد يا نور..

ـ هبقي أنا وزهره مهمين عندك يا فرح ...وانا كمان حامل..

قالت بصوت عالي:

ـ نور انتي بتهزري!! أنا مبسوطة أوى ألف مليون مبروك يا حبيبتي.

ذهبت زهره إلى الشرفة، تضع يدها على بطنها اعتذاراً لها ولولدها، وقد دمعت عينها وأسرعت لها جدتها لتلحق ما تبقى من الصبر والتحمل ولتضمد حالة الضياع تلك بلمسه حانيه ودعوة غاليه قائلة:

ـ زهره حبيبتي كفاية تفكير تعالى معايه أختك حضرت السفرة ناكل لقمه ونروح.

التفتت إليها وهى شاحبة الوجه:

ـ يلا يا نانا.

وقت الاستيعاب صعب يجب عليك التحمل... ولا شيئاً غير الصبر.

مازال الألم في قلبها للمرة الرابعة أو الخامسة!! ولكن هذه المرة أرادت أن تعلم مصدره.

* * * *

انتكاسه

يجهز ضياء الدين نفسه استعداداً للسفر إلى مصر لزيارة ابنة عمه، وحبه الحقيقي، وأيضاً لأمر مهمٍ أخر.. ويجب على ابنه علي أن يكون معه ويرافقه.

ينادى ضياء على ابنه علي، ولم يرد.. حتى ذهب الى غرفته، فوجده مستلقياً فحركه.. فلم يستجيب حتى اندهش من فعله .فإنتظر برهه.. ونادى عليه بصوت هادئ... لكى يستيقظ برغم أنه ليس نائماً... إنه بين النوم و اليقظة ، أو من تركته روحه...

مسح على وجهه حتى افاق وأخذ شهيقاً طويلاً كأنه نجى من الغرق.

ـ الحمد لله ... يا ابنى خضتني عليك.

مازال علي تحت الصدمة. يأخذ أنفاسه بصعوبة، ودقات قلبه سريعة جداً. ثم انتبه ورفع رأسه لأعلى بتعب و استفاق قائلا..

- النوبه.. النوبه بتاعة قلبي جات تاني بس المرة دي جاتلي معاها واحده ست. معرفهاش ولا عمرى شفتها. بصت على شويه، ومشيت. أنا شفتها زي منا شايفك كده. وبتقولي انت مين..

- ماتخفش يا ابنى انت باين عليك عامل زيي بتشوف خيالات. وقام وهو يبتسم. قوم يلا حضرتلك الفطار وعشان تجهز شنتطك.

يظل يفكر ويفكر...ما هذا الذى يحدث.

كانت تستعد زهره للنوم وفجأة أصبحت مضطربة، وقلقه. أكان حلماً أم حقيقه؟ هل كان بشراً حقاً أم شبحاً؟ تساؤلات كثيره تدور في عقلها هي الأخرى.

قامت من سريرها وذهبت للاطمئنان على والدتها، تطرق الباب وتدخل كعادتها. والدتها تتحرك ببطيء شديد. لكن الان وجدتها تقف أمام المرآة متألقة ترتدى ثوباً أنيقاً، وعطراً فواحاً! وتستطيع الكلام بكل سهوله.

فُتح فمها بصدمه من رؤية والدتها وصحتها التي قامت من يوم وليله بكل هذا النشاط وكأنها لم تكن مريضه منذ أمس. اندهشت لبرهه من الوقت ثم انتبهت وقالت:

- ماما انتي بتتحركي؟!

اجابتها امال كعادتها..

- طبعاً... كنتوا فاكرني هموت (وهى تبتسم بتهكم) هفضل عيانه على طول وأشوف نظرة الشفقة في عيونكم. لازم أقف على رجلي من جديد وهتشوفوا آمال هتعمل إيه.

في وقت قصير تماثلت للشفاء. فقالت زهره:

ـ سبحان الله؛ الصراحه أنا مبسوطه لكن مصدومة في نفس الوقت. بس الحمد لله إنك قمتي بالسلامة.

وبعد ذلك ذهبت للنوم.

حضر وقت الغداء، وتجمع أفراد المنزل على طاولة الطعام حتى سمع ماجد وقع خطوات آمال، وهو يتناول الطعام بهدوء حتى توقف وأنزل الملعقة وانتبه كيف تنزل على الدرج وتضاربت الأفكار في رأسه، ومازال في دهشه حتى وصلت وأخذت كرسي وجلست بجانبه. إن الجميع في دهشه! لم يستطع أحد التكلم معها. نظرت إلى ماجد وقالت:

ـ مش هتقولي حمد لله على سلامتك، ولا ما كنتش فاكر انى هخف؟

أحضرت لها زهره طبقاً من الطعام، وأكلت وذهبت لعمل فنجان من الشاي وصعدت إلى غرفتها.

يسود البيت حاله من الفوضى الهادئة، كأنما بركان على وشك الانفجار.

ترك ماجد المنزل وذهب لمقابلة أخوه في النادي، وأخذ يتحدث إليه في أمر آمال؟

- رجعت زي القرد يا رؤوف. أنا مش فاهم ازاي، وهترجع أيامها السوده تانى، وصوتها العالي. والله كنا مستريحين والدنيا هاديه. أنا خايف على زهره، وفى نفس الوقت عايز أعرف ازاي رجعت كده خفت من يوم وليله ولا كانت بتمثل علينا، والاغرب انها مش بتكلم حد في تليفونها.

- روق بالك انت مش هتعرف تفكر في حاجه طول ما أنت متوتر، لازم نعرف إيه الخطوه اللي جايه واللي ناويه تعمله ونكون مستعدين.

يضرب بيده على الطاولة ويقول:

ـ خطوه جايه؛ هي دي تعرف عنها حاجه ولا دي بشر زينا، دي شيطان مش عارف سكوتها ده معناه إيه.

عايز ادخل افتش في اوضتها اشوف مخبيه تليفون تانى مثلاً، ما اعتقدش دي بخيله هو رقم واحد وتليفون واحد.

- حاول تراقب اوضتها طالما قاعده فيها طول النهار.

- دي حتى مابتفتحش الشباك تدخل شوية هوا، بقت غريبه جداً، مراقبة إيه هو انا فاضي بقى اسيب الشغل واقعد لها. لا حول ولا قوة الا بالله. خليك معايه بقى في القصه. انا حاسس ان الشيخ ده له يد في القصة دي.

* * * *

في المطار

مضى أسبوعاً، استعد كلاً من ضياء الدين وولده للسفر إلى مصر، سيرى حبيبته بعد غيابٍ طويل. يحمل معه تلك الذكريات التي كان يسجلها وقت حضورها، ووقت ذهابها. وتواريخ الأيام، وأصناف الطعام، وأسماء الزهور، وبعضاً من عطر المسك الذى كانت تحبه، وكلمة حب أراد أن تعرفها. وذلك كان ما سيقدمه لها وقت زواجهما، وتصبح عروسه؛ كلاً منهما يعرف ماذا يريد الأخر، وماذا سيقول. إنه حب من نوع عميق، وقرب فريد.

وكانت ناريمان تحتفظ بتلك الورود في كتابها أيضاً. لم يضيعا شيئاً. كل تلك السنوات ذكريات غاليه. مثلما فعل فعلت. تحمل زهرة اليوم وتضعها في كتابها، وتضعه في صندوقها ... وكأنما المفتاح قد ضاع. وكلما تحن لذكرياتها تجلس بغرفتها، وتضيئ شمعه، وتقلب الصفحات دوما تشم رائحة العطر من بين السطور حتى اهترأت الأوراق. وكم من مره قرأتها؟

لم تنتهى القصة بعد.. يجب البحث عن الأميرة التي سترتدى التاج. لتحمل عبئ تلك الذكريات بحلوها ومرها. لكن ناريمان أرادت أن تورث الحسنات أكثر.

تستعد ناريمان لاستقبال ضيفاها الغاليين وبدا كل البيت مستعداً لهما؛ الغرفة الكبيرة فوق غرفة الجدة مباشرة تشرف على ترتيبها بنفسها، ومعها زهره وخادمتين استأجرتهما للتنظيف. وفى النهاية تضع اللمسات الأخيرة ورود وعود البخور.

هي في الحقيقة تستعد لتسليم الإرث أو... يوم التتويج. الأمر أعمق مما يبدو عليه. وكل هذا الاستعداد ليس إلا احتفالً بالبحث عن الوريث.

والمدهش في الأمر أن كلاً من ناريمان وضياء كانا يعرفان أنهما سيلتقيان حتماً لكن الوقت لم يعلمان به إلا منذ اسبوعين فقط. وباجتماعهما يكملان مسيرة حتميه وجِدوا لأجلها.

كلاٌ منا له رساله علمها أو لم يعلمها، والاختبار هنا هل ...أديتها؟ أم لا. مهما بلغ الإنسان من عمرٍ فإن له رساله يجب أن يعلمها. الوحيد الذى يستطيع أن يشتتك عنها هي ...نفسك! هذبها جيداً. وأعلم أن الألم من أكبر معلميك على الإطلاق. وكلنا بشر نصيب ونخطئ، والمستفيد الوحيد من أخطائه هو نحن.

وأخيراً فُتحت الغرفة مره أخرى. الجميع بالفيلا مُرحبا بحضورهما...

الرسالة تفرض نفسها؛ أينما تأتى ...تأتى في موكب مهيب.

تقول نور وهى ترتب الازهار في الغرفة:

ـ يا نانا كل ما نيجي نفتح الصندوق يحصل حاجه جديده، هو الصندوق ده صندوق الدنيا يعنى.

تضحك الجدة وتقول لها:

ـ اصبري كل ما تتأخر الحاجه اعرفي إنها هتحصل بأحسن ما احنا استعجلناها. كل شيء بأوانه.

قلب نقى صُنع كما يصُنع الألماس بالثقل، تلقت تعليماً ليس كتعليم الأرض كما تلقينا، بل معايشة ومحاكاة واستمراريه ورسوب ونجاح حتى تتحقق من سبب وجودك.

موعد الحصاد

مكتب ماجد..

تقول نهله:

ـ مستر ماجد. مدام شيرين برا.

قام ماجد واقفا يعدل بذلته ويشد ربطه عنقه:

ـ طبعا تتفضل.

أهلا أهلا... اتفضلي حضرتك. وهو يشير بيده لها بأن تستريح بجانب المكتب ويقدم لها بعض الحلوى.

ـ بعتذر إني جيت من غير معاد لكن أنا عندي مشكله وياريت اللاقي حلها عندك.

تتكلم بهدوء على الرغم من شدة الموقف. يرد عليها بهدوء مقابل لمحاولة احتواء الموقف مهما حدث. فهو لن ينسى جميلها.

- يا مدام شيرين انتي تأمري.

- أحمد مش متواجد حالياً، لكنه قالي إن حضرتك هتقوم بالمهمه على أكمل وجه.

- خير إن شاء الله!

- عندي بضاعه ولازم تخرج للتصدير. كميتها كبيره وخسارتها جامده. لو حضرتك ينفع تخرجها باسمك هيكون كويس جداً. أنا عارفه إنها مخاطره كبيره؛ لكن والله البضاعه ممتازه، حد معاندني، وكلها هتروح بعد ما تعبنا فيها وصرفنا عليها كتير. وحضرتك عارف إن في التزامات لازم تتعمل.

- أنا كنت قلقان جداً، فكرت الموضوع هيبقي أكبر من كده... سهله إن شاء الله. واعتبري يا ستي أنهم خرجوا ووصلوا وفلوسك رجعت لأخر مليم.

- مش عارفه أشكر حضرتك ازاي، ولو مفيهاش مضايقه لحضرتك ممكن تاخد الربع كشراكه يعنى!!

يرد عليها وهو ينهض من على كرسيه بعصبيه:

- مدام شيرين أنا مش صغير، حضرتك لجئتيلي بعد ربنا، وعارفه أنا وضعي إيه، وفلوس حضرتك هتوصل كلها عندك بالعقود والاتفاقيات.

- مع أسفى بس مش عارفه أشكر حضرتك ازاي.

- مفيش أسف ما بينا وكفاية إن حضرتك كنتي سبب في رجوع أحب شخص ليا. وجيه الوقت إنى أقف جنبك زي ما وقفتي جنبي. ...صح ولا إيه. وهو يبتسم لها ويميل برأسه ناحية كتفه وينظر في عينيها ثم شرد قليلاً.

صمت ماجد لبرهه، وأصبح متردد قليلاً ليسألها بعض الأسئلة، ولكنه يشعر بالإحراج، حتى طرقت نهله الباب، وأحضرت القهوة، وساد جواً من الصمت. فقالت:

- أستاذ ماجد في حاجه حابب تقولها؟

انتبه إلى كلامها، ونظر مرة أخرى إلى عينيها...كأنه يقول في نفسه كيف عرفت أنني أريد اخبرها شيئاً!! ثم استرد قائلاً:

- اه... في حاجه كنت عايز أسأل عنها بما إنك واحده ست يعنى.

ارتبكت، وضحكت ثم وضعت فنجان القهوة جانباً ...والتفتت وأعارت انتباهها له.

- اتفضل.. كان إيه سؤالك؟

- هي حاجه خاصه بيا شويه. هو موضوع شاغلنى كده، وغريب. بعد الانتكاسه اللى حصلت لزوجتى فجأه قامت تانى وأحسن من الأول أنا مش عارف ازاي، وده موضوع موترني جداً.. أسف إني بحكي حاجه خارج إطار الشغل بس أنا مش فاهم.

أدركت شيرين الموقف. وقالت له.:

ـ أستاذ ماجد... كل شيء بيتعرف بمرور الوقت المهم الواحد يكون صبور، ويدى لنفسه فرصه يفهم الأحداث اللي بتمر عليه بهدوء عشان يقدر يتصرف التصرف الصح. وأنا سعيدة إن حضرتك مستريح في الكلام معايه وده شيء أنا بقدره، وسعيدة أكتر عارف ليه!!

يرد عليها مندهشاً:

- ليه؟؟

- زهره كلمتني من يومين تقريباً.

- زهره بنتي كلمت حضرتك!!

- حبت تشرب معايه شاي وأنا وافقت، والأهم إنها محترمه وجميله وعايزه تعمل بيزنس لوحدها! أنا سعيدة بيها أوى فكرتني بشبابي.

- حضرتك لسه شباب يا مدام شيرين.

ابتسمت ابتسامه خفيفة بإحراج ووقفت تستعد للرحيل..

- أستأذن أنا بقى، و بردو مش عارفه أشكر حضرتك ازاي.

- بصراحه يا شيرين هانم أنا اللي مش عارف أشكرك ازاي. من ساعة ما قابلتك رغم كل المشاكل ربنا بيبعت الحل على أيدك.

- أفهم من كده إن وشى حلو عليك. دي حاجه تسعدني والله وأتمنى لك التوفيق.

وكأن قلبه يقول لا تتركها تذهب أخبرها بأنك تحبها. وفجأة وبدون مقدمات، وبصوت جهوري وكأنه نسى شيئاً وتذكره قال:

ـ اه مدام شيرين أنا مستريح فعلا لوجودك!

سمعت تلك الكلمات وأسرعت إلى الخارج وقلبها يخفق بقوه تهتز لها أوتار العقل. خرجت بدون إلقاء التحية. ابتسم ابتسامه كبيره وتنهد وجلس مرتاحاً على كرسي خلف المكتب.

مرة أخرى

استعادت آمال نشاطها مرة أخرى لتكمل أعمالها المعطلة، وتعود إلى مواقع التواصل بأعمال جديده، ودعاية إعلاميه جباره. يتابع أخبارها ماجد وقد استعادت شبابها مره أخرى، ويتعجب كيف حدث هذا!! تخرج باكراً وتعود وكأنها لا تعبئ بهم، لا تجلس معهم ولا تتحاور. يوجد الان ما هو أهم. ذهبت إلى غرفتها مسرعة.

وعندما دخلت آمال اشتموا رائحه كريهة على الرغم من رائحة البرفان الهائلة، وقد بدأ ماجد بالشك أكثر حتى أوصى زهره بالدخول على والدتها من حين لأخر ربما تعثر على دليل لما تفعله أو تكتشف خطتها القادمة.

وجود شخص بمثل تلك الحالة في محيطك كفيل أن يدمرك حرفياً إلا أذا كنت حريصاً جداً على حياتك وحياة الأخرين. إنه يستهلك طاقة المنزل بأكملها. سواء كنت محارباً أو مستسلماً هناك استهلاك كبير. أعتقد أن في معظم البيوت أشخاصٌ كهؤلاء.

دخلت زهره على والدتها بعد أن طرقت الباب قائله:

ـ ازيك يا ماما... كنت حبه أتكلم معاكي شويه.

ـ تتكلمي شويه.. فإيه بقى! ما خلاص محدش بقى يعملي اعتبار في البيت ده، ما بقيتش أصعب على حد دلوقتى، ولا بقيت أتعبكوا معايه . زهره عايزه أنام أخرجى.

- حاضر... عموماً لو عايزه تنضفي الأوضه قوليلي على طول في واحده بتيجى تساعدني هي أمينه ونضيفه.

- أنا هبقي أنضفها ما تتعبيش نفسك. خليكي في حالك وبس.

- إحنا جاي لنا ضيوف من تركيا قرايب نانا ونضفنا الفيلا ما عدا اوضتك. هي ليه ريحتها وحشه كده.

لم ترد آمال أن تتحدث بأى شيئ يجعل مخططها القادم معلوماً. تكمن المفاجأة في السرية التامة.

-طيب... طيب. وهى تدفعها نحو الباب تحاول إخراجها. لكن زهره رأت شيئاً عجيباً مكتوبا على الحائط خلف الستائر، وما أن رأته حتى اقشعر بدنها، وحاولت إكمال الحديث معها فقالت وهى تدفع الباب:

- ماما...عايزاكي في موضوع.. ممكن!

- يوه يا زهره عايزه إيه تاني. لم تبالى زهره بأن والدتها بدأ ينفذ صبرها... كل ما أرادت معرفته هو؛ لماذا تغيرت بهذه السرعة؟ يكمن بعض الدهاء داخلها وشيئاٍ من الفضول. فتقدمت خطوه، ونظرت عن قرب... قبل أن تلتفت لها آمال. شيئاً مكتوبً على الحائط! ولماذا تكتب على الحائط؟ ثم قالت ببالها سأراقب الغرفة حتماً.

- على العموم لما تبقى فايقة يا ماما نتكلم أنا حسيت إنك النهاردة مرهقه شويه.

- أيوه برافو عليكى أمشى بقى.

خرجت زهره وهى تفكر فيما رأته، وما سبب تلك الرائحة.

ذهبت إلى النوم متأخراً وهى تمر على غرفة والدتها... سمعت طرقاً قوياً على باب غرفة آمال!! فانتفضت، وتسارعت دقات قلبها وهى تقول:

-بسم الله الرحمن الرحيم. هو في إيه.

وقد طرقت الباب، ودخلت تنادى أمها فوجدتها نائمه. وأسرعت بيدها تضيئ الغرفة!! حتى رأت ظلاً أسود يجلس بجانب والدتها. ولكن والدتها لم تكن تشعر بشيء.

صرخت زهره ووقعت مغشياً عليها سمع ماجد صوت صراخ ابنته فهرع مسرعاً إليها فوجدها ملقاة أمام باب آمال والباب مغلق بإحكام وكأن شيئاً لم يكن.

هي فقط ملقاة. حملها ووضعها على سريرها، وأخذ يوقظها حتى نهضت وهى مرعوبة نظرت في عيني والدها، وعانقته بشده وهى ترتجف من الخوف.

- بابا...الحمد لله إنك هنا.

قام ماجد ليهدئها وليعلم ما حدث:

- أهدى يا حبيبتي ... بابا هنا؛ في إيه...إيه اللي حصل؟

- دخلت أوضة ماما أطمن عليها... واا...

لم تتذكر شيئاً بعد.

- وبعدين مش عارفه بس أنا خفت أوى وحسيت أنى اتجمدت في مكاني!

- اشربي يا حبيبتي الميه دي، وأنا هقعد معاكي لحد الصبح.

- ياريت يا بابا يكون أحسن.

لم يذق ماجد طعم النوم، والأفكار تتزاحم في عقله. لماذا كل هذه الأفعال؟ إلى أين ستذهب بنا؟ يريد أن يقص كل ما حدث لوالدته، فهو يعلم أنها تعرف أشياء كثيره لكنها الان مشكلته الخاصة ويجب أن يحلها بنفسه. هذا أيضاً اختبار.

(كل منا له دور قد اختاره... يجب عليه إنجازه!)

تنتاب زهره بعض الكوابيس، وقد أصرت على معرفة ما يحدث في تلك الغرفة، لكن مع الأسف وضعت آمال قفلاً على الباب.

احتارت زهره ولكن لو انتبهت إلى تلك الرؤى جيداً لعلمت أن فيها من الرسائل ما يهدئ فضولها. فقبل أن تدخل في نوم عميق تبدأ الحكايات في التدافع إلى عقلها.

بعض منها قد قصته جدتها عليها يوماً ما عندما كانت صغيره. فالجدة تعلم ما ستكون عليه حفيدتها المختارة.

ترى الحائط أمامها وتستطيع أيضا ترجمة الكتابة عليه وتلك الرموز.

تحكى زهره لأبيها تقريباً كل شيء. يستطيع ماجد دمج الأحداث، ويجمع اللحظات، وتكون حبكة القصة مذهله.

تحكى أيضاً لصديقتها شيرين بعضاً من تلك الأحداث ...

مثل زهره يعتبرون في عالمنا هذا خياليين وحساسين لدرجه كبيره؛ لكن الحقيقة أنهم على طبيعتهم الحقيقية ببراءة البراعة. ولذلك هم دائما متخفيين!!

- طنت شيرين.. ازاي حضرتك؟

ـ أهلا يا زهره ازيك انتي.

ليس لشيرين غير عملها في تحقيق النجاح فهو ما تركه لها زوجها فقط وغالباً تجلس في فيلتها بمفردها.

تقول زهره في خجل:

- أسفه أنى بعطل حضرتك، عارفه إنك مشغولة وكده يعنى. لكن بصراحه أحب أقرب من حضرتك أكتر!

- متقوليش كده يا زهره. أتصلى بيا في الوقت اللي تحبيه طبعاً، وهتلاقينى موجوده كمان.

- يا خبر انا غاليه عند حضرتك أوى كده! وهى تضحك بخجل.

- أيوه طبعاً. أنتي عارفه إني لوحدي، وبستني تكلميني يا هانم استريحتي بقى. تتحدث معها وكأنها ابنتها.

- حقيقي يا طنت والله استريحت لحضرتك جداً، وعشان كده أحب أقابل حضرتك إن كنتي فاضيه.

- طيب يا حبيبتي يبقى يوم الجمعة في النادي لو تحبى.

- جميل الساعة اتنين يكون أحسن بردو.

تبقى ثلاثة أيام على وصول الضيوف. هي تهتم بكل التفاصيل، وعلى الرغم من إغلاق آمال للغرفة بإحكام إلا أن الرائحة مازالت عالقة في الممر بالطابق العلوي.

قصت زهره على شيرين ما الذى تفعله مع أمها!

* * * *

مساعدة شيرين

أخبرت شيرين ماجد بكل ما قصته زهره عليها. فقال لها بشفقة على ابنته:

- أنا حاسس بيها لكن لازم أتصرف بكل قوتي وأحافظ عليها. الموضوع بالنسبه لها متعب أمها وعدوتها في نفس الوقت.

- أستاذ ماجد أنا عارفه إن الموضوع صعب بس أنا عندي حل ممكن ينفع.

- اه طبعا اتفضلي. والله ما كنت عايز أوجع راسك لكن زهره قامت بالواجب وزياده. ضحكت وقالت:

- زهره زي بنتي، والمهم إنها لجئتلي مش لحد تاني. ابن عمتي يعرف حد بيعالج بالرقيه لو تحب تكلمه وتستفسر، وتشوف لو يقدر يحل المشكله...على الرغم إني ضد الحاجات دي لكن عاطف بيحكي عنه حاجات كويسه، وإنه بيعالج لوجه الله. بدون مقابل.

-أنا واثق فالله ثم فحضرتك، وعارف إنه مش هيجي إلا الخير من ناحيتك. وأحب إنه يجي البيت يكون أفضل.

- اتفضل ده رقمه، اتصل بيه واحكيله.

- متشكر أوى يا مدام شيرين.

- مفيش شكر ما بينا، وزهره زي ما قلت دي بنتي. نظرت في عينيه تطمئنه وكأنها تقول أنا لا أزال بجانبك لا تقلق وانتبه هو لنبرة صوتها ولنظرتها، وقال:

ـ إذا كان كده يبقى إن شاء الله كل حاجه هتكون تمام.

وبالفعل. هاتفه ماجد وهو جالس معها في المكتب بذلك الرجل، وحددا موعداً للزيارة في الفيلا.

* * * *

البيت...

إنه رجلٌ كهل قوى البنية ذا صوت جهوري. وجهه بشوش استقبله ماجد، ورحب به، وأجلسه في منتصف الفيلا. إنه قليل الكلام يبحث عن أشياء تلمس روحه في هذا المكان.

يفعل هذا الرجل بعض الأفعال الغريبة التي لا نفهمها ولا ندركها، لكنها ذات جدوى حقاً (انتبه ... ليس كل المعالجين صالحين، ويعرض الله عليك الطالح لتعلم الصالح)

عندما حضرت زهره قام واقفاً لها على الرغم من أنها صغيرة السن. لكنه رأى أكثر مما نراه نحن في العادة، وعلم ما لا تعرفه هي عن نفسها. حتى والدها أبدى استعجابه مما فعله.

بعض الأشخاص يتوجب عليك احترامها والوقوف لأجلها قد منّ الله عليهم بنعمة الحكم، ربما مررت بأحد منهم يوماً ما، وقد فرض عليك احترامه**!!**

قال لها:

ـ إزيك يا أستاذه زهره. والمدهش أنه لم يخبره أحداً باسمها.

ابتسمت زهره، وتعاملت مع الموقف كأنها تعرفه. وقالت:

ـ أهلا بحضرتك. تفضل. وقدمت له القهوة.

ساد الصمت برهة ... مازال يدور بعينه في المكان، وهو يتناول كوب الماء أمامه.

قال لها:

ـ أنا عايزك تركزي معايه وتقوليلي شفتي إيه على الحيطه.

نظرت لوالدها وكأنها تسأله كيف علم بهذا! لكن ماجد استدرك الأمر وأشار بيده أي تحدثي هيا.

لقد قصت عليه كل ما حدث حتى تذكرت ما قد نسيته عندما رأت ذاك الشيء الأسود. وكأنما وجوده ينمى الحدس وينعشت الذاكرة...

قال لها:

- لسه في حاجه ما قلتيهاش.

- لا قلت كله.

أعاد السؤال مرة أخرى ... فرد ماجد:

ـ زهره الحلم إياه!! فاكراه...

اجُهشت بالبكاء كما لو كانت منتظره هذا الرجل بالتحديد كي تفصح عن كل تلك الدموع. (نوعٌ من أنواع العلاج يخرج الطاقات السلبية).

حتى الأم أحياناً تخالف الفطرة!

بدأ الشيخ عبد الصمد بقراءة بعض الآيات القرآنية للتحصين ليس إلا، وبدأ البيت يحُدِث جلبته. ويظهر عما يواريه الظلام والسكون. كلما قرأ كلما لاحظ ماجد الأشياء الصغيرة تُحدث طقطقات كفنجان القهوة أمامه.. أو النجفة الكريستال التي تهتز فوقهم، وهو مندهش جداً لكنه ثابت ويعلم أن هناك شيئاً ما سيئ في هذه القصة... حتى صرخت زهره وأغشى عليها فوق الكرسي. هرع والدها نحوها، وسمعت جدتها صوتها وهرعت هي الأخرى لتعلم ماذا يحدث، ورأتها هكذا فضمتها إلى حضنها.

وبعد مدة من القراءة أفاقت زهره وهى تضع يدها على شامتها وهى سوداء كأنها تحترق، وثمة يد مطبوعة على وجهها وكأن أحداً ما قد قام بصفعها بقوة.

ومن هنا يبدأ الحلم في التحقق أخيراً، ومن هذه اللحظة بدأ كل شيء يتضح...

يقول الشيخ:

ـ أستاذ ماجد.. في شخص موجود في البيت معاكوا وغالباً هي المدام حضرتك؛ لأنها اتسببت في فتح بوابه للشياطين من غير ما تعرف، ولما عرفت إنها متراقبه حبت تتعامل مع الموقف بسريه تامة، وفى راجل دجال هي بتتعامل معاه من زمان جداً وغالباً هو السبب في النكد اللي انتوا عايشين فيه، وعايز يخليكوا كلكم رهن إشارته ويستفيد من طاقتكم.. لكن من اللي أنا شايفه إن طاقتكم عاليه جداً، وانتوا انتصرتم عليه. الوحيده اللي كان بيقدر يستعملها هي والدة زهره ...نفسها ضعيفة وشهواتها غالبه عليها.

الكتابه على الحيطه دى شغل دجالين، بيحصل... بكتابه أمنياتها على الحيطه أو ورق كبير غامق بنجاسه أو دم! ود سبب الريحه الوحشه اللى بتشموها في البيت .و بمعنى أصح الشياطين اللي بتعرف تقرأه وتحسسها إنها كده بتحقق أمانيها كلها وهى طبعاً مضحوك عليها. على الرغم إن في بعض الأمنيات اتحققت بالفعل...

تالت وأهم حاجه إنها أخدت ازازه منه فيها سائل بتشربه، وده اللي مخليها قامت على طول في وقت قياسي... مش ده اللي كنت عايز تعرفه!! المشروب بيرجعها شباب وبتكون جذابه جداً وده اللي حصل لكنه بيدمر الجسم بالكامل لو زودت منه. وهتحتاج علاج مكثف لأن الجسم بيعتبره أكل مخالف مش بتاع البشر أصلاً.

أُصيب ماجد بالدهشة مما قاله ذلك الرجل، ومما تفعله آمال، ولكن وجب عليه التحرك الان ليوقف كل شخص عند حده.

أردف الشيخ وهو يشير إلى زهره قائلاً:

ـ بالنسبه للأستاذة زهره المطلوب إنها ما تقربش من الأوضه دي مره تانية لحد ما الأوضه تتطهر، وإن المدام تتعالج. مد يده لماجد بورق مكتوب عليه العلاج والرقية التي ستستعملها كلاً منهما على حده. انهى الشيخ كلامه ... ثم أسرع ماجد

بالصعود إلى غرفه آمال وفتحها بالقوة، وقد خرجت من الغرفة رائحه كريهة. فتح النوافذ فوراً وهو ينحى الستائر، وقد وجد المكتوب وهو ما قال عنه الشيخ ...

(أريد العودة إلى شبابي، التعافي إلى الأبد، وأصبح مشهوره. في مقابل دم زهره!!!) مكتوبة ولكن ليست هي من كتب ذاك الكلام هو مكتوب من ناحية الساحر كأنه يؤكد عليها إن فعلتي ما أطلبه أعطيتك ما تريدين.

كأن شياطين المنزل قد أصابت ماجد بالجنون ومكث يقلب في الغرفة عن هذه الزجاجة حتى وجدها. حملها معه... بل أيضاً أخفاها عنها لينظر كيف ستجدها وكيف سترد عليه حين يتهمها بأنها كانت السبب في كل هذا التعب. ينادى ماجد بصوت الغضب على الشيخ عبد الصمد وهو يتجه نحو الدرج:

ـ تعالى يا أستاذ اتفضل هنا لو سمحت.

صعدوا جميعاً، ورأو بأن ما قاله عبد الصمد حقيقي إلا شيئاً واحد لم يقل عليه خوفاً على مشاعر زهره. قال ماجد وهو يشير إلى الكلام المكتوب:

ـاتفضل... وهو يشير إلى الكلام المكتوب على الحائط؛ أنا عايز أعرف هي عايزه إيه من زهره، من ساعة ما حملت فيها وهى عايزه تموتها.

وظل يضرب كفا بكف مستهجناً ما تفعله تلك المرأة!

هو الان يريد أن يتخلص منها وإلى الأبد. أردف الشيخ:

- أنا عايز أقطع الحوار ده، نمسحها بميه وخل، ونجهز أستاذه زهره لحاجه أكبر. فقال ماجد:

- نمسحها حاضر. وقد قام بمسحها كلها بيديه.

جلس ماجد على السرير في حالة يأس شديده. لم يكن ليتوقع كل ما حدث.

انتهى اليوم، وذهب عبد الصمد، وساد البيت صدمه وسكون. ولكن لم ينتهى الأمر بعد.

غرفة آمال

عويل يُسمع من تلك الغرفة، كأن بها مأتم!

أصبحت محرمة على العالم الأخر بأن يدخلها، حتى آمال نفسها!

وصلت آمال إلى الفيلا تتثاقل خطواتها وجسدها يتمزق من التعب. ظنت أنها مرهقة، وكعادتها لم تسلم على أحد، وصعدت الدرج وتفاجأت بباب الغرفة مكسور!! فنادت على زهره بأعلى صوت. كان ماجد ينتظرها في الطابق الأول لأنه يعلم أنها بالتأكيد لن تصمت وستصاب بالجنون، وعندما انتهت من الصراخ... قال:

ـ أنا هنا تحت منك لو عايزه حاجه، قلقانه ليه أوى كده ضاع منك حاجه؟!! بمنتهى الهدوء والخبث يتكلم

تعلم حديثه وتلك النبرة...تنزل الدرج مسرعة وتصرخ في وجهه، وهى تجز على أسنانها غيظاً:

- انت اللي كسرت الباب صح. رد عليها، ومازال هادئاً:

- أيوه.. أنا بردو بسألك عايزه حاجه؟

شدت شعرها بيديها وصرخت:

- مين قالك تفتح الأوضه. ليه؟

- انتي ناسيه انها أوضتي أنا كمان ومحتاج أنام فيها معاكي بدل المكتب ده. قالها وهو يصرخ في وجهها. تعالى بقى ندخل الأوضه سوا. وهو يجتذبها من معصمها يجرها خلفه، وقال لها:

- اتفضلى أقعدي، وقذفها على السرير، وما إن اعتدلت حتى مدت يدها تحت الوسادة تتفقد الزجاجة فلم تجدها، جن جنونها أكثر، فقامت تمسك بقميصه، وقالت:

- أخدت إيه من هنا؟ أخدت إيه؟؟

- وانتي مضايقه ليه كده يعنى، وأمسك بيديها وقذفها ثانية على السرير

- هو اللي بتدوري عليه غالى كده؟

- اه...اه، غالى جداً ده علاج من بره. وهى تمسح دموعها التي امتلئت بكحل عينيها الكاذب وصار وجهها أسودا كليلتها هذه.

- اه... هو ده بقى اللي خففك وخلاكي ترجعي شباب تانى؟

- اه عرفت هو مهم ازاي! اديهوني بقى. هو انت اللي أخدته. عرفاك طول عمرك وأنت شايفنى قليله، عايز تخليني في البيت زي الخدامة.

- سيبك من الكلام ده كله... عايزه تقتلي زهره ليه؟ ها ليه؟؟ هو يصرخ فيها ويحركها يميناً ويساراً ممسكاً بشعرها حتى دخلت زهره، وهى تدفع الباب حرصاً على ألا يتأذى أي منهما.

- بابا، ماما اهدوا شويه أرجوكم المواضيع ما بتتحلش كده. وبعدين احنا جاي عندنا ضيوف بكره مش معقول البيت يكون بالشكل ده. انتبهت آمال وسكتت ليس لأنها استمعت لكلام ابنتها بل لتدبر شيئاً ما. تركها ماجد فجرت ناحية الحائط

ووقفت ساكنه مرعوبة تبكى.

أخذ ماجد ابنته وخرجا من الغرفة، وأدخلها غرفتها وجلس أمامها على السرير...وقال وهو يشير إليها:

ـ هنام هنا النهاردة وكل يوم لما نشوف الحكاية دي هتخلص ازاي.

ومضى الليل الأسود إلى الصباح.

استيقظت زهره تحضر الطعام لجدتها وهى مارة على غرفة والدتها وتسمع همهمة وعويل. ترددت في فتح الباب حتى وجدت والدها خلفها يحذرها:

- اوعى تفتحي الباب. من هنا ورايح أنا اللي هبقي موجود معاها، روحي يلا افطري انتي وماما وهو يشير بوجهه أن اذهبي.

* * * *

في غرفة الجدة...

نزلت زهره الى جدتها لتطمئن عليها. فوجدتها قد أعدت الإفطار، والغرفة على أكمل وجه قالت زهره:

- نانا إيه الجمال ده. كل حاجه جميله، بس ليه تعبتي نفسك أنا كنت هعمل كل حاجه.

- يا زهره أنا النهاردة فرحانه أوى والله، وعلى الرغم من المشاكل اللي حاصله إلا إني شايفه إنها بتتحل الحمد لله. أنا خايفه عليكي وعلى حملك. ربنا يتم ولادتك على خير.

- يا رب يا نانا. بس أنا بخير والله، وكويسه جداً ونمت كويس كمان اطمني واستريحي وأنا هكمل الباقي.

الساعة الثانية ظهراً ماجد سوف يذهب إلى المطار وزهره معه لاستقبال ابن عم والدته، لم يدع ماجد أياً من هذه الأحداث تؤثر على والدته، فقد جلس في مكتبه، وشرب قهوته، وقد تبدلت مشاعره عن الأمس. وها هو يذهب إلى أمه ليسعد معها بضيوفها الأعزاء جداً، وغالباً هما الاثنان ما تبقى من العائلة. لم يكن ليعترض على شيء تريده أمه أبداً.

دخل عليها وهو يمسح كفيه ببعضهما متحمساً لهذا الحضور فقال:

ـ صباح الخيرات يا أجمل أم في الدنيا، وأحلى ناس جايين النهاردة. واللي هو أنا والبت دي نروح نستقبلهم عشان خاطرك يا جميله انتي وهو ينخفض لتقبيل يديها فتطعمه من طعام الإفطار قضمه لتفتح شهيته وليأكل معهما ليستعيد نشاطه.

الفطرة الحقيقية للأمومة... أحياناً يصيبها خلل، ونقص.

من بعيد وفي ممر الخروج في المطار يلمح السيد ضياء الدين لافته مكتوب عليها اسمه باللغتين التركية، والعربية. وما أن رأها وقد دبت فيه الروح. كان قلقاً أن يكون كل ما يحدث كحلم مثلاً أو أن تعترض ناريمان على تلك المقابلة، أو أي شيئاً أخر لكنه لم يحدث شيء سوى أن الأمور تسير بسهوله، واطمئنان.

قد وصلا أخيراً وسلما على بعضهما البعض، وقاما بالتعرف كلاً من ابنه علي وزهره.

ركبوا السيارة إلى الفيلا مباشرة.. فقال علي:

- أظن إن ده مش الفندق اللي احنا حاجزين فيه يا أستاذ ماجد! رد عليه ماجد وهو ينظر الى السيد ضياء ويبتسم:

- سيد ضياء والدتي في انتظاركم بالتأكيد فمش هينفع إني أرجع من غير حضرتك أبداً. أمي مش هتسامحني، فضحك علي وزهره ثم سبقهم وأخذ معه الحقائب فاعترض علي قائلاً:

ـ أستاذ ماجد طب نخلي الشنط في العربيه عشان نوصل على الفندق بعدين
- فندق مين ده أنتم هتشرفونا في الفيلا، وكل العيله هتتجمع النهاردة عشان ترحب بيكوا. والدتي مجهزه جناح خاص لكم، وبعدين ازاي فندق والفيلا الكبيره دي موجوده. هات الشنط يا حبيبي يا علي، وتعالى. زهره عامله غدا مصري احتفالاً بوجودكم النهاردة.

ينظر علي إلى زهره كلما تكلم أبيها عنها، وهى تشتد خجلاً.

ولتبدأ سيدة القصر باستقبالهم...

فتحت ناريمان باب الفيلا لاستقبال الذكرى الجميلة الأخيرة... المناسبة الغريبة والنادرة التي عادت إليها بعد أكثر من أربعين عام. لم تكن متوقعه أن يحدث هذا اللقاء مرة أخرى، مثله تماما. ولنعلم أن يد القدر هي الأعلى دايماً.

أصر ضياء الدين أن يحضر باقة من الورود، يعلم أنها تحب الزهور وليتأكد من أنه مازال بقلبها كما هو. وأخيراً وقعت عيناه عليها، وقد تسمر في مكانه، وصمت كل شيء وكأنه يحتضنها بعينيه، وظل يناظرها حتى دمعت عيناه. ثم تحرك ببطيء، ومد يده بالورود، وبصوت هادئ تمادى الزمن في إسكاته

ـ اتفضلي أنا عارف إنك بتحبي الورد.

وبالطبع أخذت الورود واحتضنتها حتى اندهش ماجد من تصرفها كأنها في عقدها العشرين. ولأول مره يرى والدته في ثوب مختلف من حياتها كأنها كانت غريبه وها قد وصلت وطنها. لم تدرى ناريمان بأحد بعده أخذته من يده وأدخلته غرفتها وجلسا يتحدثان حتى الغداء، لم تعبئ بوجود هذا الشاب حقاً، حتى قامت زهره بضحكة عالية أثارت فضول علي. وقالت له:

ـ ممكن تطلع معايه اوريك أوضة النوم وكمان تطلع الشنط لفوق. فأشار ماجد:

ـ تعالى أعرفك المكان، كان ماجد مسرور بتلك الزيارة جداً.

قال علي بعد أن وضع الحقائب بالغرفة:

ـ عمى ماجد المفروض ما كنتش طلعت الشنط إلا لما ابى ضياء يقول.

رد ماجد عليه وهو يرتب على كتفه:

ـ هنا لما أمي تقول حاجه ننفذها على طول بدون نقاش، وأعتقد إن عمى ضياء مش هيكون عنده أدنى اعتراض، أديك شفت الاتنين ولا أكنهم يعرفونا. صح؟ ابتسم علي لما قاله ماجد، وشعر ببعض الخجل.

أكمل ماجد كلامه:

المهم لو عايز تستريح من السفر شويه لغاية الغدا ما يجهز ماشي اتفضل، ولو عايز تتفرج على الفيلا ونشرب شاي ونساعد زهره يكون جميل.

ـ أكيد نساعد مدام زهره، ونشرب شاي... وهو يتبعها بنظراته أينما تحركت.

على ما أظن أن تلك الزيارة ستخفف من حدة الموقف، والوحدة التي تشعر بها زهره الان. لا أم ولا أخوات حالياً تغرق في وحدتها لولا والدها. ظلت زهره تراقب جدتها وهى تزدهر شيئاً فشيئاً، تقوم بتحضير الأطباق وهى التي أشرفت على تجهيز المائدة وتوزيع الطعام. لكنها لا تعلم ماضي كلاً من الجد والجدة. هل يعقل أن يحبان بعضهما. قاطعت الجدة شرودها وقالت:

- زهره .. زهره هاتي طبقك يا حبيبتي. فأخذ علي طبقها، وقال:

- بعد إذنك الطبق. فانتبهت.. ونظرت له في عينيه، وأعطت له طبقها، وشردت ثانية وتسائلت أيعقل أنى قد قابلت هذا الرجل من قبل، أربما قابلته في فرنسا مثلاً.. ومازالت تتذكر.. حتى قال:

- اتفضلي. وهى تنظر إليه بشرود. حتى تنحنح فانتبهت.. فقال ماجد:

- زهره حبيبتي انتي تعبانه ولا إيه كلى يلا وهو يقدم بيديه الطعام لعمه ضياء

- اتفضل يا عمى اتفضل.

ابتسم علي لزهره وهو يعطيها طبق طعامها. وقال في نفسه أين رأيت تلك السيدة من قبل.

وظلت أسئلة تدور على طاولة الطعام ليس لها إجابات...

فرغوا من الغداء، وعرضت الجدة أن يشربوا القهوة في الشرفة الكبيرة حيث الحديقة في منظر مبهج. ومن ثم حضر رؤوف وزوجته، وانضموا إليهم

ونور وزوجها أيضاً في جو هادئ جميل يتسامرون. حتى سمعوا صراخاً يأتي من الداخل فدخلوا جميعا مضطربين. هرع ماجد إلى الطابق العلوي ليعلم ماذا يحدث مع آمال.

فزعت زهره جداً وارتبكت ووقع فنجان الشاي من يدها وظلت ترتجف. ما كان يحدث لها كل هذه الأشياء وهى حُبلى يجب أن تنعم ببعض الراحة. قامت مسرعة... فتوقفت ووضعت يدها على بطنها وتأوهت بصوت مكتوم، وانتبه لها علي فقال لها:

ـ مالك... حاسه بإيه؟!

فقالت في تعب:

ـ لا مفيش. حاجه بسيطه شوية إرهاق وهيروحوا، هشوف ماما.

فيرد عليها باندهاش:

- ماما؟! هي دي ماما اللي صرخت!

- أيوه... وهى تمشى بهدوء وإرهاق.

- طب أنا جاي معاكي. ممكن؟

- مش لازم احنا نازلين تاني، هي تعبانه شويه.

- أنا عايز أكشف عليها، وأعرف حالتها! ممكن أشوفها.

صمتت برهه، ونظرت إليه ... ثم قالت:

ـ أنا خايفه نكون بنزعجك كده انت ضيفنا. لكن اتفضل معايه. صعدا درجات السلم سوياً، واستأذنت والدها:

ـ بابا... دكتور علي عايز يطمن على ماما.

رد ماجد بصعوبة، وهو يحاول تهدئة آمال:

ـ خليه يتفضل.

دخلا الغرفة. ثم نظر إليها الطبيب. فوجد على وجهها وذراعيها كدمات سوداء، وحاول أخذ عينة دم لعمل التحاليل اللازمة. وهى تقول لزوجها:

- ادیني ازازة الدوا يا ماجد الله يخليك. انت كده بتموتني!!

- يا آمال أنا كده بحافظ عليكي، اصبري هتبقي كويسه. وهى تصرخ بأعلى صوت، وتشد شعرها بيديها، وكأنها أدمنت تلك الأشياء، أو أن شيطاناً تلبسها. حتى أعطاها الطبيب حقنه مهدئه نامت على إثرها.

جلس ماجد بجانبها حتى هدأت. لم يكن ليتركها، قد يهون عليه سنوات من عمرهما مرا بها سوياً ولم يرد أن يرتكب في حقها شيئاً سيئاً، حتى رأوا دمعة من عينيه تجاه ما حدث لها.

نظر علي إلى ماجد وتأثر هو أيضاً، وقال:

ـ متخافش يا عمى إن شاء الله هتكون كويسه. أنا عايز أروح معمل تحاليل قريب من هنا. فقاطعه ماجد:

ـ أنا جاي معاك طبعاً.

قال ماجد لأخوه:

- حبيبي شويه وراجع. البيت بيتك.

يقول والده علي في دهشه:

- طمني إيه اللي حصلها طيب.

- أنا مش هتأخر راجعلك على طول.

استأذن علي من والده، وهو ينحني ويكلمه بصوت منخفض، وهو يضع يده على ظهره ليطمأنه:

ـ هروح مشوار صغير مع عمى ماجد . عايزني أجيب لك حاجه وأنا راجع؟

أخبرت ناريمان ضياء بما يحدث منذ فتره. وقد تفهم الوضع جيداً، هو أيضاً جاء ليقدم رسالته!

في خلال ساعه ظهرت نتيجة التحاليل. فقال علي:

- لازم نجيب الأدويه فوراً. في صيدليه قريبه من هنا؟

- طب طمني النتيجه إيه؟ وجد ماجد أن وجهه تغير وهو يبحث عن صيدليه قريبه منهما ليحضر الدواء بسرعه رد عليه وهو مرتبك:

- اطمن يا عمى هتاخد الدوا وهتكون كويسه وهتعرف كل حاجه لكن لازم تاخد جرعة الدوا دي بسرعه.

وصلا المنزل أخيراً. نظر كلاً من رؤوف وماجد إلى بعضهما ثم أومأ بكتفيه أن... لا أعلم ماذا يحدث. ثم صعد إليها.

وأعطى علي الحقنه لآمال أخيراً، وتنفس الصعداء. يقول ماجد وهما يجلسان بجانبها على السرير:

- إيه يا ابنى هو انت مش هتقولي التحاليل فيها إيه؟ يميل علي ناحية ماجد ويقول:

- ممكن لما نكون لوحدنا يا عمى.

- طبعاً طبعاً يكون أحسن.

- هي دلوقتى حالتها مستقره، ممكن نسيبها ترتاح شويه.

* * * *

صدمات أم بدايات؟

ليلاً بعد يوم مزدحم بالأحداث دخلا ماجد وعلي إلى غرفة المكتب. وأغلق ماجد الباب بإحكام، وأشار لعلي بالجلوس. وجلس أمامه فقال:

- إيه يا دكتور الحكاية؟ اتفضل..

- أستاذ ماجد... المدام مصابه بمرض خطير، ومعدى. الأصح إنها تتحجز في مصحه، أو دار رعايه خاصه تيجى البيت. لكن مدام زهره حامل مش هينفع الحل ده. أنا شايف وجود مدام زهره معاها شيء في منتهى الخطوره عليها وعلى الجنين.

تجهم وجه ماجد، وشرد وأصبح يتحدث مع نفسه:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. يعنى البنت هتلاقيها منين ولا منين. ربنا يستر.

لم يفهم علي ما تمتم به ماجد ...فاسترد قائلاً:

- أستاذ ماجد تحبني أعمل إجراءات الحجز بكره الصبح فوراً، ولا نجيب حد البيت هنا.

- بكره الصبح! هى خطر للدرجه دي لما ما نقدرش نستني يوم كمان.

شعر أنه قصر في رعايته لها وهو في حيرة أن يفرط بها بسهوله أم يتخلى عنها لأجل ابنته؟

- ايوه.. خطر. لازم حجر صحى عشان نلحق نبتدي علاج لو في علاج، وتكون تحت رعاية أطباء متخصصين.

لملم ماجد مشاعره المتبعثرة وقال:

- مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه، ربنا جابك في الوقت المناسب. أنا همنع زهره من الدخول عندها.

- أنا جاى مع حضرتك يا عمى.

صعدا ثانية، وقال الدكتور علي لزهره:

ـ مدام زهره... من فضلك أنا عايزك تغيري كل هدومك وتستعملي الغسول ده عليهم وتغسلي بيه جسمك كله، والبسي هدوم جديده. وبعد إذنك لما تخلصي ممكن نتكلم شويه.

نظرت إلى أبيها فأشار لها برأسه أن افعلي كما يقول، قامت من مكانها ببطيء شديد وهى تسند حملها وقالت:

ـ بابا انتوا قلقانين كده ليه؟

رتب على كتفها وقال وهو يأخذ شهيقاً:

- أبداً يا حبيبتي دي إجراءات الدكتور عايز يعملها بس عشان الحمل مش أكتر. يلا روحى اسمعي الكلام، ولما تخلصي تعالى عالمكتب إحنا مستنيينك.

- حاضر حاضر.

ذهبت زهره، والتفت علي إلى ماجد، وقال:

- تحب حضرتك أكلم المستشفى.

- أكيد طبعاً. وهو يقول في عقله: هي قالت: هتقتلها يعنى هتقتلها. ثم أردف بصوت عالي، وهما ينزلان إلى المكتب:

- أنا مش هاممني في الموضوع ده كله غير زهره يا دكتور زهره وبس قوم بالإجراءات دلوقتي حالاً.

وفعلا هاتف المشفى، وقام بعمل الحجر الطبي.

جاءت زهره وفعلت كما قال. قام علي من مكانه ليستقبلها وقال:

- مدام زهره... إحنا عايزيين نروح المستشفى نعمل شوية فحوصات ممكن، وكمان ياريت زوج حضرتك.

نظرت لوالدها ولم تعرف ماذا تقول. رد ماجد على الفور:

- أنا هاجى معاكوا، وبالنسبه لزوجها هو مش متواجد حالياً.

- طيب تمام تحبى نروح دلوقتى؟

قالت بصوت منخفض ومنهك..

- الوقت متأخر!!

اردف قائلا لها بحنان..

- أنا عارف طبعاً لكن عايز أعمل الفحوصات بأقصى سرعه.

- تمام نروح زي ما بابا قال.

كان كلاً من الجد والجدة في غرفتيهما وكانت تغمرهما السعادة على الرغم من كل تلك الأحداث. انهما يسعيان على إبقاء الرسالة. لا شعور بالتوتر ولا الخنوع لمقتضيات الحياه ولا الانشغال بتلك الترهات. هما يعلمان ماذا سيفعلان. أظن أن ما مر من هذا الوقت للتعليم أصبحا لا يهتز لهما جفن. الأيام كفيلة لتعلمك الكثير وأنت لا تدرى.

قام علي بحجز غرفة رعاية خاصه لآمال، وأوصى بعمل تحاليل خاصه بزهره ووالدها أيضاً.

- ها يا ابنى زهره كويسه؟

- الحمد لله يا عمى . أنا هجيب لها شويه الأدويه وتمشى عليها بانتظام، عشان الحمل، وهى مجهده جداً، وباين على وشها.

مدام زهره ممنوع أي مجهود الفتره دي، واحنا تقلنا عليكم ، ومن بكره هنروح الأوتيل وأكيد هنيجي نزور نانا بردو وهو يبتسم.

انزعج ماجد بشده وقال:

ـ والله ما يحصل انتوا نورتونا ومش عارف من غيرك كنت هعمل إيه. وطول الوقت اللي انتوا هنا فيه يبقى البيت بيتكم، وأنا اللي بتأسف إن الظروف ماكنتش أفضل من كده ونرحب بيكوا أكتر. دي حاجه بسيطه أقدمهالك يا علي انت زي ابنى وبكره تتعرف على اخواتك ناجى ومصطفى ، واعتبر نفسك من هنا ورايح شخص من العيله.

ابتسم علي، ونظر إلى زهره، وقال:

ـ ده شرف كبير ليا يا عمى والله، وأنا مع حضرتك في أي شيء تطلبه.

ودلوقت نروح البيت عشان نجهز و ننقل المريضة للحجر، أنا كلمتهم وهيجوا بكره الصبح. أردف ماجد:

ـ زي ما ربنا رايد يكون نتوكل على الله.

دخلوا الفيلا ودخل ماجد للاطمئنان على أمه، وصعدت زهره للاطمئنان على أمها هي الأخرى... حتى لحق بها علي وقال:

ـ مدام زهره من فضلك بلاش دخول هنا تانى.

ـ ليه يا دكتور هو في إيه؟!

فقال متردداً:

- بصراحه أنا ماكنتش عايز أقول لكن والدتك في حاله خطيره ووجودك معاها خطر على الجنين.

- خطر إيه وهى تدفعه عن الباب... أنا لازم أكون مع ماما!!

- مدام زهره والدتك عندها مرض معدى وخطير وأنا خايف عليكوا.

أصيبت بالذعر، وشعرت بدوار... وهو يقول لها:

ـ والدتك مصابه بالجزام.

سمعت هذا الكلام ولم تدرى ماذا تفعل. جلست على الأرض بجانب باب الغرفة وشرعت في البكاء. ولم ندرى أتبكى على حالة والدتها أم ابنها أم على نفسها!!

المصائب تتداعى في وقت واحد. لكن...مع وجود كل تلك الصعاب تجد معك من يجيد التجديف ناحية السلام.

سمع ماجد صوت ابنته فصعد مسرعاً إليها، وسمع علي يقول:

- مدام زهره قومي معايه تدخلي أوضتك تستريحي. حتى جاء ماجد وعلم من علي أنها علمت بالأمر فأدخلاها إلى غرفتها، وهى تقول:

- هي ماما تعبانه لدرجة إننا ممنوعين ندخل عندها!

رد ماجد وهو يغطيها بالغطاء:

ـ أيوه وهتروح المستشفى بكره للحجر. هتكون كويسه هناك.

كان علي يحضر حقنه

ـ اسمح لي أديها الحقنه... بعد إذنك يا عمى.

التفتت بوجهها حتى رأى شامتها الحمراء... وكأنه تيبس بمكانه. حتى أردف ماجد قائلاً:

ـ إيه يا دكتور علي هي زهره كويسه؟

رد عليه مسرعاً:

ـ أأأيوه يا عمى دي حقنه فيها فيتامينات مش أكتر وعايزها تستريح على قدر ما تقدر.

ذهبت آمال إلى المستشفى في الصباح، وأصبحت الغرفة خاليه حتى جاءت شركة نظافة تابعه للمستشفى خاصه بتطهير الغرفة وتعقيمها.

ولكن علي قال لماجد أنها قد تناولت دواء ربما تكون نسبة السمية به كبيره. وقد تذكر ماجد زجاجة الدواء فذهب إلى المكتب وأعطاها لعلي وقال:

- هو ده الدوا اللي كانت بتاخده ممكن نحلله ونشوف، هل اللي لاقيته في جسمها زي اللي في الازازه دي؟

- ممكن أخد عينه وأحللها وأقول لحضرتك.

وبعد ساعتين من التوتر جاء لماجد وأخبره:

- أيوه يا عمى نفس المركب ! التحاليل متطابقة تماماً زي بعض، المفروض نبلغ الشرطة إنها أخدت الدوا ده من مين؟

- طيب تمام قبل ما أبلغ الشرطة عايز أكلم حد ضروري، أكلم الأستاذ عبد الصمد.

أخذ ماجد يطلب الرقم ورد عليه الأستاذ عبد الصمد

وكان يريد منه معرفة مكان هذا الدجال الذى أعطى ذاك الدواء لزوجته. وبالفعل عرف الشيخ مراده، وأعطاه ما سأل. لكنه تفاجئ بأنه يعلم بمكان وجوده، وتسائل في نفسه كيف عرف ما كنت سأسأل عنه.

شكره ماجد، وهاتف اللواء أحمد شكري وحكى له كل شيء. وأُصدر أمر بالقبض عليه.

لم يكن ماجد ليرتاح إلا حين تصبح بناته في أمان. وقام أحمد شكري بالقبض على هذا الدجال، وهو الان على ذمة التحقيق.

* * * *

تتوالى الاحداث...

جاءا نور ومصطفى ليجلسا مع جديهما، في جلسه عائليه لطيفه. أخبرت زهره عن كل ما حدث امس بعد أن ذهبا إلى بيتهما. وكم المساعدة التي ساعدها الدكتور علي لوالدتها. قالت نور:

- هي محجوزة دلوقتى في المستشفى؟

- أيوه وممنوع عنا أنا وانتي الزيارة عشان الحمل.

- لا حول ولا قوة إلا بالله. مخلتناش نقعد معاها وهى كويسه، واتمنعنا عنها وهى تعبانه.

نور ذات شخصيه قويه هي التي كانت تعاند وتصر على رإيها، وبالطبع أستطيع القول أنها شبه ناجيه من تأنيب الضمير أو أن تحن لوالدتها في يوم من الأيام. كانت تحسم الأمر بسرعه.

ولا نعلم ما الذى ينتظر آمال تلك. مشت في طريق مظلم ولم تسمح لأحد أن يرشدها، ولا تعلمت من والدتها التي ربما توفت على يد هذا الرجل أيضاً. كما قلت أن تلك الأحداث تكرر نفسها، وأن المشاعر تورث!!! فأنظر ماذا ورثت عن عائلتك لربما كانت لعنات وأنت لا تدرى.

تلك الزهرة التي يريدون قتلها لا تتناسب مع مخططاتهم، تعرقل مسيرة الظلام، وتهدم قصور الطواغيط، وترسم أينما حلت بركه، ونور، وفرح

هذه الروح ومن على شاكِلتها مرغوبون... تهدر دمائهم، وتسحق عظامهم وترش فوق مقابربرهم العطشى للدمار، أما الدماء... فهذا إكسير الشباب لديهم. كيف يعيشون هؤلاء الشياطين بدون تلك الأرواح البريئة؟ كيف؟؟

تلك الأجساد مدللة. كالملائكة أحياناً، تحسبها نابعه من النور أو ممزوج ببعض اللؤلؤ على بعض من الألماس، ليغدو بمثل هذا الثقل، وبمثل هذا اللمعان ومثل هذا الجمال. ببساطه هؤلاء الأشخاص مهما فعلت بهم إنهم في حمإيه كونيه عظيمه.

إنها هِبات يا سيدى! هِبات. أرواح متوسمه بأوسمة الصمود مسلحة بقوة الإيمان موصولة بالسماء أينما حلت زادات وقادت وأنارت.

دخل ماجد وسلم على الجميع، وقال:

- أستأذنكم ساعه أروح أطمن على آمال. رد الجد:

- طبعاً يا ابنى، اتفضل. يرد علي مسرعاً وهو يقوم من مقامه:

- عمى أنا جاى معاك.

- ليه يا ابنى انت عملت اللي تقدر عليه. خليك معاهم.

- اسمح لي أجي مع حضرتك. عايز أكون معاك أفضل.

ـ طيب إذا كنت مصمم تعالى. أكيد هكون سعيد وانت معايه.

وعند الزيارة يرتدون أقنعه وبذلات واقيه وتعقيم قبل الدخول عليها. تقول الممرضة:

ـ هي تحت تاثير المهدئ حالياً، الأفضل إن الكلام يكون قليل.

يردد ماجد في نفسه وهو في طريقه لدخوله الغرفه... ليه عملتي كده في نفسك وفينا يا بنت الحلال دمرتينا معاكي. أنا حتى مش قادر أساعدك. ثم دمعت عيناه مجدداً... ولهذا جاء علي، من أجل هذه اللحظة. نظرت إليه وهى تمد يدها لتمسك بيده..

ـ أنا عايزه أروح البيت. وعيناها تدمع.

يرد عليها زوجها...وعينيه مليئة بالدموع وبالخيبة:

ـ انتي عارفه أنا عملت إيه... جبت الراجل اللي اداكي السم ده، وهسجنه.

الرائد سليمان جاي دلوقتي احكي له كل حاجه. فاهمه... قولي إنه اداكى دوا غلط عشان يموتك.

ردت عليه قائله:

ـ هو كمان قال لي لازم أموت اللي في بطني لما كنت حامل في زهره! عشان لو كبرت هتموتني أنا وهو!

اعتدل ماجد وقال:

ـ وانتى صدقتيه يا آمال، وأنا كنت فين مش تقولي لي أو تسأليني ما كانش ده كله حصل، وأنا متاخرتش عنك في حاجه!

قطع الحوار صوت الضابط وهو يقول:

ـ صباح الخير أستاذ ماجد، أهلا مدام آمال، هناخد أقوالك ونمشى على طول.

انتهت مدة الزيارة.

عاد علي مع ماجد، ومن الجيد أنه ذهب معه. ماجد مصدوم لما حدث حتى أن علي هو الذى قام بقيادة السيارة إلى المنزل.

دخلا الفيلا وبدت على وجه ماجد ملامح اليأس والإرهاق والحزن، وأعاد أمام عينيه ذكريات قاتمه قد مزقت قلوباً، وأضاعت أملاً كان مرغماً على الهروب دائماً. لا يعلم ماذا يفعل زوجته تأمرت مع دجال لقتل ابنته!!

يوجد قصة أخرى لم تنتهى بعد!

(الروح الضعيفة تستعملها الشياطين).

هدنة مؤقته

لم تنتبه ناريمان لشيء سوى وجود ضياء الدين بجانبها. أو أنها تعلم ما يحدث ولم ترد أن تشغل بالها إلا به. لا تريد أن تضيعه مرة ثانيه من يدها.

قد شردت في حكاياته حينما كان يحكى بهدوء:

ـ فاكره لما ركبنا المركب ورايحين نصطاد وكنا هنغرق لولا عمى الله يرحمه لحقنا وموتنا ضرب لأن المركب غرقت.

ردت نور وهى تلتفت لجدتها..

- حقيقي يا نانا؟! قالت الجدة وهى بمنتهى الحبور:

- أيوه حقيقي. احنا كنا أشقيا أوى. حتى بابا سفرنا مصر عشان الولد المتعب ده. وهى تشير إليه وتنظر لعينيه.

قالت نور:

- نفتح الصندوق بقى!

ردت عليها الجده..

- لما علي وزهره يكونوا موجودين.

وفى تلك الأثناء كانا قد دخل عليهما ماجد وعلي.

قامت نور متجه لأبيها لتطمئن عليه وعلى أمها وقد قبل جبينها، ويذهب هو ليجلس بجانب والدته ويقبل رأسها ويدها، فتقول له:

ـ إيه الأخبار يا ابنى طمنا. رد عليها بيأس وتعب:

ـ كل اللي يجيبه ربنا خير. المهم إنك مرتاحة، ومبسوطة يا أمي. مفيش حد يهمني غيرك.

ثم تدخل زهره بصينية الشاي، ويقوم علي ليأخذها منها وينظر إليها، ويقول:

ـ تسلم ايدك جت في وقتها والله، هاتيها واستريحي انتي. ونور تراقبهما.

أول من قدم الشاي له ماجد ثم ناريمان لكنها أشارت أن يعطى والده أولا.

ويرن جرس الفيلا ليفتح ماجد. إنه رؤوف، وزوجته. واخذا يسلمان على بعضهما وقد رحب بهما ثم تفاجئ ماجد بوجود ضيوف معه... إنهما فرح وناجى والصغير كريم.

ثم قامتا نور وزهره لاحتضان أختهما فرح، ولاحظ علي الحب الذى بينهن، فابتسم ووضع يده على قلبه من جديد. يراقبه ضياء حتماً إنه يحبه ويريد أن يطمئن عليه.

تعرف علي على مصطفى وناجى، وشعر أنه فرد من الأسرة. هو أيضاً يفتقد لأسرة مثلها، هنا حياة أفضل مما كان يعيشه في تركيا حيث الوحدة!

وصارت بينهم صداقه حتى سمعن السيدات صوت ضحكهم فقلن:

ـ خلاص عملوا جبهه ضدنا، يلا نخليهم يحضروا العشا.

قاما كلاً من الزوجين لتحضير العشاء. فبقى علي وزهره. فقال لها:

- خليكي قاعده ماتقوميش. قولي لي أعمل إيه وأنا أعمله. تمام. ضحكت وهى تضع يدها على فمها:

- ميصحش انت مهماً كان ضيف؟

- لا عمى ماجد قالي اعتبر نفسك واحد من العيله زي ابنى. تمام كده اتأكدتي. ها قولي لي أعمل إيه.

- إذا كان كده يبقى جهز السفره عشان هنحضر عليها العشا.

- حاضر انتى تؤمري. بس كده.

ابتسمت ونظرت إلى والدها وهى تهز كتفاها، وتشير إلى بطنها، حتى ضحك ماجد.

الجميع مشغول ولا أحد يتذكر آمال، ولا أحد سأل عنها، وكأن شيئاً يريد أن ينسيهم. كأن شبحاً مر على ذاكرة النسيان، أو كابوساً أوشكنا على الاستيقاظ منه. قطع شرود ماجد صوت هاتفه، ونظر مرتعباً حسبما تكون المستشفى تطلبه... فوجدها شيرين. تهلل وجهه وكأنما أفاق من غيبوبته، ورد مباشرة عليها.

- أهلا أهلا مدام شيرين. نورتيني والله، كله تمام وبخير عند حضرتك... ثم ذهب إلى الشرفة ليتحدث بعيداً عن الصخب. حتى أصبح الطعام جاهزاً فدخل عليهم ليعلن نبأً سار.

- يا جماعه في شخص مهم جاي يزور شخص مهم هنا عندنا في البيت. وهو ينظر إلى زهره، ويضحك.

قامت زهره من مجلسها وذهبت ناحية والدها وقالت:

ـ متقولش!! طنت شيرين جايه؟

ـ أيوه... عشان تطمن عليكي، وعزمتها تتعشى معانا كمان.

ـ يا حبيبي يا بابا. أنا بحبها أوى.

مع كل ذاك الوقت لم يعلم علي أنها على وشك الخلع أو الطلاق، لكنه لم يستطع منع عينيه عن رؤيتها. ولا يعلم سر الانجذاب ، ولا سر الاهتمام بها . حتى ماجد لاحظه أيضاً. وبعد مده ليست ببعيده حضرت شيرين واستقبلها ماجد وزهره، وقدمها لوالدته، وجلست بين ريم وناريمان، وبدأ حديث نسائي لطيف. وكانت ليلة لطيفه!! نبأت عما في الصدور، توارت الأكاذيب. كل منهم يتحدث بصدق، ويفصح

عن نفسه... صوت الضحكات، وجميع النظرات. كل الأبواب بدأت بالانفتاح. كل ما كان موصداً تحرك ببطيء. كأن معزوفة السكينة تعزف ما تبقى من أثار الاضطرابات.

استحقاقات

مضت الليلة على خير أكثر من المعتاد. باتت فرح وكريم مع زهره الليلة...تحكى لها كل ما حدث منذ أن سافرت إلى تلك اللحظة. وفرح مندهشة

ـ ماما ... ماما عملت كل ده!!

مازالتا يتسامران عما حدث. سمعتا شيئاً ما يطرق زجاج نافذة الغرفة ففزعتا. قامت زهره بتعب لترى ما الذى يحدث، حتى قذفت صخرة أخرى.

قالت فرح:

- لا أنا كده هنادي بابا. انتبهت زهره وقالت:

- استني استني، عارفه ده مين... ده عماد!!

- عماد!! يادي الليله اللي مش فايته. أنا هروح انده بابا.

- استني. بابا لاء، وأمسكتها من يدها وقالت:

ـ أنا عايزه منه الفلوس الأول يحولها باسمي، وبعدين أي حاجه تانية. أنا هنزله.

ـ تنزلى فين؟ تعالى هنا. بابا محرج عليكي ماتشوفيهوش، بابا هيقتلك بإيده المرة دى. هتروحى فين انتى اتجننتي... زهره خدى هنا. وبصوت خافت تنادى على أختها لكنها سبقتها إلى الأسفل. المجنونه دي رايحه فين.

لحقت بأختها، حتى خرجت زهره لملاقاة عماد. ظن عماد أنها تستقبله كالمعتاد بشوق وحفاوة كما كانت تفعل سابقاً، ولكنها قالت:

ـانت إيه اللي جابك تاني هنا، انت ناسيني وناسي ابنك كمان، انت مش هتشوفه تانى أصلاً.

زاد تعجب فرح من أختها ثم أكملت الحديث وسمعت رد عماد:

ـ بقولك إيه الشويه اللى بتعمليهم عليا دول مايكلوش بعقلي حلاوه. انتى عايزاني أرجع الفلوس اللي خدتها من أمك لكن يا حبيبتي مفيش دليل. وأنا لو كنت عايزك كنت خطفتك في عز النهار انتي نسيتي انتي مين ولا إيه، انتي مراتي أرجعك في أي وقت.

ومد يده محاولا هزها كي تستفيق حتى صرخت بصوت عالي:

- ااه سبني يا بني ءادم. وقد حاول جرها إلى سيارته.

- سبني بقولك سبني، وهو يمد يده إلى فمها كي يكتم صراخها وقد جاءت فرح لتنقذ أختها.

وبالصدفة رأى ماجد على شاشته الصغيرة حركه فدقق النظر وصعق، فنظر علي إلى ما نظر إليه ماجد واستدرك الأمر وهرع ناحية باب الفيلا ووجد عماد يجذب زوجته على الأرض فانقض عليه وضربه.

وفى تلك الأثناء هاتف ماجد الرائد سليمان، أما فرح فقد كانت تساعد أختها على النهوض.

وما زال علي وعماد يتقاتلان إلى أن جاءت الشرطة، وتم القبض عليه أخيراً، إنه كان مشاركاً في قضية القتل تلك. وقضايا نصب أخرى!

يتابع اللواء أحمد شكري القضية من البداية للنهاية حتى وقع ذلك الوغد بين يديه. ثم أردف قائلاً لماجد بهاتف الرائد سليمان:

ـ أنا بعتذر انى ورطت حضرتك في القبض على الراجل ده، وبعتذر انى عرضت بنت حضرتك كمان للأذى. لكن مش ممكن أنسى جميلك على راسي يا أستاذ ماجد... رد ماجد عليه بهدوء:

- أنا كل اللي يهمني إن بنتي تبقى بخير وبس.

- حضرتك هتشرفنا بكره في القسم، ومدام زهره، عشان نثبت محضر.

- إن شاء الله نكون موجودين.

أدى الرائد واجبه وألقى بعماد في سيارته وهو يسب ويشتم.

وجد ماجد أنف علي تنزف وفمه. فقد أصابه عماد بضربه قويه في وجهه، أخذه إلى الداخل وقال:

ـ اتفضل يا ابنى أنا أسف والله من ساعة ما جيت وانت تعبان معانا، معلش، ولا تحب نروح المستشفى!

- لا يا عمى دي حاجه بسيطه، مفيش داعى لده كله ...أنا كويس الحمد لله.

حتى دخلا إلى الفيلا فوجدا زهره ملقاة على الأرض فحملها علي إلى غرفتها.

ففزع ماجد وقال:

ـ هي مالها! إيه اللي حصلها؟

فرد علي بسرعه بعدما قام بقياس النبض:

- متخافش يا عمى، هتاخد حقنه وهتبقي كويسه.

- ما نروح المستشفى أفضل ونطمن عليكم انتوا الاتنين.

- الضغط عندها واطي شويه، لازم تستريح وتاكل كويس.

قال ماجد لابنته فرح:

ـ خلى بالك عليها لما نشوف إيه اللي هيحصل.

ردت فرح على والدها، وهى تغطى أختها:

ـ حاضر يا بابا... حاضر أنا معاها متقلقش.

نظر علي إلى زهره بعد خروج ماجد، وتذكر ملامح تلك المرأة التي زارته في غرفته ذات يوم، حتى اقشعر جسده، وتصلبت قدميه للحظات. ثم استدرك الأمر، ومضى سريعاً خارج الغرفة مصدوماً. هل من الممكن أن تكون هي! شعر أن هذه السيدة مسئولة منه من الان.

(تكشف الحجب لأجل إنارة الطريق لك... فانتبه!)

الحجب تزال

كل منا في قلبه قصه لم يفصح عنها بعد، مدفونة بين سراديب العقل، مغمورة بالكتمان، لن تنبت إلا بين كفى الأمان باطمئنان تام، ولن تسقى إلا بالراحة والسكينة، ولن تزدهر إلا بالحب الصادق.

من بين جنبات الحياة ... الالهاءات، والمصائب، تحن الروح إلى... السكون.

هي موجوده بالفعل ومتفاعلة معك بكل تأكيد. تأكل الصمت، وتتغذى على الهدوء، فاجعل من ضمن انشغالاتك...لحظات سكون.

صعدت فرح إلى غرفة أختها لتأتى لها بطعام الإفطار:

ـ الله... انتى النهاردة حلوه خالص، باين الدكتور امبارح اداكى حقنه خلاتك تحلوي أكتر.

ومن ثم يضحكان أكثر، وتحمر زهره خجلاً. تقول فرح وهى تضع الإفطار بجانبها على السرير:

ـ انا عايزه حقنه زي دي بقى.

تعطف فرح على أختها دائماً هي بمثابة أمها الصغيرة وتحبها جداً سألت زهره:

- بابا أكل الفطار؟

- بابا وكل اللي في البيت يا ستي متقلقيش، وبابا والدكتور خرجوا كمان.

ردت زهره باستعجاب:

- خرجوا راحوا فين؟

- راحوا القسم، وبعدين هيعدوا على ماما يطمنوا عليها.

- طب أنا هنزل شويه أقعد مع نانا. وهى تستعد للقيام من السرير

أسرعت فرح وقالت:

- تروحي فين؟ انتى هتفضلي في السرير لحد ما الدكتور بتاعك يجي. هو محذرني ماتقوميش إلا لما يجي.

- دكتور بتاعي. يعنى إيه ده؟ مين قال كده؟

ترد عليها فرح بدلع وغنج:

- دكتور علي هو الدكتور بتاعك ها، وهى تعطيها الطعام. وهو اللي قال تاكلي إيه اليومين دول كمان!

- كمان. كمان إيه. فرح بطلى تبصيلي كده.

تضحك فرح، وترد على كريم الصغير وهو يناديها:

ـ نعم يا حبيب فرح عايز تاكل يلا بينا نروح ناكل. ظلت زهره شارده تفكر ما الذى يجعل هذا الرجل مهتماً بها لهذا الحد! ربما هو هذا الرجل الذى رأته فيما يشبه المنام! ربما يكون هو. وبدأت الرؤية تتكون شيئاً فشيئاً حتى أحست بشيء غريب... لا هو حب ولا انجذاب، بل حنين... كأنها تعرف هذا الشخص منذ عقود!

* * * *

الميراث

حان الان فتح الصندوق... كل الظروف مواتيه.

في وقت متأخر دخلا ماجد وعلي الفيلا أخيراً بعد إجراءات كثيره.

أولها طلاق زهره، واسترجاع حقوقها. ودار الرعاية التي فيه آمال، والأرض الجديدة التي يريدها ماجد. دخل وسلم على والدته وعمه ضياء الدين، ثم تبعه علي وسلم عليهم، وتفاجئ أن زهره ليست بالسرير. فناداها باسمها فانتبهت ونظرت إليه فقال لها:

- أنا قلت لمدام فرح إنك تفضلي في السرير صح، ولا هي ماقلتلكيش!

- اه صح قالت لي، بس انتوا اتأخرتوا وأنا زهقت ، وبعدين أنا ما عملتش مجهود ولا حاجه أنا بس نزلت عند نانا والله. ثم نظرت إلى أبيها وهى مستنكره ما الذى يحدث.. ابتسم ماجد واستدار إلى والدته. لم تعلم ماذا تفعل تطيعه أم تعترض على تحكمه بها. ربما يخاف عليها فعلاً لأجل الحمل ليس أكثر. فقالت بعصبيه وهى تشير إليه:

- دكتور علي...أنا هسمع كلامك بس لإنك دكتور مش أكتر، غير كده مش هسمع الكلام أصلاً. وأرادت أن تقوم من مكانها وتخرج من غرفة جدتها ووجدته قد جاء يسندها وهو يقول:

- انتي كده كده هتسمعي كلامي على طول.

نظرت إليه وهى تستعجب طريقته وأسلوبه ثم قالت بعصبيه:

- على طول.. لاا...بابا.. اسمع اللي بيحصل .بابا..

لم ينتبه ماجد لما يقولاه. فاستحت وخرجت إلى الشرفة تشرب الشاي حتى جاء بجانبها وأحضر لها كرسياً وقال:

- زهره استريحي. فاستدارت إليه وقالت بصوت منخفض وهى ثائره:

- اسمع يا دكتور أنا واحده متجوزه وغير مسموح إنك تكلمني بالأسلوب ده، وأصلاً أنا ماعرفش بابا ساكتلك ليه، اوعى تفتكر عشان ساعدتنا شويه يبقى خلاص تعمل اللي على مزاجك، وتقرب منى بحجة إنك دكتور! مش هسمحلك.

امتعض علي وتركها ودخل. ثم إن فرح سمعت معظم كلامها.

ظنت أنه هجرها وأنها جرحته بكلامها بعد كل تلك المساعدات.

بعد سماعه لهذا الكلام أراد أن يتراجع عما شعر به تجاهها. في لحظه انهارت كل توقعاته، وقد رسم اليأس على ملامحه.

لم تتلفظ زهره تلك النبرة من قبل، لكنها خائفة وغير مستقرة... ما الذى يجعل شاب مثل هذا ينظر إليها في هذا الوقت المريع الذى تمر به. مظهرها مضطرب من الحمل، ونفسيتها مدمره من زواجها الأول وما حدث بالأمس. لم تعد ترغب في شيء ولكنها تغالب نفسها لكى تصبح أكثر صبراً وتحملاً، وتريد الابتعاد عن أي حب أو تقبل لأى شخص أياً كان حتى من يخاف عليها ويحاول حمايتها.

هذه الشخصية تحمل جينات الشر والخير مخلوطان على بعضهما البعض ولكن علي... على الأخص يستطيع أن يصنع برزخاً بينهما ويزيد النور لمعاناً، ولكن يجب أن تتقبله أولاً... كيف!! وفى جنبيها ذاك الصراع.

شعرت أنها تسرعت في الرد بقسوة. كان يجب أن تفهم لماذا يهتم بها أولاً.

لا تستطيع أن تأخذ قراراً حتى الان. ثم تداركت ما ذنبه إلا أنه جاء في وقت كانوا في أشد الحاجه إليه... كان يجب أن أشكره أولا أفضل من أن أجرح مشاعره بهذه الطريقة.

دخلت من الشرفة ووضعت الكوب في الصينية، وذهبت لتجلس بجواره ثم لتقول له أنها لم تقصد الإهانة ولا التقليل من مساعداته:

ـ دكتور علي... أنا ماكنتش أقصد أقول الكلام ده اعذرني. انت عارف انى متوتره وتعبانه.

فرد عليها بمنتهى البرود وقال:

ـ حصل خير. وقام من جانبها وقال: أنا اللي استعجلت أنا أسف.

لاحظ ماجد هذا الموقف فنادى عليه:

ـ علي.. على فين؟ في حاجه دايقتك! انت كويس.

فلحق به وهو يخرج من الغرفة. أنكر علي ما كان يشعر به..

- لا يا عمى بس لاقتنى مجهد شويه فقلت أطلع أريح.

- هي زهره قالت حاجه ضايقتك؟

-وحتى لو قالت مش ممكن أزعل منها. وهو ينظر إليها.

ربت ماجد على كتفه وقال له:

- طيب استريح شويه عشان عايزك تيجي معايه مشوار لو مش هضايقك.

التفت علي مسرعاً ونظر إليه بترحاب... وقال:

ـ مشوار! حاضر يا عمى تحت أمرك في أي حاجه تطلبها.

سعد ماجد من حماسته، وقال:

ـ أنا لو عندي ابن هحبه زي ما بحبك بالظبط، ريح شويه نتغدى ونخرج.

انتقلت فرح بجانب أختها وقالت لها بصوت منخفض:

ـ إيه اللي زعل الدكتور مننا.

التفتت زهره بهدوء إلى أختها ليكونا وجهاً لوجه..

ـ يظهر انى دايقته بكلامي المفروض أشكره لكنى قلت كلام زي الدبش، بس اعتذرت. قالت لها وهى تربت على قدمها إحساسا بالندم، وماعرفش هو كده صالحني ولا لاء.

عانقتها فرح قائله: متفكريش كتير... أكيد هو عارف ظروفك وأكيد هيبقى عاذرك، وبابا خرج وراه وهيكلمه، ما تقلقيش.

أما ماجد... دخل مكتبه يجرى بعض الاتصالات لبدأ شيء جديد.

* * * *

اضطرابات

في صباح اليوم التالي اجتمعت الأسرة والضيوف إلى طاولة الطعام، ومازال الجد والجدة في حوارات مستمرة كأنها كانت صامته كل تلك السنوات حتى تلتقى به. وتتكلم... معه هو.

لا ينفك حديثهما، وخصوصاً عما كانت تحكى فيه والدة الجدة إينار هانم، وقد كتبت ناريمان عن أمها بعض الذكريات الهامه، وكأنها رواية، بعضها تحقق مع ناريمان نفسها، ولذلك تجدها هادئة عند حدوث أمر ما.

هل هذا اطمئنان... ربما أو معرفتها مسبقاً بالأحداث التي تحدث، وهذا نادر جداً ليس من السهل حدوثه. لم ترد ناريمان أن تسافر وتترك عائلتها أو بالأصح ابن عمها، ولكن أمها قالت لها لن تتزوجيه إلا بعد عمر. فاستسلمت لكلام أمها ولكنه حدث. تؤمن ناريمان بوالدتها إنها كانت صالحه ومتدينة.

أوقات يجب ألا يسأل المرء عن حاله... فيكون الرضا هو أقصر الطرق لهدوء النفس وتسليمها إلى خالقها. هذا ما فعلته ناريمان، لقد كان قاسياً، ولكننا نعلم أن

القسوة في بعض الأحيان، تهذب النفس وترتب المشاعر والأحاسيس. وقليل من يعي ذلك.

على نفس ذاك الشاطئ وموجه الهادئ بالقرب منها جبل شاهق به بوابة تفتح لها، وتدعى لدخولها. ويأتي من خلفها رجل ليزيح بيده بعض الأغصان المتدلية بذراعه لكى تمر بأمان. تمشى وهو خلفها، لم ترى وجهه حتى. إلى أن وصلا إلى نافورة فضيه هم أن يرتوى منها لكنها استوقفته. منعت يده أن تصل إلى المياه فأستجاب لها. ثم نظرت حول المكان وقلبت به نظرها فوجدت خيالات لأشخاص طوال القامه ويلبسون ما يغطى أعينهم وسمعت همهمة تقول بصوت متقطع بطيء...لا يمكنكما الشرب الان يجب أن تكونا متحدان. ولذلك صدته عن الشرب. أخذته من يده لتخرجه حتى وصل إلى الخارج أمام الشاطئ وعرض عليها أن تركب طائرته فوافقت، وتعثرت في الصعود فحملها على الكرسي بجانبه واستدار وركب من الجهة الأخرى، وانطلقا. نظر إليها ثم مد يده بخاتم فضياً كتلك المياه التي كانت هناك ووضعه في اصبعها.

استيقظت على صوت فرح وهى تتحدث مع زوجها ناجى عن طفله. حرارته مرتفعة ويشعر بالتعب، وقد عالجه دكتور علي، وأحضر له الدواء وقد تحسنت حالته إلى حد ما! وهما الان يلعبان معا. يتصرف علي كأنه في بيته.

في تلك الأثناء تتصل شيرين بماجد أنه قد أتيحت قطعة الأرض أخيراً إن أراد شرائها. أشار ماجد إلى علي وقال:

- علي... مش كنت قلتلك على مشوار تيجي معايه فيه.

- أيوه يا عمى فاكر طبعاً، وجى مع حضرتك أكيد.

كان ماجد سعيداً سيعوض خسارته أخيراً، وسيبنى مصنعاً أخر لتعبئة الصادرات، وسيتوسع عمله أكثر فأكثر. وقد ساعدته شيرين كثيراً.

أحيانا يكون الأذى الأكبر من أقرب الأشخاص إليك، ولحسن ظنك تظن أنهم مثلك طيبوا القلب صافيين النية. فما فعلته آمال ليس كما تفعله شيرين. لماذا هي في حياة هذا الرجل؟ وقريبه منه الى هذا الحد وتريد أن ترفع شأنه؟ وتدفعه للأمام ليحقق المستحيل، عكس الأخرى أرادت تدميره!

أرجوك غربل أقاربك كل حين لتكتشف هل بينهم... شيطان!! يريد تدميرك؟ ولا تسأل لماذا لأنها عباره عن اختبارات منهم الصادق الذى يبقى، ومنهم درس لك. المهم كيف تنجو منها سالماً، بل شخصاً قوياً ضد لدغاتهم.

زهره تبحث عن مدخل للتصالح مع علي، وأنه مازال يصدها، وربما بدأ يشغل فكرها. وعندما تشرد تلك الأنثى فاعلم أنها تخطط لشيئ ما.

لكننا لا نعلم أن المخطط الأكبر يخطط لك في جميع الأمور سواء بالخير أم بالشر!

مازال التحقيق في ذلك البلاغ الذى كانت آمال جزء منه مستمر، وأن لهذا الدجال عملاء يتعاملون معه أغلبهم من الطبقات الارستقراطية، وقد يخرجونه من السجن. بسيطة!! سيعود مجدداً، ولكنه عاد لينتقم منها... فهو مازال خائفاً منها !

لا أحد يعلم الغيب. يكفى رؤيه واحده... تدمرك أو تنميك ...

نحن في انتظار نهايته، وهى في انتظار صحوتها.

* * * *

البوح بالحب!

كل أمنيات نور تتحقق أخيراً.

طلبت الجدة من الجميع الحضور يوم الخميس، كما كان أيام زوجها خورشيد.

مضى ماجد عقد شراء الأرض واتفق مع شركه هندسيه لتأسيس المصنع، وكان يفكر من الذى يديره.

أن الأوان بأن يركن لبناته بعض المسؤوليات الحقيقة، وقرر أن يشتركا نور وزهرة في إدارة هذا المصنع، وأراد أن يمكث علي بمصر ولا يرحل إلى تركيا مجدداً. ولن يذهب إلا إذا وجد أن مستواه المادي أفضل مما كان عليه في بلده. فعرض عليه أن يكون مديراً لمستشفى صغير بجانب المصنع للاهتمام بالعمال وعائلاتهم. إنه شيئٌ جيد أن يمكث بجانبه إنه أحبه مثلما ولده الذى لم ينجبه، وخصوصاً أنه مهتم بزهره ويحبها.

نحن الشباب لا ندرك ما يفعله الكبار إلا بعد أن نتجاوز عمراً في إنكار أفضالهم، ولا ندرى أنهم على حق في كثير من الأوقات. إنهم ذو رؤيه إن كانوا صادقين.

بدأت السهرة ... حضر رؤوف وزوجته وولده ناجى. نور وزوجها، ماجد وزهره وفرح وكريم (هؤلاء على عهد النور ولم يخذلوه) لن يفتح هذا الصندوق إلا بوجود الطيبين؛ لم يكن ليفتح مع وجود آمال!!!

دائماً يوجد للأخر نصفاً يكمله ويرفعه، يحتويه، ويقدمه للعالم كنور يسقى من السماء طاقة للأرض كي تستطيع النهوض... جزء من نبي، وجزء من الرسالة، والكثير من النور، وحراسة من الملائكه... إذا التزم بقواعد الاختبار هنا تشع الروح نورها.

مع ضياء الدين نسخة من مفتاح الصندوق!

أحضر مصطفى الصندوق، ونور خلفه. هي سعيدة جداً لأنها أخيراً ستعرف ما فيه. قصه جديده وتشويق.

احضرتا كلاً من فرح وزهره بعضاً من المسليات، والمشروبات الدافئة، ضوء خافت وصوت ضحكات هادئة، الجو العام لما ستفصح عنه الجدة مناسباً. فقالت:

ـ عمكم ضياء الدين اللي كنت حلم حياته لحوالي أكثر من ثمانية وأربعين سنه. كنت أتمنى إنه يكون أب لأولادي ولكن ربنا ماقدرش وانا رضيت مع امتناني لوالدكم الله يرحمه وسبحان الله بعد العمر ده لقينا بعضنا تانى وهى مشيئة ربنا طبعاً. أحب أقول لكم إن الحب والإخلاص موجودين في كل القلوب اللي خلقها ربنا، لكن في ناس بتختار القسوة، وكلنا هنا مختارين الحب وإلا ما كان الصندوق ده هيتفتح!

قربت الصندوق إليها وسمت باسم الله وفتحته.

كان به مقصوصات صغيره ملونه. جلست تعرضها على أحفادها، وضياء الدين مبتسماً وملئ عينيه عجباً بتلك المرأة التي ظلت محتفظة بكل ورقة في كل وردة أعطاها إياها وقتما كانا صغاراً. ولو كانت لتحتفظ بأنفاسه، ودفئ يديه إن استطاعت! الود والحنان لا يكذبان.

ماجد ورؤوف في صمت وذهول تام. ءاهذه الأم التي أفنت نفسها لبيتها وزوجها وابنائها، ولم تتقاعص عن رضا زوجها يوماً... كيف فعلت هذا وفى قلبها كل ذاك النبض الذى رفض هذا الرجل كل تلك السنوات. كان اختباراً يجب أن تنجح فيه. تأتى الأوسمة في نهاية المعركة كما نعلم.

بعض الأشخاص كالجبال تستند عليها بكل ضعفك وهى تحملك بكل قوتها، لا تأن ولا تشتكى.

كل الورود مثبتة على ورق محمولة على كفوف القلب حرصاً ولهفة لّلقاء. كل زهره تحمل عبقاً وكأنه قد أخذها من قلبه ليضعها بين يديها.

مكتوب على كل وردة يوم ميلادها الذى أعطاها لها فيه مع نوع الطعام ولون الثياب وبصمة الإصبع وقبلة تائهة على أطراف الورقة. وكلنا بالكاد ضعنا في تلك

اللمسات... كل الأنظار تتحول إليها وكأنها عادت شابة، وقد ترقرقت بعض العبرات من عيني ماجد، وريم. وانتابت زهره قشعريرة، وكأنما ينقل لها عبر الأثير شوقاً، وتمهيداً لمسيرتها القادمة، وكلما همست أو تحركت ينظر إليها علي بتمعن واهتمام.

تمد يدها لتخرج عروسة صغيره أهداها لها في يوم عيد مكتوب عليها اسمها باللغة التركية، ولوحة بها صورتهما معا على الشاطئ مكتوب خلفها (مع حب العمر)، وعندما رأها ضياء بكى... فانتبهت له ناريمان وقالت وهى تقول..

ـ الدموع دي غاليه عليا.

أردف يرد عليها:

ـ أنا قعدت كتير أدور عليها كتير... وهى معاكي هنا!!

كل تلك السنوات لم تنسيه حبيبته، قد امتزج كلاً من الوفاء والصدق والإخلاص بالروح، والروح لا تستغنى بسهوله مثلما تفعل الأجساد تنفصل وتترك أرواحاً متعلقة، وربما إلى الممات!

الرجاء اصمت قليلاً لكى تسمع صوت الروح!

يجفف ضياء دموعه ويتمالك حنينه لكى يستطيع السماع أكثر لنريمان..

ـ ده بقى دفتر أمي بخط ايدها اللي كانت بتكتب فيه الأسرار والأحلام، والرحلات، وازاي كانت تسبق الجميع بخطوات.

إينار التي كانت تعيش حياتها في سكون... تربت على المنامات وكأنها الواقع

المعجزات المنامية عند الزهرة النخامية في عقل باطنها الباهظ الثبات... لا تجزع لا تتردد، ولا تنطق إلا صدقاً. مأموره، مصنوعة على ايدي ملائكيه...

عندما يفتح هذا الدفتر من ثباته تنتشر رائحة المسك تملئ المكان، وكأنها وقعت عقداً مع الملائكة أوكلت إليها شرارة الاندماج مع البشر على الرغم من أنها ملاك!

تشبه ناريمان أمها في بعض الصفات، ليست مثلها... إنها ناقلة لأثير المودة مستودع الروح حتى تطلق صراح الكلمات، وهى التي ستختار الوريث المناسب الذى سيحمل الشعلة بعد.

هي الان تطوف حول الجميع لتعلم أي جسد سيتحمل عبئ المسؤولية، ويكون موضع سكون الملائكة.

الان ستوزع الجدة بطاقات مختلفة مغلقه، لكل منهم لون مختلف... اللون الوحيد المعنى هو الذى وقع الاختيار عليه، لا مفر من الهروب، ولا داعى للإنكار. قامت الجدة بتوزيع البطاقات بيديها كما كتبت أمها في دفترها...

ـ ولتعلمي يا ابنتي أن تسدى خدمة لصاحب اللون المختار... وتملى عليه كل قواعد المحكمة القضائية؛ لأنها ليست سهلة لكنها صادقه فتجعله يتقبلها بصدر رحب.

قالت ناريمان:

ـ كل واحد أخد الورقة يسمى ويقول لونه طلع إيه.

شعر الجميع أن السهرة تصبح فيلم رعب إلى حد ما. لم يكن أحد ليتحمل مسؤولية لم يعلم عنها شيء. يكفى ما لديه من المشكلات. كل منا يريد أن يبقى حراً، وبالطبع ليس كلاً منا مؤهل لحملها. تلك الهديه الشاقة المبهرة ذات الظلال المنكشفة مع شدة الرؤية.

كل منهم يحاول فتح ورقته في تأنى وخوف... فتح الجد ضياء ورقته أولاً وقال:

- لونى الأخضر. ثم فتح رؤوف وماجد ورقتيهما وقالا:

- أحمر. اسود. ثم توالت الألوان واحد تلو الأخر أزرق. أبيض. برتقالي. أصفر ثم الرمادي. والأخيرة هي... زهره. أخر من فتحت ورقتها كان اللون الفيروزي!

قامت ناريمان من مقامها وأحضرت دفتر الجدة، والقته بين يديها.

لم تكن تتوقع زهره أنها ممكن أن تكون الوريثة الوحيدة لمثل هذه التزكية أعتقد أنها لم تتحمل. جلست على مقعدها صامته شارده كأن ثقلاً أُلقى على روحها. تريد

أن تقول... لا أريده، لا أستطيع تحمله. كأنما أحداً قد دثرها بردائه الفيروزي تاهت بين الواقع والأحلام، احتفت بها الكلمات، وألبستها تاجاً نحاسياً ذا ياقوتة زرقاء

أنتِ الوريثة الوحيدة لحمل هذا الإرث.

أنتِ. الوحيدة المؤهلة للتواصل معنا عبر الروح.

تلك اللحظات لم يشح علي نظره عنها، وربما شعر بها، وتابعها وهى شارده. وانتبه الجميع إلى صوت الجدة إلا هي...

ـ الأفضل من دلوقتى نجوز علي لزهره. وهى تنظر إلى ابنها ماجد وتعلم ما في نفسه.

لم تعلم زهره عن كلام جدتها، ولكنها عندما انتبهت نظرت لعلي واشتعلت شامتها حتى تكاد تحرق وجنتها، وتذكرت من كانت تراه في أحلامها إنه هو كان يراها هي ذات الشامة الحمراء.

ساد الجو نوعاً من الاندهاش ولوناً من الهيام، لم يستطع أحداً الكلام كأن قراراً قد أخذ وطبقت الأحكام، وثبت القلب عما كان.

* * * *

تتكشف الأحداث

نوقن أنه لا أحد يعلم الغيب، الأقدار بيد الله، يسوق إلينا من يحذرنا أو يقوم بحمايتنا لنكون دائماً مستعدين.

يعلمان الجد والجدة أنهما قد أكملا رسالتهما، قد سلما الميراث، وأنهما سيعيشان إلى ما شاء الله بدون أوزان تثقل عاتقيهما، قبل ضياء الدين يدها وذهب كل إلى غرفته للنوم.

مازالت زهره تمسك بذاك الدفتر. أنها فرحه لاختيارها ولكن تائهة.

اشتد اصفرار وجهها وأحست بهزال ربما مما رأت. حاولت نور مساعدتها على النهوض، وأخذت الدفتر منها ووضعته على المنضدة لتستطيع أخذها إلى غرفتها ولكنها... مدت يدها إلى علي ونادت عليه بصوت متهدج:

- علي... الحقنى.

لم يتمالك علي نفسه. قد علم أن كلاهما للأخر بلا شك. بعد هذا العناء اسرع نحوها وقال:

- متخافيش أنا جنبك. وأمسك يدها يقيس نبضها وقال:

- عمى ممكن تحضر العربيه. باين زهره بتولد.

قام ماجد مسرعاً وفزعاً مما يحدث فهو شك أن يكون هذا الدفتر قد أثر عليها سلباً. فقال:

- مالها!! أحضر العربيه؟! اه .. العربيه، هي ليه هتولد دلوقت! لسه صح لسه مش في التاسع تولد؟ استوقفه علي وقال:

- عمى.. عمى ممكن تولد عادى دلوقتي. لو سمحت حضر العربيه. لازم نوديها المستشفى.

- حاضر حاضر. وجرى ماجد لا يعلم إلا ما يقوله علي.

حملها علي وذهبوا بها إلى المستشفى، لتدخل غرفة العمليات.. وتلد ولداً.

تمت الولادة على يد علي وطبيبتها.

وبعد مده استفاقت زهره وهى في غرفتها بالمستشفى..

- فين النونو. قال ماجد يطمئنها أنه بخير، وقامت أختيها لتهنئتها، فقالت فرح:

- ده جميل خالص، وعسول. ولد زي القمر. وهى تطبع قبله على رأسها.

قالت نور:

ـ متقلقيش هو مع الدكتور دلوقتى وناجى ومصطفى معاه. نظرت زهره لأختها كأنها تقول... علي معه. جيد، وأغمضت عيناها لتستريح بعض الوقت.

واستيقظت مجدداً على صوت طفلها وهو يبكى بين يدى علي. فتبسم إليها وهو ينظر في عينيها، ثم قال:

ـ ها عايزه تاخديه تأكليه ولا أخده يبقى بتاعي أنا؟

اعتدلت من نومها ومدت يدها لتأخذه وهو يشيح بيديه عنها. حتى قالت:

- علي هات النونو. وأخيراً تأخذه بين أحضانها. ضحك علي وقال:

- طب ما انتى كويسه أهو. ماشي يا ستي من لقى أحبابه نسى صحابه، بالكاد ينطق المثل المصري. وضحكوا جميعاً.

ساد بعضاً من الوقت في هدوء وقد ذهبتا فرح ونور إلى الفيلا ليستعدا للترحاب بهما عند العودة.

قال علي في هدوء لماجد:

ـ عمى... هو عرض المستشفى لسه متواجد ولا حضرتك سحبته؟ يعنى ممكن أكون مدير المستشفى فعلاً!

اعتدل ماجد في جلسته، وانتبه لكلام علي ونظر في عينيه وقال:

- اه. وقت ما تحب تمضى العقد امضيه.

- طب اعتبرني مضيت العقد ووافقت على الشروط كمان.

وضع ماجد يده في يد علي وقال:

- اتفقنا. إن شاء الله تكون فاتحة خير. ثم أردف علي قائلاً:

- عمى أنا دلوقتي بقى عندي عمل مناسب. صح كده

- صح كده.

- طب أنا عايز أطلب طلب كمان وياريت توافق عليه. أنا... عايز أتجوز زهره!!

قام ماجد من مقامه. لم يكن ليتوقع هذا الطلب، لكنه تمناه مراراً، وأردف ليقول شيئاً... فقاطعه علي:

- أنا عارف إن الوقت مش مناسب، ويظهر انى اتسرعت. فقال له ماجد:

- اتسرعت إيه.. تعالى في حضني، وضحك بصوت عالي. أنا كنت مستنيك تنطقها يا راجل. موافق طبعاً، بصراحه أنا مش هلاقي حد يخاف عليها قدك.

لم تكن لتدرك زهره ما يحدث إنها مرهقة وفى صدمه ولا تدرى ما الذى سيحدث لها مع هذا الطفل، ثم قالت بصوت متعب وبألم:

ـ الأمومه حاجه صعبه خالص، بس أنا حبيته اوى.

ذهب بجانبها علي وقال وهو يتأملها بحب:

ـ متخافيش أنا هبقى جنبك لحد ما تبقى ماما شطوره. هتسميه إيه العسل ده؟ وهو يبتسم والسعادة تملئ عينيه.

عمى أنا هخرج عقبال ما زهره تجهز... هحضر العربيه وهاجى أخد الشنط.

وما لبث أن جاء علي ومعه باقة زهور لأجلها، طرق باب الغرفة، واستأذن ودخل. ثم وقع نظره عليها. اتجه إليها، وقدم لها الزهور. نظرت إليه بتردد ثم مدت يدها واخذت الزهور، ولم تعلم لماذا يقدم لها تلك الباقة! ربما يهنئها؟

أحب علي هذا الطفل. إنه يعتبره يتيماً مثله، وكما تربى هو أراد أن يربيه

أخيراً عادوا إلى البيت. كانت زهره متعبه، ولكنها دخلت على جدتها لتبارك طفلها، وعمها ضياء أيضاً. دخل ماجد وألقى التحية وهو يحمل حفيده بين يديه ليعطيه للجدة، قال وهو في منتهى السعادة:

ـ السلام عليكم... اتفضلي يا أمي أول حفيد ليا من البت الصغيره دي. يوسف بيه. وزهره تحاول الجلوس، وفرح تساعدها.

قالت ناريمان:

ـ الحلو ده ابن أعز حفيده عندي، وربنا يبارك فيه، ويستعمله في الخير، مبارك عليه اسمه، ويبارك في والدته، وهى ترمق علي بطرف عينها.

* * * *

عقيقة ... أم ماذا؟

تتعجب فرح من أسلوب علي الغريب...اهتمام من نوع خاص، ورعاية متواصلة. ظناً منها انه طبيب ومهتم بها وبطفلها. والمدهش أن والدها يرى هذا ولم يتكلم مع علي أصلاً.

دخل ماجد للاطمئنان عليها وقال:

- الحبيبه الغاليه عامله إيه دلوقتى، والنونو بتاعها عامل إيه. وهو يربت على قدميها الباردتين تحت الغطاء. وهى ترد عليه في إنهاك:

- بابا أنا ما نمتش طول الليل. والبيبي بيعيط وعايزني أخده في حضني دايماً.

- أكيد يا حبيبتى إنتى مامته. خديه في حضنك وأكليه وإهتمى بيه.

شردت زهره؛ فهي لم تعتاد على ذلك، وهو بالنسبة لها غريب نوعاً ما هل ورثت القسوة من أمها أم ماذا؟

- حاضر يا بابا. بس في حاجه... كل ما البيبي يعيط يدخل دكتور علي وياخده منى يسكته وينام، ويديهونى في ايدي ويخرج يعنى أنا بستغرب مفيش دكتور هيعمل كده.

يرد ماجد بهدوء على صغيرته:

- وانتى شايفه اللي بيعمله معاكي وليكي مهم بالنسبالك ولا عادى مش بتحبيه؟

- حلو. بس أنا مش عايزاه يقرب أكتر من كده.

- ليه مش عايزاه يقرب؟

- انا مش عايزه أتعلق بحد تانى... كل اللي بتعلق بيهم بيسيبوني.. ماما وبعدين عماد، وأخرهم فرح. تخيل!

- وأنا سيبتك يا زهره؟ مش أنا معاكي على طول أهو.

- أنا ساعتها سيبتك يا بابا سيبتك. اعتدلت وعانقته وبكت. ضمها ماجد في صدره وقال لها:

- طب إيه رأيك إن في حد هنا بيحبك وساب دنيته كلها عشان يكون معاكي انتى وابنك... تقولي إيه؟

- أنا عارفه انت بتحبني قد إيه يا بابا وهتسيب كل حاجه عشاني.

- لكن ده مش أنا على فكره. حد غيرى.

- مش هصدق حد يعمل كده عشان حد خالص. إذا كان بابا يوسف سابنا وهرب.

- صوابعك مش زي بعضها يا حبيبتي، ومش كل الناس وحشيين. في ناس كويسه وبتتقي ربنا، ومخلصين، بس إحنا مش بنكون واخدين بالنا منهم للأسف. ناس بتحب الخير لغيرها، وبتعمل الخير من دون مقابل. ومن غير صوت في هدوء كده.

- بابا! وانتبهت... حضرتك تقصد حد معين في بالك... زي طنت شيرين كده.

- اه زي طنت شيرين كده. بس اللي أقصده دلوقت مش شيرين حد تانى. بيحبك انتى يا زهره، ومن أول ما يوسف جه للدنيا طلبك منى، وأنا وافقت.

اندهشت زهره. وقالت:

- طلبني منك!! يكون الدكتور، وهى ممتعضة.

- ماله يعنى علي! ماله؟ طول الوقت معانا، وبيساعدنا، ومهتم بيكي أفضل ما كنت هعمل أنا.

- يا بابا هو كمان هيسبنا ويمشى، وهيسافر يشوف شغله وخلاص، وتلاقيه خاطب كمان. هو بيساعدنا لحد ما يمشى مش أكتر.

- أنا عايزك تعرفي إن علي طلب ايدك فعلاً منى ومش هيرجع تانى تركيا؛ لأنه مسك إدارة المستشفى خلاص وهيبقي المدير بتاعها. عايزه تطمني أكتر من كده. وهتسكني معايه أنا ونانا، ومش هضطري تسيبي حد بتحبيه تانى أبداً. وبعدين تعالى هنا ...من امتى وانتى بتشكي في اختياراتي يا زهره! أو امتى وعدتك وعد وسهيت عنه بقى. أنا حاسس إنك كمان بتحبيه لكن الوقت مش سامح إنك تعبري عن شعورك. عارفه نانا قالت إيه عنك انتى وعلي.

- قالت إيه؟!

- بعد ما أخدتي الدفتر إياه ده وتعبتي... قالت لعلي إنه يتجوزك. بس الولد ما عارضش على الرغم إن مستواه هناك كان أفضل من هنا، هو هنا لسه هيتعرف، وده محتاج وقت.

بصي أنا عارف إن الموضوع مش سهل عليكي، وكمان الظروف مش مناسبه.. لكن صدقيني هو ده الوقت المناسب وده الشخص المناسب يا حبيبتي. أنا عايزك تكوني مرتاحه.

(ألا تدرى أن للفرح صوت أيضاً).

يحضر ماجد كل لوازم العقيقة، ويقوم بدعوة أصدقائه وأحبابه، ومعارفه.

مازال الأمر سراً. سيعلن خبراً أخر مهم جداً..

العقيقة على الطريقة التركية... وكأنه يستعد لفرح كبير. كانت تلك المرأة محتكره لأحلامه! كل الذى كان يتمناه يتحقق بسهوله الان يتصرف بعفويه وحب بعدما كانت خطواته محسوبة عليه. لم يكن ليفكر فيها بهذا الأسلوب إنها في الأخير كانت من ضمن اختياراته... ولا بأس أنه عاش كل تلك السنوات في أرق، وخداع. أظن أنه لا وقت للندم الان. الإحساس بالرضا والهدوء بعد الشده لا يوصف، كأنك مرتفع عن الأرض. قد تم انتشالك أخيراً. أصبحت كالطير حر طليق. إذا لم تكن متعلقا بشيء يجذبك للأسفل... فالأفضل أن تتخلى.

فهو يتذكر أين كانت روحه!!

هو يتذكر أيضاً... لماذا آمال!!

يأتي لأشخاص طيبين دائماً أشباه تلك الأرواح ليعلموك كيف تسترد روحك من جديد. لا مزيد من العطاء لأشخاص لا يستحقون. أشخاص متجمدة العواطف، مغلفة الأحاسيس.

أردنا أن نعلم في النهاية أنه لم يكن الألم ليؤذينا بل ليوقظنا.

* * * *

تحضيرات...

تحمل فرح ابن اختها يوسف بين يديها وتنزل السلم بتأده، ويسبقها كريم. وهى تقول في فرحه واندهاش:

- خلى بالك يا كريم... على مهلك وانت نازل، وهى تهتم بخطواتها على الدرج. تقترب من والدها قائلة:

- بابا صباح الخير. إيه الجمال ده كله! تنظر في ارجاء الفيلا باندهاش! يمد يده ليأخذ منها الطفل، يسمى، ويدعو ، ويبارك. إحساس انه صار جداً متحملا لمسؤولية أكبر، ومختلفة عن رعاية بناته، وأيضاً قد مضى العمر، لكن الله عوضه عوضا رائعاً.

هو يشرف بنفسه على منسقين الحفل، واعداد الطعام وهو يحمل حفيده بين يديه.

تصعد فرح لتبلغ اختيها بما يحدث بالأسفل...وتقول:

-لازم النهاردة نلبس حاجه جميله جداً بابا فعلاً عامل عقيقه كبيره واكل ما شاء الله.

خرجت نور لتنظر من الدرج عما يفعله والدها ورجعت مادة يدها وتدور حول نفسها كأنها عادت مراهقة مره أخرى..

-أخيراً حفله...من زمان محضرناش حفله زي دي، وأخيراً مش هيكون فيها خناق. تذهب إلى والدها وتسلم عليه ويتحدثان سوياً.

يحب ماجد بناته، ويحب ان يرى السعادة في عيونهن التي كادت ان تنطفئ في يوم من الأيام. لا أحد يستطيع اطفائها الان فهو مسيطر على كل شيء.

اعطى نور الطفل، وذهب ليرد على الهاتف...ثمة أشياء كثيره يفعلها اليوم.

يتحدثن السيدات عما يرتدينه في هذه المناسبة. قالت فرح:

-انتى النهاردة يا زهره الأساس بتاع الحفله دي ولازم تلبسي حاجه جميله... هشوف إيه في الدولاب مناسب وتلبسيه. تفتح الخزانة، وتتفاجئ بفستان ابيض رقيق معلق على حاملة بذيل طويل. حتى نادت على اختها:

-زهره...زهره. عملتيه امتى ده وما خلتنيش اشوفه ليه؟ دا اتعمل زي ما كنتي عايزه بالظبط يا حبيبتي.

جاءت زهره لترى ما هو. واندهشت هي الأخرى هذا ما كانت لتصممه يوم من الأيام لأجل زفافها كيف جاء الى هنا؟! ثم نظرت الى اختيها وشرعت بالنزول إلى والدها.

يعلم ماجد تلك النظرة... وقال لها:

- قبل ما تتكلمي اي كلمه... انا اللي اديته التصميم، وهو اصر يعمله عشانك. ودى هديته ليكي. بس

-بابا انا مش ممكن البسه. وانا لسه ما وافقتش على علي أصلاً.

-والله!! اومال مين اللي ندهتي عليه وانتى تعبانه، ومين اللي كان بيقول اسمه وهو بيفوق من البنج، ومين اللي بيطمن لما بيكون مع يوسف.

-بابا ده مش حب.

-زهره... ده كله حب وارتياح وإخلاص. انتى بتكابري عشان خايفه، وانا واخد بالى من كل حاجه وساكت. لكن دلوقت ما ينفعش اسكت. غلط السكوت دلوقت. واستخرت ربنا ووفقني للقرار ده. اسمعي كلامي والبسي الفستان يا حبيبة بابا. ومتخافيش كل حاجه هتكون زي ما انتى عايزه واحسن ان شاء الله.

* * * *

لحظة وداع...

يتابع ماجد كل شيء بهاتفه، لكن المكالمة هذه المرة غير ساره.

ذهب ماجد ليرد على الهاتف... انها المستشفى التي بها زوجته. استعد للذهاب بسرعة إليها، ونادى على نور:

- نور.. نور انا خارج ساعه وجاي، كلمى مصطفى يجي.

-حاضر يا بابا. وقد رأت على قسمات وجهه الرهبة.

قابل علي في خروجه مسرعاً... قال علي:

- على فين يا عمى.

فهو ليس على ما يرام. اسرع علي وركب معه دون أن يدعوه، قد قلق عليه، ولابد ان يكون معه.

ذهبا الى المستشفى وقابل الطبيب، وابلغه بوفاة زوجته.

جلس على الكرسي.. لا يعلم ماذا يفعل... بعد فترة تدارك الأمر نوعاً ما، وهاتف سليم والد آمال. قال الطبيب:

- أستاذ ماجد المرض كان شديد ماكانش نافع معاه علاج أصلا.. احنا هنقوم بتكفينها كما هي بدون غسل او حتى تبدل ملابسها. زي ما هي كده، والأفضل تدفن فوراً. من غير جنازه او صلاة. تخرج من الحجر للدفن فوراً.

- فاهم يا دكتور... انا في انتظار والدها، وحضرتك استمر في الاجراءات.

لم تكن تتركهم بدون مأساة حتى بعد وفاتها مازالت روحها الضبابية تحوم حولهم

كأنما قامت بمعاهدات الشر والتزمت اللجام ولن تتركه.

أرواح مثلها لم تكن تخرجهم الدنيا إلا بهذا الشكل من الذل والوحدة والتعب!! يحمل الانسان معه ورثه الذى جناه في حياته وهنيئا لها اعمالها السوداء.

يجلس علي متجهماً في ليلة الزفاف.. ماتت والده زوجته! ما هذا الذى يحدث؟

على ماجد ان يكون محايداً في هذا الأمر، وكأن الكون توقف في هذه اللحظة التي مرت كأنها عام كامل! لم يدرى ماذا يفعل. أخرجه من صمته صوت الممرضة:

ـ أستاذ ماجد المستشفى هتقوم بجميع التجهيزات وهنقوم بإرسالها الى المقابر بأسرع وقت. ده امر من الدكتور حضرتك لازم توقع على الأوراق دي، وهى موضوعه في حافظه عشان ما تنتقلش العدوى لحد.

قام ماجد ونظر في وجه الممرضة، وأخذ الأوراق ليوقع عليها.

أوافق انا زوج السيدة آمال سليم بالزام المستشفى بكل إجراءات العناية بالمتوفاه حتى دفنها.....

وفى خلال ساعتين لم يعد وجود لآمال إلا شهاده الوفاه. لم يكن أحد ليقرأ القرآن على قبرها أو يدعو لها... وكأنها لم تستحق ذاك التقدير أو الحزن على فراقها... باستثناء والدها.

لم يعلم علي شيئاً عن هذه العائلة، أو ماذا يفعل بعد جلوسهما بعض الوقت عند قبرها، ولماذا لم يخبر بناته... هي والدتهن! من المؤكد تأجيل الزفاف ليوم أخر.

قال ماجد بعدما سلم على سليم، ويودعه... وهو يستعيد رباطه جأشه من موقفه الغريب هذا..

يربت على كتف علي، ويقول:

- علي... مفيش حد يعرف حاجه من اللي حصل في الساعتين اللي فاتو دول. مافيش حاجه تتحكي لأى حد.

وقف علي احتراماً له وقال:

- حاضر يا عمى اطمن ولا كأن حاجه حصلت.

عاد من المقابر وهو يودع أخر جزء خرب من حياته هناك، أخر جزء كان يجعله مكسوراً.. أظن أنه يرجع ماجد وبكل قوته. لحظة صدق مع النفس كفيله بأحياء روحك مرة أخرى.

عندما يرى الله انك كفيل لحمل الرسالة يبدأ في تطهيرك أولاً.

عاد كلاً من ماجد وعلي إلي الفيلا بوجهين غير اللذان كانا عليه، واستقبلتهم نور قائله:

- بابا اكيد رحت لماما صح... هتخرج امتى؟

أخذها ماجد بالترحاب بضحكة مزيفه يحاول مواكبة الوضع:

- انتى عارفه حالتها صعبه اد إيه!!

- والله كنت احب انها تكون معانا النهاردة وتشوف اول حفيد ليها. ربنا يشفيها.

يتعجب علي من تصرف ماجد، وكيف استطاع ان يحول حزنه إلى سعاده.

هو لا يعلم أنه قادر على فعل الكثير!

أخر الأنباء

الساعة الخامسة قد بدأت الضيوف بالقدوم لحضور العقيقة، البوفيه مليئ بأنواع شتى من الأطعمة، وأطباق الطعام المغلفة توزع على المارة، وصوت الأغاني للسبوع. والتهاني والهدايا جاء منها الكثير، والزهور تملئ المكان. مر وقت طويل على هذا الاحتفال، وكأنما العالم يحتفل بموت انسان مؤذى!!! مع مولد روح نقيه جديده.

هو فرح حقا لأبنته زهرة، وقد صعد الي غرفتها، وقال لها:

ـ الفستان اللي في الدولاب صمم علي يعمله هديه ليكي عشان يفرحك. من فضلك البسيه وانزلي ماشي ...عشان خاطر بابا.

اقتربت من والدها ونظرت في عينيه، وقالت:

ـ بابا مالك انت فرحان ولا زعلان! في إيه طمني.

قبل جبينها، وقال:

- طبعا فرحان. اومال انا عامل كل ده عشان مين. فرحان عشان انتى مطمنه وفرحانه صح! ربت على ظهرها واعطاها قبله أخرى، قال وهو يتركها:

- يلا البسي وجهزي نفسك عايزك النهاردة تكوني احلى عروسه شفتها.

مرت ساعه، حان وقت افتتاح البوفيه...كل من يمر أمام الفيلا يأخذ هديته والحلوى التي اعدها للغرباء، وعلب السبوع الزرقاء التي اعدت للمولود.

الجميع يضحك اما ماجد فهو يحضر لمفاجأة كبيره... هذه التي لم يعلم عنها احد!

اما اهم المدعويين مدام شيرين، لم يكن لينسى موقفها المخلص والمهم يوما ما، وسيظل متذكر لها هذا الجميل دائما.

يكفى هذا الألم ليعيده من جديد... موت زوجته بدون علم بناتها، وولادة حفيده بدون علم والده شيء مؤلم. لم يجد أحد ليحمل معه عبئ هذا الألم.

ينظر علي إلي اعلى الدرج هل سترتدى زهره فستانه حقا.. هل علمت شيئاً مما يحدث؟ لماذا تأخرت... هل تراجعت!! انه مضطرب نوعاً ما، ومتحمس .. أخيراً...حتى نزلت زهره على الدرج، وهى تلبس فستانه اذن قد وافقت.

فستانها الأبيض الرقيق مثلها، وتاج فضي رفيع ولامع... انيقة مثلما الاميرات.

يصعد ماجد بعض درجات السلم ليأخذها من يدها ويمشى بها، وهى لا تعلم إلى أين يأخذها والدها! إنها تحبه وتطيعه. يمشى بها وسط هذا الجمع إلى بداية الصالة الواسعة إلى أن أوصلها لعلي وأشار لهم بأن تهدأ الموسيقى، ثم ذهب وأخذ مكبر الصوت ليصل لكل من بالصالة... ثم اعتدل في وقفته ليقول شيئا مهما:

-بسم الله الرحمن الرحيم... مش من طبعي اذوق الكلام لكن انا هقول اللي يرضى ربنا قبل اللي يرضيني أو يرضى حد تانى.

أولا ابننا علي ابن عمى ضياء الدين راجل ذا خلق، واحسبه عند الله كذلك...طلب ايد بنتي زهره. والحمد لله هي وافقت وسعيده لهذا الزواج. وهو ينظر إلى ابنته بحب.

وطبعاً احسن وقت هو وقت ولادة ابنها، وربنا عوضها عن اللي شافته الكام شهر اللي بعدت فيه عننا في فرنسا... يضع يده على قلبه ويبتسم وهى أيضا. حتى قام الحضور بالتصفيق. اردف كلامه وقال:

ـ كنت أتمنى ان والدتها تكون حاضره معانا لكن مرضها يمنعها من انها تجهد نفسها اكتر. قدر الله وما شاء فعل.

ينادى على ناريمان والدته:

-امي... امي اجمل واطيب ام في الدنيا... هي النفس اللي بتنفسه. عايز أقول حاجه حاسسها من بدرى ومش عايز اكسر بخاطرها ابدا ابدا. احب أقول لها وبعتذر لكن لازم أقول لأنى هعمل اللي شايفه في عيونها طول الوقت... انا شايف اننا حرمناكي من حقك في الزواج بعد والدى الله يرحمه... وده حقك. لكنك يا امي ما اعترضتيش وكملتي معانا حياتنا وانتى وحيده، وانا دلوقتى بعبر عن حبى ليكي واسمحي لي أقول ادام الناس لأنها مش عيب ولا حرام وهى انك ممكن تقبلي الزواج من عمى ضياء، لأنه طلبك منى بردو وانا بعد اذنك... وافقت لأنى شفت في عيونكم الحب الحقيقي...واتفضل يا عمى لبس امي ناريمان هديتها. وهو ينظر الى والدته ان اعذريني وثمة خجل في عينيهما. وقام رؤوف بدوره ليقف مع امه في هذا الموقف الحرج ليعلمها انه معها وانه فرح من موقف اخوه ماجد، والتصفيق يتعالى مره أخرى، والاحفاد يباركون على الرغم من اندهاشهم المستمر الذى يقوم به والدهن.

وفجأة دخل المأذون، وجلس كلا من علي وزهره، والعم ضياء، واحضر ماجد والدته وهو يقبل يديها ويقول:

-انا ما شفتش حب زي اللي انتى بتحبيه لعمى ضياء، والفرحه اللي في عينك لما وصل عندنا. حتى لو انتى عندك ميت سؤال كنت هعمل كده برضو. اجلسها على الكرسي بجانب عمه ويجلس ليكتب كتاب ابنته، ووالدته.

ماجد ورؤوف شهدا على عقديهما. وقد كان هذا اليوم مليئ بالمفاجأت.

أخيراً لحظات من السعادة يتم اقتناصها عنوة من يد الحياة القاسية.

بالتأكيد يجب التحلي بالقوة دائماً... لأن الحياه بخيله لا تعطى الكثير إلا إذا اثبت لها انك لن تستسلم لها ابدا، ولن تكون خاضعاً لصورها المزيفة، أو منطقها المهتز المهترئ.

هناك من يحاربون روحك... وغالباً يسجنونها في سراديب الجسد للاستحواذ على جسدك خاوياً، لا تتعلق بأحلامك ولا أهدافك... ضائعاً تبحث عنها وأغلب البشر لا يجدونها... والأفضل لك ان جعل الله لك مرشدا او تهيئ لك ملاكا ينير

بصيرتك...انت لست وحدك في هذا الكون... انت مترابط اكثر مما تعتقد وأرواح الشياطين تفكك هذا الرباط اكثر مما تعتقد!! هي تستطيع اخذك الى الهاوية بسهوله، وانت لن تستطيع اجبالها على النور... الأمر لك وحدك ...اما هم فلا اعتقد انهم رأوه في يوم من الايام... هم أيضا مجبولين على الظلام كما ان الملائكة مجبولين على النور... وانت حتما مصنوع من بعض روح الاله.

* * * *

الدميه!!

محاوله أخرى فاشله للموت ولكن لا استجابة مع العلم انها مؤلمه اكثر مما ينبغي لكننا نعلم انها ترقيه، واجلال...

يتابع الدجال ضحيته القادمة بانتباه شديد، ينزل عليها لعناته قبل أن تستفيق... ضربة تلو الأخرى كي تصبح هشة ويستطيع حينئذ تقطيعها الى أشلاء مترامية.

وانى له هذا... سيصنع مصيدته بنفسه وكلما كان يضعفها هو يزيد صلابة وقوة!

إن له هو الاخر ترانيم يقولها دائما ويستعين بكبار الأبالسة... ليعطوه الحكمة، وليرسلوا اتباعهم الى هذا المكان ليصنعوا غيمة سوداء تهطل بؤساً على من فيه.

بعد بضعة أيام من كتب الكتاب والعقيقة... والأمور كلها تحت السيطرة. كل شيء في مكانه الصحيح...يصيح الطفل الصغير هذا ولا يكف عن البكاء، فحصه علي مرات عديده، وقام بكل التحاليل والاشاعات على اكمل وجه. لم نعلم السبب حقاً. وأخيراً جاء موعد نومه، ولتبدأ زهره في المرض هي الأخرى. لم ينتبه علي لعمله بعد انه مشغول بمعالجة زوجته وابنها ويرعاهم. يترددا نور وفرح على الفيلا يكاد شبه يومياً انهما يحبان المكان ومن فيه وخصوصاً الصغير يوسف. ولكن الحزن بات اكثر، والخوف بدأ يتمسك بهما. تسأل فرح علي وتقول أمام والدها:

- كل الاشاعات سليمه، وكل التحاليل سليمه... يبقى زهره بتدلع بقى! يرد والدها:

- اذا كانت بتدلع فحقها لكن يوسف بيتدلع بردو! ومن امتى زهره بتدلع يعنى.

يضحك علي ويقول:

- ياريتها بتدلع يا فرح دي مش عارفه تنام من التعب اصلاً.

قالت نور:

- اكيد اتحسدتوا... مش كده يا بابا؟

- مش بعيد. نرقيهم ويخفوا شويه، ويرجع التعب تانى. حاجه غريبه، زهره تسكت الولد يعيط، والعكس.

تقول نور:

ـ بقالها كده يومين مش قادره تقف على حيلها.

جاءت الجدة لتجلس معهم، وتشترك في هذا الحديث الاسرى. قام ماجد ليأخذ بيدها ويجلسها مكانه:

ـ إيه يا ولاد الحيره اللي انتوا فيها دي... انا من رأيي نتصل بالشيخ عبد الصمد، انا حاسه ان الموضوع مش تعب وخلاص دا في شيء مهم لابد انه يتعرف**!!**

انتبه ماجد لكلام والدته... لكنه توقع انه كانت لآمال يد في هذا وقد انقطعت بموتها ... لكن والدته تقول هذا، وتذكر اسم هذا الرجل على الرغم انها لم تعلم اسمه يجب ان ينتبه.

أسرع ماجد إلى مكتبه، ودائما يلحقه علي في تلك المشكلات. فهو حقا يحبه ويقدره.. ويسعى لمساعدته دائما، ذهب خلفه... يحب ماجد تصرفات علي إنه راقي ومتريث، وحكيم.

- عمى... قومت ليه بسرعه كده في حاجه ضايقتك؟

- لا يا حبيبي مفيش. بس امي فكرتني بواحد جالنا قبل كده... احتمال يحل اللغز اللي احنا فيه دلوقت ده.

- هو مين الراجل ده؟

- هتعرف كل حاجه بعدين... انت مابقتش غريب**!**

يهاتف ماجد الشيخ عبد الصمد؛ إنه مشغول.

ـ هكلمه تانى بعد صلاة المغرب كده احتمال يرد عليا، ربنا يسهل.

في هذه الاثناء تصرخ زهره بصوت عالي وتحاول النزول الى الطابق الأرضي حتى سقطت على الدرج وغشى عليها وقد لحقها علي عند الدرجات الاخيرة. حملها وهرع بها إلى السيارة حتى وصلوا إلى المستشفى ربما يكون قد حدثت كسور!

قد قمنا بصرف أموال طائله على العلاج، ولم يتبين لنا لماذا كل هذا؟ يتسائل علي في نفسه...إنه قلق على زهره وعلى ولدها. هو هنا ليقوم بالحماية والتشجيع.

قد حدث لها ارتجاج طفيف في المخ لذا تحتاج الراحة اكثر. عندما افاقت نوعا ما جلس بجانبها والدها وامسك يدها بين يديه وقال:

ـ إيه اللي كان مخليكي مرعوبه وبتصرخي كده؛ احكيلى.

أردفت وقد سرى في جسدها قشعريرة، وشعور بالتوتر:

- نفس الشبح اللي كان عند ماما في اوضتها كان بيحاول يخنقني، ولما قاومته وخرجت من الاوضه زقني وعايز يوقعني... هو انا هنا ليه، وفين يوسف.

وهى تحاول النهوض لتطمئن على ابنها... يطمئنها والدها:

ـ متخافيش نور وفرح هناك معاه، وعلي بره بيجيب الادويه عشان نروح.

لن يستسلم هذا الدجال إلا أن ينهى حياتها قبل أن تنهى هي حياته، ولا يعلم أن حياته وحياتها لا أحد يستطيع أن ينهيها إلا الله.

يحضر دميتيه ويغرز فيها الابر لكى تتألم ومن ثم تؤثر تلك السقوب في جسدها. ليست من اي شيء تصنع، وليس كل شخص يستطيع صنعها إلا سيموت بمثل ما فعله! هذا المدهش في الامر... الأبالسة يريدون روحها وإلا... روحك. احذر اللعب معهم.

تصرخ ثانية... الألم في الرأس يزداد وتدخل في اغمائه ثانيه ويأتي الطبيب لفحصها.

هنا فهم علي اللعبة جيدا... وانتبه لنوباتها العجيبة، وأراد من الطبيب إخراجها على مسؤوليته الخاصة.

ذهبوا إلى البيت جميعاً، وجلسا اخوتها بجانبها، قرأت نور بعض آيات من القرآن في الغرفة، وجاءت الجدة لتجلس معهن وترقيها إلى أن يأتي الشيخ عبد الصمد.

دخل ماجد للاطمئنان عليها، وقالت له والدته..

- كلمت الشيخ يا ابنى؟

- ايوه يا امي زمانه على وصول ان شاء الله.

وبعد فتره قصيره دق جرس الفيلا، وكأن الاشباح تعلم بوصوله...كل شيء قد لزم مكانه! استقبله ماجد ورحب به، وبدأ بقص ما حدث لابنته وابنها...رد الشيخ عبد الصمد قائلاً:

- اه هو رجع تانى الراجل اللي بيعمل لبنتك الاعمال والاسحار دي.

استرد ماجد يقول:

- ليه؟ بس آمال ماتت يا عم الشيخ، جه تانى يعمل إيه؟

- يا أستاذ ماجد... الهدف ماكنش زوجتك نهائي، الهدف كان بنتها... ما كانش المفروض تعيش أصلا. أو بمعنى أصح حياتها مقابل حياتهم.

- حياة مين يا شيخ انا مش فاهم حاجه.

الشياطين مش بتحب النور ولا بتحب البشر اللي عندهم نور زياده زي زهره كده.

- والحل إيه دلوقت... هي البنت ذنبها إيه في القصه دي؟

- الحاجات دي بتتورث يا ماجد بيه، من الجدود واذا مالقتش حد يوقفها بتفضل دايره عليهم كلهم. واكيد هتسألني البنت الصغيره دي هتعرف تتحكم في المصيبه دي ازاي... صح؟

- اكيد طبعاً هسأل نفس السؤال.

- ماتخفش يا ماجد بيه... بنتك عارفه كل حاجه وعارفه تخلص نفسها ازاي من الموضوع ده كويس جدا المفروض نقفل القصه دي تماماً ونقطعها من الجذور...

يعنى ننقض اي عهد اتعمل معاهم، وبعد كده نبتدى نعالج اللي عملوه في أجسامنا بالنور بردو. ونورك هنا هو اعتقادك إن ربنا مش هيسيبك، وايمانك بدينك وبعقدتك. وبكده ينتهى مشوارهم معاك وتفتح صفحه جديده في حياتها، وتكون منوره دايماً.

انتبه علي لصوت فرح وهى تنادي عليه:

- علي ... علي تعالى بسرعه لو سمحت.

هرع علي بسرعه لأجل زوجته. فهو يخاف عليها كثيراً:

- إيه الحكاية... مالك يا زهره.

- عايزه اقابل الشيخ ده.

- بابا قاعد معاه تحت وقاله كل حاجه. ليه تنزلي؟

- علي خليني انزل اقابله لو سمحت.

- حاضر. زي ما تحبي... هسندك لحد عنده.

نزلت لمقابلة الشيخ، وأرادت ان تذكر له الرؤية التي حلمت بها.

أجلسها علي وقد سلمت على الشيخ ورحب بها قائلاً:

- مرحب بك يا ست زهره... إيه الاخبار معاكي.. خير يا رب!

- اكيد خير...انا روحت مكان مهجور وريحته وحشه جداً...زي صحرا بعيده،

اتفتح باب في الرمله، وانا ماشيه... اتبلعت الرمله ولقيت سلم على الرغم من أن الدنيا نهار إلا ان السلم اسود جدا. ونزلت الفضول أخدني وحسيت ان في حد تحت عايزه انقذه. الريحه تحت لا تطاق، خلصت السلم وكان في طرقه جاي منها زي نور شمعه... يادوب تعرف تلاقى ظلك. ولقيت مكتبه كبيره مليانه دفاتر مكتوب على كل دفتر اسماء اشخاص معرفهاش، واقعدت اراقب، شويه كده ولاقيت اسمى مكتوب في وسط الدفاتر دي واستغربت إيه اللي خلى اسمى يتكتب هنا، وإيه الدفاتر دي كلها؟ المهم فتحت الدفتر بتاعي... يشبه كده الدفتر اللي ادتهوني جدتي.

بس في فرق بين الدفترين... اللي معايه ورقه ابيض وريحته زي المسك او العنبر، والتانى ورقه رمادي قديم، ومتقطع، وريحته وحشه جدا... وكنت أتمنى انه ما يتفتحش لأني في لحظة ما جيت اقرأ المكتوب زي ما يكون في انسان على شكل حيوان طلع من تحت الأرض ضهره محنى زي حيوان الخلد كده. وصمم انى أرجع الدفتر وما اقرأش اللي فيه، وابتدي يعمل صوت عالي زي الصفير، لدرجة رميت الكتاب وسديت ودنى، شويه لاقيت اشباح كتيره عايزين ياخدوا منى الكتاب... لكن محدش قدر يقرب لي خالص!! وانا بردو مش فاهمه ليه... كأن لو حد يقرب لي هيتحرق او يموت. سكت الصريخ... وكلهم وقفوا متسمرين. وطيت اخدت الكتاب.. وكانوا رسمين لي خط سير امشى عليه، كأنهم عايزين يسيطروا عليا واسم ماما مكتوب في كل صفحه، وتحت منه ختم، وكأن ماما ماضيه على انها توهبني ليهم. وهو ده اهم شرط فيهم، وده اكتر حاجه تعبتني اوى... ازاي؟!! انا بحب ابنى يوسف اوى اوي... وشرعت بالبكاء، ومد علي يده ناحيتها ليمسح دموعها... شكرته ثم أردفت ما قدرتش اتحمل انى اكمل قرإيه بصراحه... وكأن ايدي من كتر الحزن والصدمه طلعت نار وحرقت الدفتر من غير ما اقصد. شويه ولقيت الاشباح الموجوده معايه ركعوا على ركبهم كأنهم بيترجوني اعفو عنهم. مسكت دفتر تانى وبقيت عامله زي المجنونه عايزه اعرف إيه اللي مكتوب في بقية الدفاتر... ممكن يكون ام تانيه باعت ولادها ليهم... او باع حد من حبايبه اللي حواليه عشان يأخد حاجه ربنا مش كاتبهاله... زي فلوس أو منصب، وكل الناس دي بياعه وبتخسر اعز الناس عندهم عشان حاجات دنيويه بسيطه... كان الواحد يرضى باللي ربنا كاتبهوله يستريح ويريح اللي بيحبوه بدل ما يتعبهم. لاقيت مصايب، ومن شدة حزني واسفى على المظلومين دول...ماتحكمتش في نفسى، وحرقت كل الدفاتر اللي في المكتبه والاشباح اللي موجودين، وبعدها لقيت الباب اللي دخلت منه بيتفتح لوحده والسلم نور... بصيت لفوق والدخان مالي المكان وكان علي بيشاور لي انى اطلع بسرعه، وفعلا سمعت كلامه وطلعت وسبت الدنيا تحت مولعه.

ماجد وعلي ينظران اليها في صدمه لم يعلموا هل هو حلم ام حقيقه... لم تحكى كعادتها لوالدها ما رأت، ولم يعلم علي كل هذا الماضي، وقد اتضحت الصورة له الان واصبح يعي ما فعله ماجد عند وفاة زوجته.

سادت لحظات من الصمت حتى صرخت زهره مره ثانيه، وهنا علم الشيخ أن هذا الساحر يعاقبها عما فعلته..

فقد أعطى الشيخ لوالدها البرنامج العلاجي والوقائي المعتاد، وقد نزلت الجدة على صوت صراخها مرة أخرى، وخرج الجد ضياء من غرفته أيضاً. وهنا قد تجمعت الاسرة، وبدأ الشيخ يرتل آيات من القرآن بصوت عالي حتى استعادت زهره وعيها...ثم اردف يقول لها:

ـ ها احكيلى شوفتي إيه؟!!

لا أحد يعلم شيئاً وكيف ترى وهى قد اغمى عليها!!

ـ لاقيت عروسه صغيره مصنوعه من قصاقيص فستان قديم ليا وانا صغيره، متخيطه ومكتوب عليها اسمى، ومحطوط فيها ابر، وكل لما يدخل ابره ويطلعها اتألم جامد... محاولاته كلها انه يخليني مريضه ويهيئ لي بالانتحار.

يرد عليها الشيخ ويقول:

ـ وانتى المفروض تعملي إيه عشان تدافعي عن نفسك بقى؟

فكرت برهه ثم ادهشت الجميع... فقالت:

ـ اكيد احب اقتله، وده حقي...العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص. مش كده يا عم عبد الصمد.

ـ حد الساحر قتله... صح كدا!

وقد صرعت للمرة الثالثة في أحضان جدتها... وقرأ الشيخ عبد الصمد آيات من القرآن... حتى استفاقت. واثناء هذا الاغماء... دخلت غرفة الدجال المليئة بالأوراق، والخرائط، لم يكن في ظنه أن تأتى إليه هنا. لا تعلم المكان، ولا تستطيع الوصول. يحاول تشتيت عقلها والسيطرة على روحها... ولن يستطيع بعد

الان. قد رأي روحها، وقد وقفت أمامه، ودرست الموقف جيدا، وشهرت سيفها... قد تم ذبح الساحر بسيفها الأحمر الذى وجدته تحت سريرها... منذ زمن طويل، وأخيراً قد أحضرته واستخدمته!!! هذا يومه... ولم يستطع فعل شيء... إلا شيئاً واحد فقط وهو.....

وبالتأكيد لم تقتله زهره حقيقة، ولو فعلت لكانت مثلهم... تتلوث روحها وينطمس النور شيئاً فشيئاً داخلها، ولن يعد دفتر جدتها يستحقها بعد الان. وكأنها أوقفت افعاله السفلية المشينة!! سقطت رأسه بعيداً عن جسده الضئيل الخبيث، وتدحرجت حتى وصلت تحت قدميها، وانحلت عمامته المتسخة. ثم كما تفعل دايما... تحرق المكان وتذهب.

قال لها الشيخ عبد الصمد:

- الله ينور عليكي. ينظر إلى ماجد ويقول:

- أستاذ ماجد .. هو ده اللي انا كان قصدي عليه... عملت كل حاجه لوحدها، وانت كنت خايف عليها صح. من هنا ورايح مدام زهره هتكون أسد البيت. وهو يضحك.

ما زال ماجد غير مدرك للأمر. لكنه سمع بأذنه من ابنته... وهى لم تكذب أبدا، ولكنه واصل الأمر وضحك هو الأخر.

شرب الشيخ أخر رشفه من فنجان قهوته... واستعد للرحيل.

ـ من النهاردة يا أستاذ ماجد مش هتحتاجني خلاص، استاذه زهره فهمت اللعبه كويس.

يرد ماجد عليه:

- ازاي يعنى هو كده الحكاية خلصت؟

- اعتبرها خلصت. وهو ينظر إلى زهره التي بدورها تومئ برأسها اي... نعم.

استأذن أنا بقى واتوكل على الله، وأتمنى لكم الراحة والسكينة. وانا سعيد جدا انى اتعرفت عليك يا أستاذ ماجد وعيلتك الكريمه.

شكره ماجد ، وأوصله علي إلى بابا سيارته، وقد امتلئ عقله بالأفكار التي لم يفصح عنها حتى رد عليه الشيخ:

ـ ماتقلقش... كل شيء تمام، اطمن.

نظر علي إليه، وكيف علم ما به. ثم سلم عليه ورحل.

يجلس ماجد على نفس الكرسي مصدوماً، وشارداً. قد يتكلم بضع كلمات وقد طال صمته.

صعدت زهره إلى غرفتها كي تستريح. وظل الصمت الغالب على تلك المدة. كأنه هدوء بعد العاصفة!

* * * *

بعضاً من الراحة...

تستريح زهره وابنها بين احضانها. والاختان مهتمتان بالمنزل، اليوم الخميس وكالمعتاد كل العائلة تتجمع على الغداء.

دخل ماجد من باب الفيلا يسأل فرح:

- عمو رؤوف وصل؟ ترد عليه وهى تعد الطعام:

- لا لسه هيجى هو وطنت ريم مع ناجى يا بابا.

-الغدا جاهز؟ انا جعان ما أكلتش حاجه عشان اتغدى معاه النهاردة والله وحشني.
وهو يدخل على والدته... يسلم عليها ويقبل يدها، ويسلم على عمه ضياء الدين.. ويقول:

- لسه رؤوف ما وصلش، عقبال ما يجي أكون غيرت هدومي واجي اقعد معاكوا.

يأتي علي خلف ماجد فهما كانا معا في تجهيزات المستشفى الجديدة... دخل وسلم على والده ومن ثم صعد ليطمئن على يوسف، ونزل به وجلس معهما.

يبدو الأمر مستقراً أكثر من السابق... صار كل شيء واضح ومتناسق.

أخيراً يأتي رؤوف، وتبدو المائدة مملوءه بأصناف الطعام، يدخل عليهم مصطفى كعادته ملئ يديه الحلوى والفواكه، ويسلم عليم جميعاً، ويساعده كلاً من ناجى وعلي.

يتباهى ماجد حالياً باختياراته التي كان يختارها، ينسجم مع تلك الأرواح، وتلك الأرواح تنسجم معه. يجلس بجانب اخوه وينتظرا معا للغداء. يقول رؤوف:

ـ طبعا انت بقيت رايق .. ولادك مطمن عليهم وتمام الحمد لله. وانت فين بقى من القصه دي وكل واحد منهم بقى مشغول بحياته، وآمال مش موجوده خلاص. طبعا انت عارف انا بتكلم على إيه؟!!

ينظر ماجد لأخيه، وقد اعتاد الصمت... يهز راسه ويرد بابتسامه خفيفة، وذكيه.

كان ليحب أن يراهم كل يوم أمام عينيه... تكتمل سعادته بوجودهم حوله. المهم أنهم بخير.

بعد الغداء يريد ماجد حضور كل الأفراد ويقول:

-يا جماعه اتفضلوا هنا عايز اخد رأيكوا في حاجه كده...وياريت تختاروا فندق جميل نعمل فيه فرح:

ترد نور:

ـ فرح مين تانى يا بابا... وهى تنظر إلى والدها كأنها تستجوبه عن عروسة ما في أفكاره..

يرد ماجد بنظره خبيثة وهو يضحك:

ـ هو احنا عملنا فرح أصلا... فرح علي وزهره طبعاً. كل واحد يقول اقتراح ونختار في الاخر.

كان يجب ان يكون لها فرح خاص مثل اختيها، وكذلك يحب ماجد ان يدخل الفرح الى أبواب تلك العائلة مرة أخرى.

بدا السرور على الجميع، وبدأ كل منهم يقول اقتراحه ورإيه في شكل القاعة، والزهور، والفستان، حتى الجدة... أبدت رإيها في هذا الموضوع وقالت:

- هيبقي جميل أوى لو عملنا التجهيزات والاكل على الطريقه التركيه ويكون غريب شويه... وتغيير. إيه رأيكوا.

ينظر ماجد لعلي ويومئ برأسه؛ بمعنى هل توافق. وبالتالي يشير إلى زهره ويقول:

- الاختيار هو اللي زهره عايزاه.

ترد زهره:

- تقريبا رأى نانا، وكمان علي بيحب الأجواء اللي اتربى عليها... وهى تبتسم في خجل، وتخفض نظرها إلى الأسفل.

- خلاص أخر كلام ... أحجز القاعه وأعزم الناس يعنى!

يرد رؤوف:

- طالما فرحه يبقى خير البر عاجله، والف مبروك يا حبايبي.

- خلاص نتوكل على الله وكل واحد يعزم الناس اللي عايزها، والدكتور علي يعزم حبايبه وصحابه كمان.

وبدأ ماجد من تلك اللحظة يحضر للزفاف القادم.

الخطوة الأخيرة

مازالت الأجواء مستقرة، لم تتزعزع بعد.

مضت أيام بتلك الطمأنينة والسكينة... لكن أمراً ما يهدد استقرارها، ويذبذب هدوئها.

في نهار أحد الأيام يخرجا ماجد وعلي إلى العمل، ويفتح ماجد باب الفيلا... ليذهب ولكن شيئاً ما يستوقفه... رائحه كريه كما أنه وقع شيئا أمام باب الفيلا لونه اصفر.

ـ يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم... ده اي يعنى حيوان قضى حاجته هنا وسايب الجنينه دي كلها!! استني يا ابنى لما نمسحه.

يرد علي سريعا:

-خليك يا عمى انا هنضفه ثواني بس. احضر ممسحه وماء ومسح الارضية، وذهبا إلى العمل، وانتهى الامر.

لم يشغل بال ماجد هذا الأمر ولم يكن في باله شيء. لكن علي لم يهدأ له بال إلا حين يعلم لماذا توجد هذه الأشياء في تلك الأيام؟ قال لماجد وهما يركبان السيارة:

- عمى... حضرتك لسه مشغل الكاميرا اللي قدام الباب وحولين الفيلا .

- والله من ساعة قصة الواد اللي اسمه عماد ما خلصت وانا قفلتها. بس ليه بتسأل عليها دلوقت، إيه شغلك في الموضوع ده..

- لا الموضوع ده مش شاغلني خالص، انا عايز ارجع اشغلها تانى.

- هتراقب مين تاني يا ابنى؟ عموماً انا هديك الكمبيوتر كله بالكاميرات بتاعته كلها تشغلها بمعرفتك انت. تمام كده.

- تمام جدا يا عمى.

- بس تشركني في القصه دي، وعايز تعمل إيه وانا على قدى بردو أساعدك.

- بقالي كذا يوم بشوف اللون الأصفر قدام الفيلا وشغلني اعرف جي منين!! والواحد بقى بيخاف حد يتعب تانى، وخصوصاً زهره.

- صح عندك حق والله ماجاش في بالى الموضوع ده. بس بتأخد بالك من حاجات كده مهمه.

جاء الليل، وجلس علي يركب الكاميرات من جديد في كل انحاء الفيلا، ويراقب عن كثب كل ما يدور حولها.

مرت ثلاثة أيام ولكن بدون جدوى، وظن انه لم يكن ليشغل تفكيره، ويرهق نفسه في مثل هذه الأشياء. ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه؛ فقد لاحظ حركه أمام البوابة، فالتفت سريعا للشاشة، ولكنه لم يرى شيئاً. انتبه لحركة غريبة امام باب الفيلا حقاً. وجد رجلاً طويلاً، ونحيف جداً بلباس اسود يتسلل عبر السور ويدخل الفيلا. وما أن رأه علي حتى ذهب إلى ماجد وقال له:

ـ أنا شايف اننا نطلب الشرطة في راجل دخل الفيلا، ونط من السور بتاعها. انا خارج له وحضرتك تكلم الشرطه.

وبالفعل خرج علي واختبئ بين الأشجار التي امام الباب الداخلي حتى يرى ما الذى يفعله هذا الرجل هنا!! خفف علي اضاءة الحديقه بأكملها ليهيئ لهذا الشخص ما جاء ليفعله.

ظل يراقبه حتى وصل إلى مدخل الباب... وألقى بماء أصفر حول المدخل كله، ثم جلس برهة يقرأ ترانيمه الخاصة... لم ندرى ما هي، ومن ثم قام لينهى عمله ويذهب.

انقض علي على الرجل وأنزله إلى الأرض في أثناء هذا جاءت الشرطة... وفتحت زهره الباب وتذهب ناحيه علي وهو يقول لها عودي إلى الداخل... ولم تسمعه، وسقطت على الأرض.

ترك علي الرجل من يده حتى هرب فوجد الشرطة أمامه، وذهب هو لكى ينقذ زوجته.

تم القبض أخيراً على هذا المجرم الذى هو في الحقيقة الدجال الذى قتلته زهره في ارهاصاتها.

جارى التحقيق في القضية، ولكنه لم يعترف بعد بممارسة السحر! وقتل بعض الأشخاص من جراء اسحاره.

أما زهره فقد تورمت قدمها ولم تستطع المشي عليها وربما العلاج الطبي لم يأتي بنتيجة فعليه... حتى تذكر ماجد تلك الرقية التي أعطاها له الشيخ عبد الصمد ليعالج بها ابنته. وبالفعل احضر زجاجة ماء وقرأ عليه آيات مخصوصه من القرآن، شربت منها واستعادت صحتها، ولتستعد للزفاف.

مرت مده قصيره من التحقيقات حول هذه القضية لم يخرج كعادته، بل سجن في زنزانة خاصه، وبعد فترة منتصف الليل سمع العساكر صوت صراخ عالي وكأن أحدهم يحترق بالداخل، وتم استدعاء الرائد سليمان ليعلم ما بهذا الرجل، وقد وجده بالفعل محترق، وتحولت جثته إلى المشرحة ليعلم ما سبب الوفاة.

يوم الزفاف

قد يفتح عليك باب اللعنات حتى تتدرب على الالاعيب وتميز الرديئ من الطيب

تأتي الاختبارات واحدةً تلو الأخرى حتى تظن أنه لا مخرج وستجلس هكذا للأبد...ثم يأتي بعد ذلك الشفاء يرمم الروح كالنسيم البارد في صحراء اليأس.

نورا يحيطك ويضمك بشده، يزرع بك الأمان. يشعرك بالنشوة.

تفتح باب الهبات، لتعي الحقيقة. درس سقيم يمر بك، لكن لولاه ما دريت أن لك روحاً يجب أن تتحرر... ولن تتحرر إلا بالضغط عليها لتخرجها من أنبوب المشاعر الصدئ الجاف إلى الانطلاق...

كأنها مغارة يجب أن تكتشف مخرجها بنفسك. لملم ما تبقى منك واخرج... وكلما مر الوقت ستقابل كل شيئ بدون اقنعه، على الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة.

تعلم الان كيف تعيش الحياة.

التجربة خير برهان...الجسارة، والرغبة هما عنواناك حالياً...معك تأشيرة إياب وذهاب إلى اي البوابات شئت، وإلى كل الأماكن إن أحببت.

أضواء لامعه... موسيقى شرقيه ناعمه، صوت الأطفال يلعبون، الورود البرتقالية على كل الموائد... اطباق كرستالية بجانبها أكواب العصير الوردي(الشربات)... رائحة المكان شذى تلك الورود القادمة من تركيا.

ينظر ماجد إلى ساعته، ثم ينظر إلى علي... ينطلق ماجد إلى أعلى السلم ليأتي بقطعة القمر التى يلمع ثوبها كالنجوم... يتأملها، ويحمد الله انها مطمئنه. يطلق زفير الأمان والراحة بعد معركة كبيره، كم عانى فيها مع اليأس والخذلان...

يقترب منها ويطبع قبلة على جبينها ليست كأي قبله... سيكون احدهم مسؤولا عنها بعد الان..

- يلا يا حبيبتي ننزل.

تغيرت الموسيقى، واتجهت الأضواء على الدرج... يظهر الأب وابنته التي سيسلمها إلى زوجها... تلك الدموع لم تجد لها مكان سوى تلك الوجنتين لتسبح في اوردة النسيان... هي مجرد عبرات عابره تحمل بعض الحزن وكثير من الدعاء.

يصعد علي بعض الدرجات ليسلم على ماجد، وليأخذ تلك الحبيبة الصغيرة من بين احضانه... يقبل يداها ويضعها في يديه جانب القلب عند الوتين... كان متأكداً أن تكون هي لأخر العمر...يجلسها بجانبه على بساط ابيض واريكة ذهبيه مثل ذاك الخاتم الذى يضعه بيديها، وتلك القلادة التي بها اسميهما. تعلو الموسيقى والزغاريد، تنهال التهاني، والدعوات، ومازال ماجد واقفاً عند الدرج لم يتحرك...يراقب الوداع من بعيد، ويراقب مسؤوليات تلاشت عن كتفيه حتى جاءت تلك اليد الحانية التي لم تعتذر أبدا عن أي شيء استطاعت مساعدته بها، أو تخذله يوماً... التفت خلفه بسرعه وأمسك تلك اليد بإحكام... ثم اردف بعد أن رأها:

- مدام شيرين!! أهلا بيكي ...اسف سامحيني انا مرتبك شويه..

قالت وهى تفرك يدها من الضمة.. وتبتسم:

- مبروك يا ماجد بيه. وهى تلمح تلك العبرات التائهة، وارادت ان تخفف عنه..

- مش هتبارك لزهره ولا إيه. تعالى معايه نبارك لها سوى.

وأشار بيده أن تفضلي. وما أن رأتها زهره حتى قامت من مكانها لتسلم عليها وتحتضنها بشده وتقول:

- انا فرحانه جدا ان حضرتك جيتى والله يا طنتو منوره جدا.

- انتى اللي منوره يا روحي وهى تنظر لماجد. تغيرت الموسيقى. حان وقت رقصة العروسين، حتى قال علي:

- ارقصي مع بابا الأول. يلا روحي... وقام كل زوجين مع بعضهما ليستفتحا الرقص من نور ومصطفى، وفرح وناجى... ثم علي وزهره وبعد مده من الرقص والموسيقى. استفتحا الزوجين البوفيه... وقد احضر ماجد لشيرين طبقاً مميزاً لأجلها.

- مدام شيرين اتفضلي.

- يا خبر ميرسي ليك تعبت نفسك ليه؟

- حضرتك شخصيه مهمه هنا لازم أكون مهتم بيكي اكتر. نظرت إليه وهى تبتسم وأخذت منه الطبق، ووضعته على المائدة، وازاح لها الكرسي لتجلس، ثم قام بالجلوس بجانبها، واكلا مع بعضهما البعض.

لم يكن من السهل ان يثق في أحد بعدما مر به مع آمال، ولكن تلك المرأة كسبت ثقته بأمانتها وعفويتها وصدقها..

قبل نهاية الزفاف ترمى العروس الورود التي معها ليلتقطها احداهن تيمنا بزواجها.

كلهن مستعدات حتى تختار باقة الزهور من امسكتها أولاً، ولكن زهره فاجأت الجميع، امسكت فستانها الطويل بيديها، وأخذت الورود وذهبت به بين الجميع وهى تبحث عن شيرين فوجدتها بجانب والدها والاضواء تتبعها، أعطت الورود لها، وقد قامت وانتبهت لماذا انا؟!! حتى قام ماجد ليردع ابنته، ولم تراعى زهره إلا أنها اخذت يد أبيها وجعلتها تمسك يد شيرين...

الخاتمة

لم تكن كل الأمهات حقودات، او يخذلن ابناءهن، بأنفسهن... اغلبهن مغلوبات على امرهن ... ربما لضغوط الأهل أو ضغوطات الحياه... او عطل في تدريب العقل، او لأى سبب كان.

اكثر القلوب على وجه الأرض حناناً هو قلب الام. ولكل قاعدة شواذ ...

الحقيقة تكمن في أن كل انسان فيه الجزأين الخير والشر.

يرمى الشخص أحماله على الظروف القاسية... محاولة هروب جيده. معظم النفوس تستسهل الهروب. الاستسلام، قلما من يحارب ليجعل من حوله في امان...

هؤلاء هم المحاربون الذين تقف الأرض على اختياراتهم... يتمتعون بالثقة، والأمانة، والقوه على مواجه الحقائق... لا يستسلمون مهما قست الحياه؛ هؤلاء هم الأشخاص الذين يعتمد عليهم الكثير.

لمتابعة الكاتبة دعاء صادق

البريد الالكتروني dsalyaldeen@gmail.com/

حسابات أدبيه/ زهرة البنفسج: صفحه على الفيس بوك

https://www.facebook.com/share/p/18LJy9Hr2g

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023